

المعاريك الفاصلة

في التنازع

عنيت بنشره

إدارة البحث لال بنصر

سنة ١٩٢٧

تمهيد

للموجودات صفتان ، الترابط والتغير

الترابط : واعني به ان أجزاء الكون مترابطة بعضها ببعض .
فكل ذرة ، في كل جرم ، في كل نظام ، في كل ناحية في ساحة
الفضاء ، هي مترابطة بكل ذرة غيرها . وينشأ عن الترابط ، بين
أجزاء الكائنات ، تأثير ، كثير أو قليل ، حسب قرب المترابطين
أو بعدها . فيحدث عن الانفجار زلازل وهزات حوله . وبهذه
النسبة والقياس تؤثر المعارك الحربية في محيطها الجغرافي والتاريخي .
ويشتد ذلك التأثير ، أو يخف ، حسب قرب المحيط المتأثر ، أو بعده ،
عن موقع المعركة

التغير : واعني به ان كل شيء ، في كل مكان ، في كل حال ،
سائر في سبيل التطور والتكيف ، خضوعاً لاثبت نواميس الكون .
فهو الآن غير ما كان ، وغير ما سيكون

هذا نهر النيل ، وكل نهر على سطح الغبراء ، تراه فتزعم انه هو
الذي رآه الفراعنة ، فتقول انه مرّ عليه عشرات الالوف من السنين ،
ولا أدري هل تضمن بقاء قطرة ، من مائه ، في مكانها ثانية
واحدة . أو لا يدلك الحس ان كل قطرة متحركة ومحمولة بالمجرى
العام ؟ كما اتا وكل امة محمولون في مجرى التطور العام . فما تراه من

مياه النهر هو غير ما رآه رعمسيس ونحفتيس وثوطميس . بل غير
ما وقع نظرك عليه منذ برهة

هذا هو شأن الكون ، لا شيء ثابت . فرى الماء في مجرى
النهر ، يتدافع ويجري ، ولا نعلم كيف ولماذا . انما اصطلحنا على كلمة
تصف المجرى التاريخي . ورى أوراق الاشجار تسقط ، ثم يحل
غيرها محلها . ورى الوالدين يشيخان فيموتان ويخلفهما أولادهما ،
« فكل ما عليها فان »

ولكن هذا التبدل والتغير لم يتم بدون « معارك قاصلة » بين
قطرات الماء في مجرى النهر ، وبحكم المعارك هي مسيرة لا مخيرة ،
فلا يمكنها الوقوف . كذلك المعارك حامية بين أسنان اللبن والاسنان
الثابتة ، فتدفع هذه تلك ، وتحل محلها . وهكذا براعم الشجرة ،
وأوراق الخريف . وهل الدول والامم والمدنيات الا مظهر طبيعي
لهذا الناموس ؟ هل سقوط دولة ، وقيام غيرها موضعها ، الا كسقوط
ورقة وبروز غيرها في محلها ؟ . وكل ما ذكر لا يتم بدون عراك
شديد الهول . « ففواصل المعارك » شرط لازم لتفوذ ناموس
الكائنات الفعال ، الذي هو التطور

ويلامس العقل هاتين الصفتين في درجات أربع
الاولى المعرفة : وهي ادراك الحادثة ، أو الحقيقة ، جزئياً
الثانية العلم : وهو ادراكها كلياً ، اعني باعتبار علاقاتها ونتائجها
الثالثة الفلسفة : أو العلم الاعلى . وهي عبارة عن ادراك دوائر
عديدة مع تبيان روابطها وتغيراتها
يشارك في الاولى الانسان والحيوان . وينفرد الانسان بالثانية ،

دون الحيوان ، اذ ليس عنده كليات . ويختص بالفلسفة افراد ، من
الناس ، امتازوا بسعة الاطلاع ، وواسع النظر . وغرض النفس في
هذه الدرجات الثلاث بلوغ الدرجة الرابعة، وهي « ادراك الحقيقة »
وراء تلك الظاهرات

فقد قسمت أشياء هذا الكون الى قسمين، هما ظاهرة وحقيقة .
فالظاهرة هي العَرَض ، والحقيقة هي الغرض . والحكماء هم الذين
لا يلهون بالاعراض عن الانغراض . بل يتخذون ظاهرات هذا
الكون درجات سلم يرقون بها الى ادراك ما وراءها من الحقيقة .
وتشتاق النفس ، شوقاً عميقاً الى الحقيقة المستقرة وراء ظاهرات
هذا الوجود . ولا تكتفي بالمعرفة مجردة عن علاقاتها ، الا نفس
الحيوان ، ومن اصطف ، من الناس ، في صف الحيوان

فلكل حادثة ، وكل معركة ، علاقات سابقة ولاحقة . لانها
حلقة في سلسلة التاريخ العام . ولا يتم العلم الا بدرس السابقات
واللاحقات ، بكشفه الحقيقة الكلية . والكتاب المفيد هو الذي
يسد اشواق النفس من هذا القليل . فسر الممارك . مع قطع النظر
عن عواملها ومعمولاتها ، هو كتصرف العجائز في سرد القصص على
الاطفال حولهن ، او المشعوذ الذي يدهش الناس بظاهرات لعبه ،
ويترك في نفوسهم فراغاً لمعرفة السر في تلك الظاهرات . والكتاب
الذي يقف عند هذا الحد هو بلاء على قرائه

فهل أتمكن من ارواء عطش قرائي، بكشفي لهم الحقيقة الجميلة ،
وراء ظاهرات هذه الممارك ، التي اوردت منها عشرين « فاصلة »

شبت في خلال ٢٥٠٠ سنة ، من معركة مراثون قبل المسيح ٤٩٠ سنة
الى معارك خط هندنبرغ سنة ١٩١٨ ؟

الاصول التي استندت اليها في تأليف هذا الكتاب :

- ١ - كتاب كريسي « ١٥ معركة فاصلة »
 - ٢ - كتاب فيلارد اتاريديج « المعارك الحديثة »
 - ٣ - الانسكلوبيديا البريطانية
 - ٤ - تاريخ اللورد نلسن
 - ٥ - تاريخ غربي اوربا
 - ٦ - التاريخ العام لماير
 - ٧ - تاريخ الاجيال الحديثة لمؤلفه ك . ا . فيف
- وقل في هذا الكتاب ما هو من عندياتي

هنا عيبان

مصر ابريل ١٩٢٧

معركة مراثون

سنة ٤٩٠ ق . م

تعال معي أيها القارىء العزيز ، الى قمة ، فوق منحدرات الجبال ، تجاه سهل مراثون . ولكن هناك قبل وقتنا الحاضر بمدة ٢٤١٢ سنة . فزى على السفح تحتنا مؤتمراً حريباً ، مؤلفاً من عشرة جنرالات ورئيسهم ، يبحثون في أمر الحرب بين الفرس واليونان

من هم اليونان ؟

اليونان أو الهيلانيون ، هم أول من ظهر في ساحة المدنية من الشعوب الاوربية . وقد أخذوا التمدن عن الشرق بواسطة الفينيقيين . فهم همزة وصل بين الشرق وأوروبا ، أو الجسر الذي عليه عبرت مواكب التمدن من ضفاف النيل والعاصي والدجلة والكنج ، الى ضفاف السين والرين وتير والتاميس

وقسمت بلاداليونان قديماً الى عدة أقسام ، هي تساليا وايروس واثراقيا وبلبوتيسس وجزر بحر ايجه ومدن خرسونيز ، على شطوط غربي الاناضول . وكانت أثينا وسبرطا أهم مدنها

اشتهرت أثينا بالعلوم والفنون والسياسة . وسبرطا بالعسكرة

جنوع خاص

وكان يحكم أثينا قهارمة ، يدعوهم « ارا كنة » او اراختة ،
جمع اركون او اركون ، آخرهم أسرة يدستراتيس . قار الاثينيون
عليها وخلصوا الارا كنة ، ورفعوا علم الحرية والمساواة . وقسموا
المدينة الى عشرة أقسام ، حسب العشائر التي تسكنها . ولكل عشيرة
جنرال يمثلها في الحرب . وعلى العشيرة حاكم عسكري ، هو رئيس
المؤتمر . وهؤلاء هم الذين نراهم تحتنا على سفح جبل مراثون ، للنظر
في حرب الفرس

من هم الفرس ؟

الفرس كاليونان من أصل ارياني ، سكنوا البلاد المعروفة ،
شرقي دجلة وجنوبي قزوين . وكانوا أرباب فن وفلسفة . وقد
زحزحوا دول الكلدانيين والاشوريين ، خلفاء همورابي وسرجون ،
وحلوا محلهم . واكتسحوا البلدان ، وأخضعوا الامم ، من الهند الى
تونس ، ومن بحر العرب الى روسيا . فكان تحت لوائهم مائة وثمان
وعشرون أمة . كالكثيين والفرثيين والارمن والاثراك والاراميين
والفينيقيين وغيرهم . ونشروا أعلامهم في سماء اناضوليا ، وخضعت
لهم اماراتها وايلاتها . أما مدائن خرسونيز فكانت كالزئبق الرجراج
لا تستقر على الاستعباد ، ولا تخضع للاستبداد . وكان اخوانهم ،
سكان بلاد اليونان ، يثيرون في نفوسهم لظي الثورة والعصيان . وقد
اغتاظوا من ستراب سنة ٥١٠ ق . م . وهو أخو الملك داريوس
كان حاكماً على خرسونيز . فجهزوا عشرين سفينة حربية ، وجاءوا
بها الى شطوط الاناضول . وهاجموا مدينة ساردس ، وأحرقوها .
وعلمهم هذا من أغرب أنواع الجرأة في الدنيا . فلما بلغ الحادث مسامع

الملك داريوس لم يعبأ به كثيراً ، قائلاً « ان ستراب وابنه داتيس سيخمدان هذه الثورة » . ولكن لما سمع ان اليونان جاءوا بسفنهم من وراء البحار ، وهم الذين أثاروا هذا القيام ، سأل : من هم اليونان ، وما هم ؟ : فاخبروه انهم أمة صغيرة ، تسكن غربي بحرايجه . فهاج داريوس ، وأخذ قوساً ، ورمى بها سهماً الى السماء وقال :

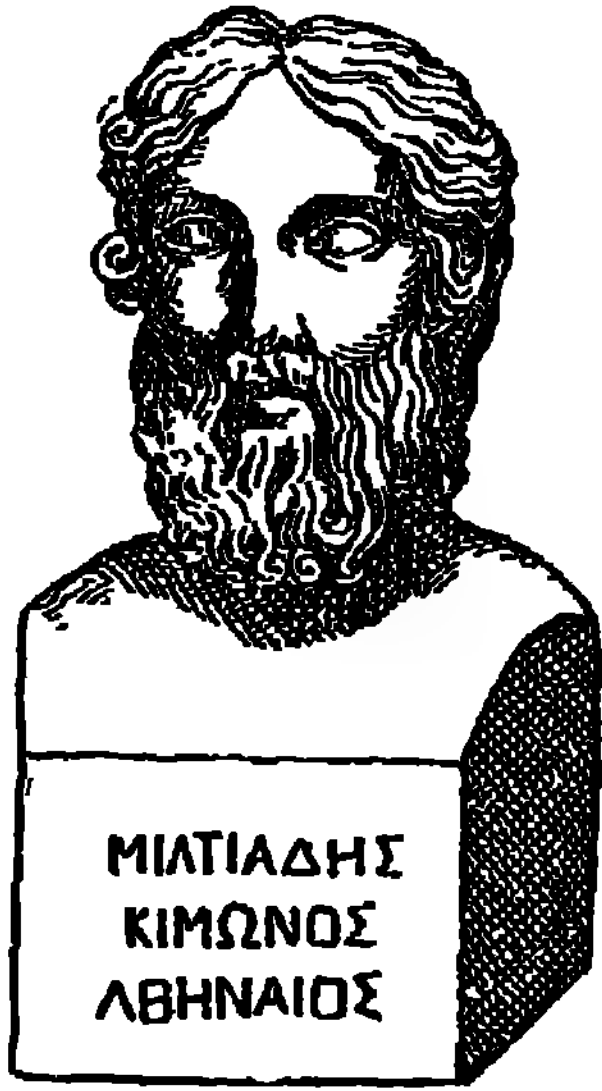
« أعني يا اهورمزدا العظيم على سحق اليونان »

وعين خادماً خاصاً ، يذكر له اليونان ، والانتقام منهم ، كل صباح . فلما أخذت ثورة خرسونيز ، حشد في كيليكيا جيشاً جلياً ، وأمر الفينيقيين أن يجهزوا له ٦٠٠ سفينة ، ركبها جيوشه بقيادة داتيس ابن أخيه ، وارتيفارنس المادي . فاجتاحت هذه الحملة جزر بحرايجه ، ولا سيما أبوياس ، جارة الشطوط اليونانية . وقد وصلت الحملة شطوط اليونان ، وحلت سهل مراثون تحتنا . وهاهم قواد أثينا يبحثون في أمر مهاجمتهم

مليادس

كان في المؤتمر رجال استلفتوا . نظرنا ، لأنهم من أقطاب اليونان . منهم كليماخس الحاكم الحربي ، وأرستيدس العادل ، وتمستوكلس الحكيم . أما الرجل الفذ الذي استلقت أنظارنا بنوع خاص فهو مليادس « بطل مراثون » ونصير بمدن اوربا وأميركا ٢٥ قرناً . وكان أراكينة أسيرة يدستراتيس قد سبوا قتل والده . ولكنهم لم يمدوا اليه يداً ، بل رحلوا شبابه . ولما مات أخوه ، حاكم خرسونيز ، ولوه مكانه ، وذلك قبل معركة مراثون بـ ٢٨ سنة وفي مدة حكم مليادس في خرسونيز حمل داريوس على السكيثيين .

وأمر حكام الاناضول أن يمدوه بفرق من الجنود تصحبه في تلك الحملة . وكان ملتيا دس في عداد الذين أطاعوا الامر . ورافق فرقته



ملتيا دس

الى نهر الدانوب . وأقامه الملك داريوس على خفارة الجسر الذي مده على النهر ، وسار الملك بجيشه عليه ، الى بلاد روسيا . ولما بلغ اليونان ، على الجسر ، حبوط يسعى داريوس في روسيا ، أشار عليهم ملتيا دس أن يهدموا الجسر ، ويدعوا الملك وجيشه يهلكون في داخل بلاد الروس . فلم يتجاسروا على انقاذ المشورة . ولما عاد داريوس عرف بما كان من ملتيا دس ، فحفظها له . ولما جاء

ارتيفارنس بالحملة ، من نواحي كيليكيا ، وعلم ملتيا دس ان المقاومة لا تجدي ، جمع كنوزه ، بغاية السرعة ، في خمس سفن ، وسار بها قاصداً أثينا فرآها الفينيقيون عن بعد ، وطاردوها ، وأدركوا أحداها ، وفيها ميثوخوس أخو ملتيا دس الاكبر ، فأسروه . أما ملتيا دس فتجأ ، وجاء أثينا ، فعينوه جنرالاً . وها هو في المؤتمر تحتنا

المؤتمر . قراره

كان في ذلك المؤتمر رأيان . الاول وجوب الهجوم على الفرس حالا . والثاني التريث حتى ترد اليهم النجدة من سبرطا . فقد قرروا

ارسالها ، ولكن من تقاليدهم ألا تبرح جنودهم العاصمة قبل.
اكتمال البدر ، وهم الآن ينتظرون حلول الوقت . ولذلك رأى.
بعض الجزالات ضرورة انتظارهم

ولكن هنالك خطراً ، من اتساع نطاق الخيانة ، اذا تأخرت
المعركة . فتمزق أوصال اليونان ، فتسقط أثينا . فلدرء هذا الخطر ،
يجب اصلاء الفرس المعركة حالا . وهذا هو رأي ملتيا دس

وكان الرئيس كليماخس يسمع آراء الجزالات صامتاً . ولدى
الاقتراع تساوت الاصوات ، خمسة خمسة . فتوقفت النتيجة على رأي
كليماخس الرئيس . فنهض ملتيا دس وخاطبه بما يأتي :

« يا كليماخس ، مواطني العزيز . هذا اليوم هو يومك . فانك تحمل
على منكبيك مصير اثينا . فاما ان تكبل بأغلال الاستعباد والهلوان ،
او انها زردان بتيجان الحرية والمجد ، فيكون مجدك خالداً ، مجداً لم
يلغنه هرموديروس ، ولا حلم به ارستوجين

» يا كليماخس الحر . لم تدخل اثينا في مأزق كهذا منذ نشأتها .
فاذا أذعننا للفرس ولوا علينا هيباس الخائن ابن ييسستراتيس .
وانت ادري اذ ذاك بمصير الامور . واذا فازت اثينا اليوم اصبحت
ربة البند والعلم في كل بلاد الهيلينيين . فاذا لم نصل المعركة « الآن »
ظهرت بوادر الخيانة ، ومزقت اوصالنا ، فهوينا وبتنا في قبضة
الاعداء . اما اذا خضنا المعركة فاني واثق ان الآلهة لا تهملنا »

وكان لنبرات صوت ملتيا دس تأثير عظيم في نفوسنا . وسمعنا
دويّاً في الفضاء فوق رؤوسنا ، فسرّه الارواحيون انه صوت ارواح
ابطالهم وجبايرتهم ، تزي رأي ملتيا دس ، الذي سطعت على مجاه

أنوار الالهة . فهابه كلبا خس الرئيس ، واطرق يفكر هنية ، ثم أن
أنة عميقة ، ورفع رأسه وقال : — « حرب أيها الابطال »
فتقررت الحرب حالا . وعينوا ملتيا دس قائداً عاماً ، وخضع له
العشرة الزعماء

سهل مراثون

يقع هذا السهل ، الذي نراه الآن ببيوتنا ، بين الجبال ، التي
نحن عليها ، والبحر . وهو هلامي الشكل ، في جنباته مستنقعات
ومغاوص ، تحول دون حركات الخيول ، والجبال حوله صخرية
وعرة ، تغطيها الاشجار الظليلة المثمرة ، ويفوح ارج بعضها فيعطر
الانفاس . وهذا السهل مكرس لهرقل بطل اليونان الشهير . وعلى
مقربة منه نبع مكاريا التي آثرت الحرية على الحياة . فكان في جوه
وجنباته كهربائية الوطنية والقومية والشهامة

الجيشان

أمانا جيشان : الجيش الفارسي ، والجيش اليوناني . وأين
هذا من ذاك ؟ . فلا يزيد اليوناني على عشرة آلاف ، انضم اليهم
الف جندي من بلاتيا قبيل بدء المعركة ، فصاروا أحد عشر ألفاً .
أما الجيش الفارسي فتغطي مضاربه وخيوله ورجاله ، سهل مراثون .
فظهروا لنا كنجوم السماء ، وكالرمل الذي على شاطئ البحر ، فلا
يُعد من الكثرة . ونرى أسلحتهم وخوذهم ودروعهم وصفاحهم ،
تلمع تحت أشعة الشمس . وفي هذا الجيش : فرقة الحرس الملكي ،
أرباب المجد الخالد والانتصارات العديدة تحت كل سماء : فيلق
الماديين الجيابة ، الذين دكوا بزعامة كيكزارس ، أمجاد بابل

العظيمة : الجيليون من هرkania وأفغانستان : فوارس خراسان ،
العوايس ، واذرييجان : رماة الحبشة السود البارعون : سيافة الدجلة
والعاصي والنيل . أبطال كل أمة تحت السماء أتوا لمحاربة هذه الشرذمة
اليونانية . فكان جيش أثينا أمام الجيش الفارسي كاللجاجة أمام الفيل

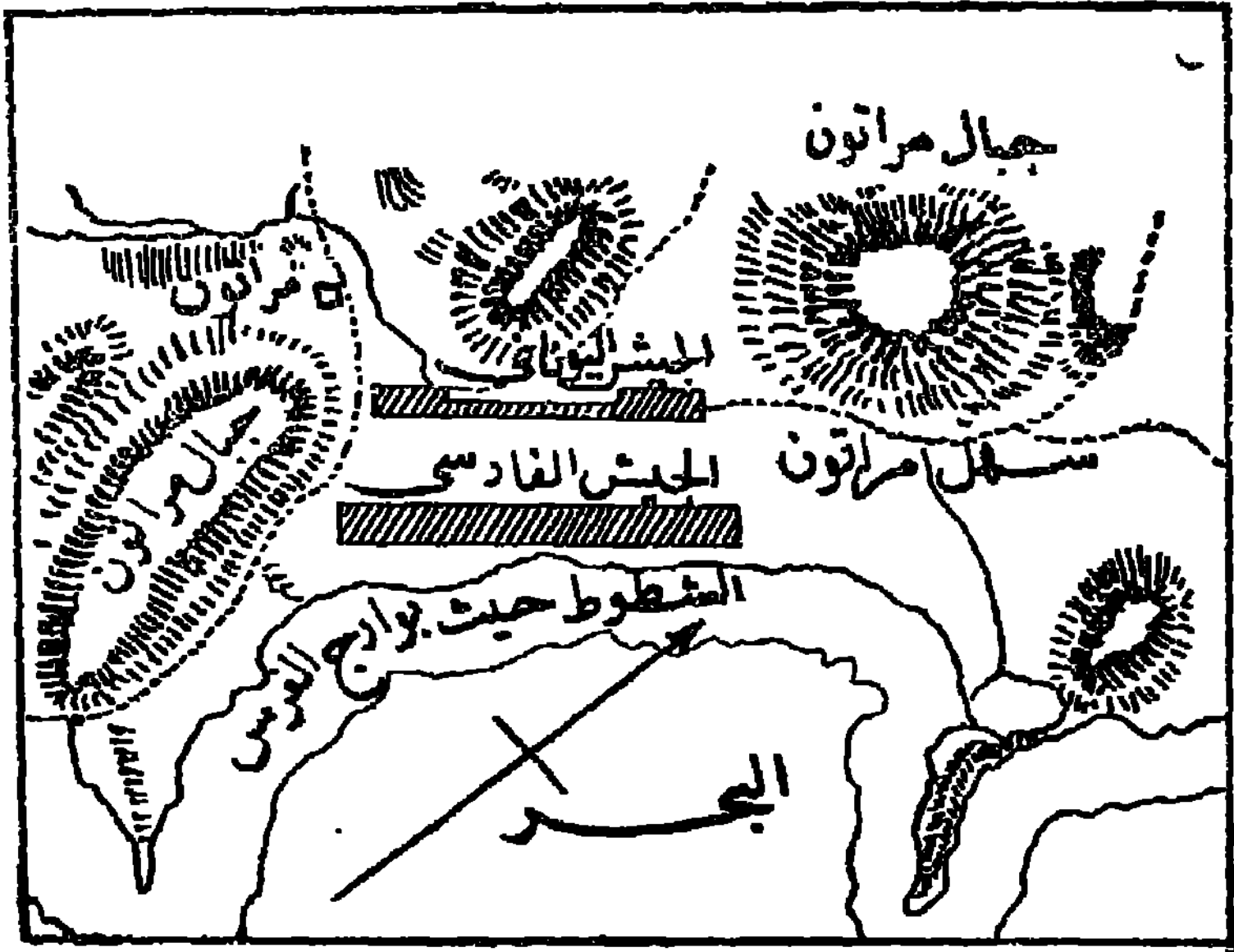
معنويات الجيشين

ولكن لم يخف على مئتيادس الفرق العظيم بين معنويات
الجيشين . فقد عرف مواطن الضعف في الجيش الفارسي ، لما رافقه
الى الدانوب . اذ ليس فيه الاخاء والوحدة كما في الجيش اليوناني ،
لاختلاف اجناسهم وجنسياتهم ، وتنوع مذاهبهم وأوطانهم . ولم
يربطهم معاً الا قيود الاستعباد وكانوا يعولون في القتال على السيوف
الحفاف والرماح القصار ، بخلاف اليونانيين ارباب الرماح الطوال
والسيوف الصقال ، والدروع المنضدة . وكانوا يمتازون على الفرس
بتدريبتهم العسكري ، والجناسنيكي . فكانوا يتقدمون ويتأخرون ،
وصفوفهم قوية ، لا تتعوج ولا تلتوي . ثم ان وجود هيبياس الخائن
في الجيش الفارسي يذكي نيران الحقد والنقمة في قلوب الاثينيين
ضدهم . أمام هذه الحقائق وقف مئتيادس موقف القائد الحكيم
الواثق من نفسه ومن قومه

تنظيم الهجوم

في أحد أيام سبتمبر بعد الظهر سنة ٤٩٠ ق.م . رتب مئتيادس
الصفوف ، ووزع الاسلحة ، ووضع كلباخس في الجناح الايسر ،
حسب التقاليد ، لانه الحاكم الحربي . ووضع الى جانبه الانصار
البلائين . ووضع أريستيدس وشمسوكليس في القلب . وأخذ هو

الجنّاح الایمن . وكانت عیناه على کل أقسام الجیش .
 وجعل صفه طویلاً رقیقاً ، لیصل بین المستنقعات والمناوص ،
 فلا یترک ثمة مجالاً لحركات الخیول الفارسیة لاجراء حركة الالتفاف
 بجناحیه . وقسم الصف الی مربعات ، كثافة المربع ثمانية رماح .



میدان مراثون

وأخفی تنظیمه عن أعین الاعداء . ولما اكمل تنظیماته نشر فی الجنود
 التشید الآتی وهو من نظم اسخیلوس :

یا بني اليونان هیّا لحمی أوطانکم
 وادفعوا جیش الاعداء واعضدوا اخوانکم
 وعن الاعراض ذودوا جرّدوا شجعانکم
 وأمرهم بالجري ركضاً نخیل الرهان ، عوض السیر البطیء المعتاد
 فی الزحف ، کی یصلوا الفرس قبلما یتمکن اولئک من القيام بحركات

الفرسان أو رماة السهام . وكان الاثينيون قد الفوا مثل هذه الحركات
الجناسيكية . فأنحدروا صفاً واحداً ، وأعيننا تراقبهم ، ولم يلتو
صفهم ، بل كان خطأ هندسياً مستقيماً
ورأينا حكمة ملبادس في ترتيبهم ، اذ وضع الاخ الى جانب
أخيه ، والنسيب مع نسيبه ، والجار مع جاره ، وأبناء العشيرة
الواحدة بعضهم مع بعض . فكانوا اخواناً متساندين ، فاذا استغاث
أحدهم لبته القلوب قبل الحناجر . فاندفعوا على جموع الفرص اندفاع
الاسود الضراغم على طرائدها . ولم أر مشهداً شائعاً كهجوم الاثينيين
في سهل مراثون

التحام العراك

ولم يكن كلاً ولا حتى التحم العراك ، وانعقد فوق رؤوسهم
قسطل الحرب . ولكننا تمكنا من رؤيتهم لان أشعة الشمس كانت
واقعة عليهم من ناحيتنا . فالتحمت الصفوف ، ووردت الالوف
موارد الختوف ، ولم نسمع الا قعقة السلاح ، وزئير الابطال ،
وأنين الجرحى والمحتضرين . وظهرت ارجحية السلاح اليوناني ،
والتدريب الاثيني . فكانت حرايبهم الطويلة تصيب الاعداء ، وحرايب
اولئك قصيرة ، وعبثاً يحاولون الاحاطة بأحد أبطال اليونانيين
فيعملون فيه خناجرهم ، اذ كان الاخوان يذودون عن أخيه في
ساحة الوغى ، فيردون عنه الخصم مدحوراً . فسقط رجال الصف
الاول الفارسي ، على مرأى من قوادهم . فتقدم الصف الثاني ،
فأصابه ما أصاب الاول

ورأينا من حملات داتيس وربواته ما أوجب تراجع قلب الصف

اليوناني . فأدرك ذلك ملتيادس حالاً ، وأمرع فأطبق على الفرس من الجانبين ، فشغلهم ريثما تمكن اريستيدس وتمستوكليس من إعادة تنظيم مربعاتهم ، فأعادوا الكرة على الفرس . ووقعت الصفوف تحت أقدام الصفوف . وفتحت جبهة الفرس ، وعجزوا أمام حنكة ملتيادس الحرية

وبعد ما أبدى الفرس استبسالاً مدهشاً ، ولوا الادبار . فصاح اليونانيون ، وجدوا في اثرهم . وطاردوهم مطاردة النسر صغار البغاث ، وضغطوا عليهم عند الشاطئ ، وأدركوا سفنهم ، وصاحوا « النار النار » يرومون أن يحرقوها ، ويقطعوا عليهم خط الرجوع . وغنموا سبعا من تلك السفن . ولكن الفرس ركبوا بقيتها وأقلعوا في عرض البحر ، تاركين من جثث جنودهم في الميدان ٦٤٠٠ تجاه ١٩٢ فقط من اليونانيين ، وقد سقط أكثر هؤلاء عند الشاطئ . ومن قتل هناك كلها خس انريثيس ، والشاعر اسخيلوس ، وبعض كبراء اثينا

ولم تخن داتيس الحيلة ، فسار بأسطوله قاصداً اثينا ، ليوقع بأهلها على حين غرة منهم . ولكن ملتيادس شعر بمقصد داتيس ، فسبقه الى اثينا ، أمراً عسكريه ، الذين ما كادوا يلقون السلاح ، أن يسيروا الى اثينا للدفاع عنها . فصرى بهم كل الليل ، وفي الصباح ، لما وصل داتيس بسفنه ، رفع عيونته الى الهضاب حول اثينا ، فرأى الجنود الذين خاضوا البارحة المعركة في مراثون ، قد أحاطوا بعاصمتهم لحايتها . فعندئذ أيقن بالفشل والانكسار . فدار بأسطوله وعاد الى الاناضول

وحينئذ وصلت النجدة السبرطية ، اذ كان قد اكتمل البدر ،
وقام اربعة آلاف منهم ، وقطعوا المسافة بين سبرطا وأثينا ، وهي
١٥٠ ميلا في ثلاثة أيام . ولما وصلوا وعرفوا ان المعركة قد انتهت
طلبوا أن يزوروا الميدان وكانت جثث القتلى لا تزال على الارض .
ولما جاءوا الى الميدان رأوا جثث الفرس مكدسة أكداً فهنأوا
اخوانهم الاثينيين بفوزهم وعادوا الى وطنهم في لقدمونيا

· الحوادث التي تلت معركة صرائونه

سنة ٤٩٠ - ٤٨٧ : كان الفرس يعدون حملة جديدة للانتقام
من أثينا

سنة ٤٨٧ : ثارت مصر على الفرس ، فعاقت الحملة

سنة ٤٨٥ : مات داريوس وخلفه ابنه كبير

سنة ٤٨٤ : استرد الفرس مصر

سنة ٤٨٠ : غزا زركسيس اليونان ، وحدثت معركة ثرموبلي ،
حيث قتل ليونيداس والثلاثمائة السبرطيون . وفاز اسطول اليونان على
أساطيل الفرس في سلاميس

سنة ٤٧٨ : انكسر مردونيوس القائد الفارسي امام اليونان
في بلاتيا

سنة ٤٧٧ : انضوى اليونان تحت علم أثينا . فعلا قدرها

سنة ٤٦٦ : فاز اليونان على الفرس في اوريميدون

سنة ٤٦٤ : ثارت مصر ثانية على الفرس

سنة ٤٥٧ : شبت حرب بلبونيس بين أثينا واخواتها وفي هذه

السنة سارت ٢٠٠ بارجة من أثينا ، فيها ٤٠ ٠٠٠ رجل ، الى مصر
وصعدت في النيل ، وحصرت مدينة ممفيس ، عاصمة مصر ، وكانت
بوارج اخرى تحصر قبرص ، وشطوط فينيقية

هنا بلغت أثينا اوج مجدها . ونبغ فيها عظام الفلاسفة ، سقراط
وارسطو وافلاطون

سنة ٤٢٥ : استؤنفت الحرب بين مدن اليونان ففازت أثينا
على سبرطا

سنة ٤١٥ : سارت حملة أثينا ، البحرية ، على سيراكوسا في
سيسيليا

وهي موضوع المقالة الثانية

معركة سيراكوسا

سنة ٤١٥ ق . م .

« لم يتصور الرومانيون ما كان يتهدد ذريتهم ، والغرب اجمالا ،
بأسطول أثينا في مرفأ سيراكوسا . فلو فاز الاثينيون هنالك لكان
اليونان لا الرومان الفائزين بقرطاجنة . ولكانت الزعامة لهم في
الاجيال التالية وليس للاتين . وكانت اليونانية ، لا اللاتينية لغة
ايطاليا وفرنسا واسبانيا . وكانت شرائع أثينا ، لا شرائع رومية ،
أساس التشريع الاوربي . »

(ارنولد في تاريخ رومية)

« حملة أثينا البحرية على سيراكوسا من أهم فواصل المعارك »
(نيبور)

تركنا أثينا في موقف الدفاع عن حرمة أوربا ، والتمدن ، أمام
هجمات الفرس ، ورأينا رجالها يزدادون حولا وطولا ، حتى هاجموا
مصر ، وحاصروا عاصمتها . ولكنتنا في سيراكوسا نراهم ، وقد
انعكست الآية ، فصاروا هم المهاجمين المدحورين ، كما دحروا هم
الفرس قبلاً ، وكما دحر هؤلاء الكلدانيين والاشوريين من قبل

مقارنات الاحوال في القرن الخامس ق . م .

هذا القرن هو قرن القرون في تاريخ الانسانية . فيه برزت أهم عوامل الاجتماع في التاريخ . فظهر بوذا وكنفوشيوس وسقراط وأفلاطون وأرسطو ، ووضعت أسس الامبراطورية الرومانية . وفيما كان الحكماء والمتألهون يشنون دعوتهم شرقاً وغرباً، وذلك أناس الأديان والنظم الاجتماعية ، كانت اثينا تهجم على الليرنث الروحي قاصدة امتلاك الانسانية والمستقبل . فكانت تحلم بالامبراطورية العالمية ، وهو حلم بابل ونيوى ورومية وباريس ولندن وبرلين وبطرسبرج . هذا كان حلم اثينا ، حتى أيقظتها من حلمها الصدمة الهائلة التي أصابتها في سيرا كوسا . ولذلك حسبت معركة سيرا كوسا نقطة تحول في التاريخ

ما هي سيرا كوسا ؟

هي مدينة شادها الكورثيون، على طرف لسان ممتد من جنوبي سيسيليا الشرقي الى البحر . وموقعها بين خليجين . فالشمالى هو خليج تاييس ، والجنوبى مرفأ المدينة . فكان موقعها شبه جزيرة . ولكنهم فتحوا بين البحرين قناة فصارت جزيرة حقيقية لم تحتل مدينة في الدنيا ما تحملته سيرا كوسا في تاريخها من الهجمات . اذ هاجمتها على التوالي اثينا ، قرطاجنة ، فرومية ، قالقندال ، فالعرب ، فبنظية ، فنورمنديا . وكان ثباتها على الدفاع من أغرب حوادث التاريخ في كل العصور . قال ارنولد « لولا سيرا كوسا ، السد الواقي الذي وضعت الطبيعة في طريق الفاتحين ، لمغمرت سيول الغزاة اوربا »

عظمتها ومناعتها

كانت سيراكوسا ، في ذلك الزمان ، كالملكة جالسة على آخر امتداد البر الاوربي في البحر المتوسط . وتكاد تسد الخليج الى جنوبها . وكان البحر يصوبها من الجهة الواحدة ، والسور المنيع من الجهة الاخرى . تليه هضبات « هيللا » ، وهوة عميقة ، فلا يقوى الطامعون على اقتحامها

وكانت عادة الحصار قديماً أن يشيد الفاتحون سوراً ، حول سور المدينة المحصورة ، ويسقفون الساحة بين السورين ، فيتخذها الفاتح مقراً لجنوده ، ويلبث ينتظر ثغر السور ، اما بخيانة ، او بضغط الجوع على المحصورين . فدخلها الجيش الغازي ، ويمعن في أهلها قتلاً ونهباً . ولم يكن فتح مدينة محصنة عنوة ممكناً - كمدينة سيراكوسا - الا بقوة مزدوجة برية وبحرية . وفي ذلك مشقة لا تخفى على القائد الخبير

تفوق أثينا .

كانت أثينا القوة التي وقفت في وجه القوات الفارسية . في ذلك العصر ، حين لم تقو بابل ولا مصر ولا الشام ، على ذلك ولكن أثينا صدت العدو مدحوراً ، كما مرّ بك في معركة مراثون . وشرعت بعدها تعزز اسطولها ، عملاً برأي بيركليس . ولما جاءت الحملة الفارسية الثانية بزعامه زركسيس ، وحلت بلاد اليونان ، تهر الاثينيون الى اسطولهم ، وصاروا كلهم ، تقريباً ، بحارة . ثم كسروا الاسطول الفارسي في سلاميس ، وكسروا بعده جيش بلاتيا ، فدانت لهم المدائن والجزر ، اليونانية ، وصارت تعتمد على

حمايتهم ، وتدفع لهم الجزية . فاعتزت ائتنا ، وشادت بالقوة التي
احرزتها مجداً . وكانت تتفق ما تأخذ جزية على تهذيب أبنائها
بالعلوم والفنون ، ولا سيما البحرية . فشاد فيدياس على الاساس الذي
وضعه بيركليس

قسوتها على مستعمراتها

كل مستعمر هو مستبد ، تلك سنة العمران السرمدية
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
هكذا كانت نينوى وبابل وصور ومفيس وقرطجنة ورومية .
وهكذا قسطنطينية وقينا ومدريد وباريس ولندن وبرلين وأمستردام
على انه ولا واحدة من كل هؤلاء أبدت قسوة ائتنا بصورة هائلة .
فكانت تجهر بلزوم تدمير ، واستئصال شأفة ، كل من سولت له
نفسه الخروج عن طاعتها ، او الوقوف في وجه استبدادها وعنفها
وكثيراً ما ردد الاثينيون القول ، وليس بدون حق :

« ان ظلم سبرطا علمنا الظلم »

فكان سكان المستعمرات عبيداً لائتنا ، يؤدون الجزية عن يد
وهم صاغرون . فاسرفت ائتنا في اذلالهم ، وخصت رجالها بالمتاصب ،
واعدتهم لذلك بالتعليم والتدريب ، ولم يكن اسطوطها يعرف الهزيمة
او الانكسار . فكان حلمها بالسيادة الكونية امراً طبيعياً . وكانوا
يمثلونها في المسارح سيدة الف امة . اذ كانت مدائن شطوط اناضوليا
الى البوسفور ، وكل جزر بحر ايجه ، مع مدائن البلقان ، تدفع
لها الجزية

.سياسة بيركليس - كبوة أثينا ونهضتها.

وكان الاثينيون يهمون بغزو سيسيليا ، وانتزاع أزمة الاحكام من أيدي رجالها . فحال دون ذلك بيركليس الحكيم . فنهضهم عن مخاطرة كهذه ، قد تكون نقطة تحول في تاريخ أثينا الحربي والسياسي ، ولما هاجم الكورثيون أثينا سنة ٤٣١ ق . م . وأثاروا عليها كل مدن بليونيسس ، واغتصبوا أملاكها ، وبلغوا أسوارها ، تراءى لهم ان نهضتها من كبوتها مستحيلة . على انها نهضت سريعاً ، واستعادت قوتها ، وصارت بهمة بيركليس وإدارته الحكيمة سيدة البحار . واستخدمت العبيد والمأجورين في أسطولها ، وحصرت الإدارة بأيدي أبنائها . ولم تخش فاتحاً أو طموحاً . قال بيركليس « قد يمكن ان تسود سبرطا كل اليونان ، لكنها لن تسود أثينا » . وفي ذلك اعراب فصيح عن ثقة الاثينيين بانفسهم ، وميزتهم على السوى . ولما فقدت سبرطا حكمتها ، بموت زعيمها براسيداس ، ومل الفريقان الحرب ، تهادنا سنة ٤٢١ ق . م . فرمحت اثينا سريعاً ، ما تشعث من بنائها ، وعوضت ما خسرت من مال ورجال . وظهرت سنة ٤١٥ بتمام القوة ، مستعدة لحوض المععان

اطاع الاثينيين سيراكوسا

فتحولت أنظار الاثينيين الى الغرب . وكان لهم في سيراكوسا مطامع كبيرة . ففكروا انهم بامتلاكها يمتلكون كل سيسيليا . وبامتلاك سيسيليا يمتلكون رومية وقرطجنة ، وذلك يعدل ، في عصرنا ، امتلاك لندن وباريس ونيويورك وطوكيو . فكانت سيراكوسا في أعين الاثينيين مفتاح الدنيا . ولم يكونوا مخطئين بهذا التقدير ، لان

رومية كانت ، يومئذ ، في مهدها ، وقرطجنة لم تخلق بعد . فلو فازت
أثينا في سيرا كوسا لما كانت الامبراطورية الرومانية
وكانت أثينا عالمة أهمية العمل الذي توخته . فسافت على
سيرا كوسا أفضل بوارجها ، ووضعت في كل بارجة أفضل رجالها .
وجهازت أساطيلها بالمؤن والذخائر . ونخر الاسطول سنة ٤١٥ ،
وكله عزيمة وثقة ، قاصداً سيرا كوسا

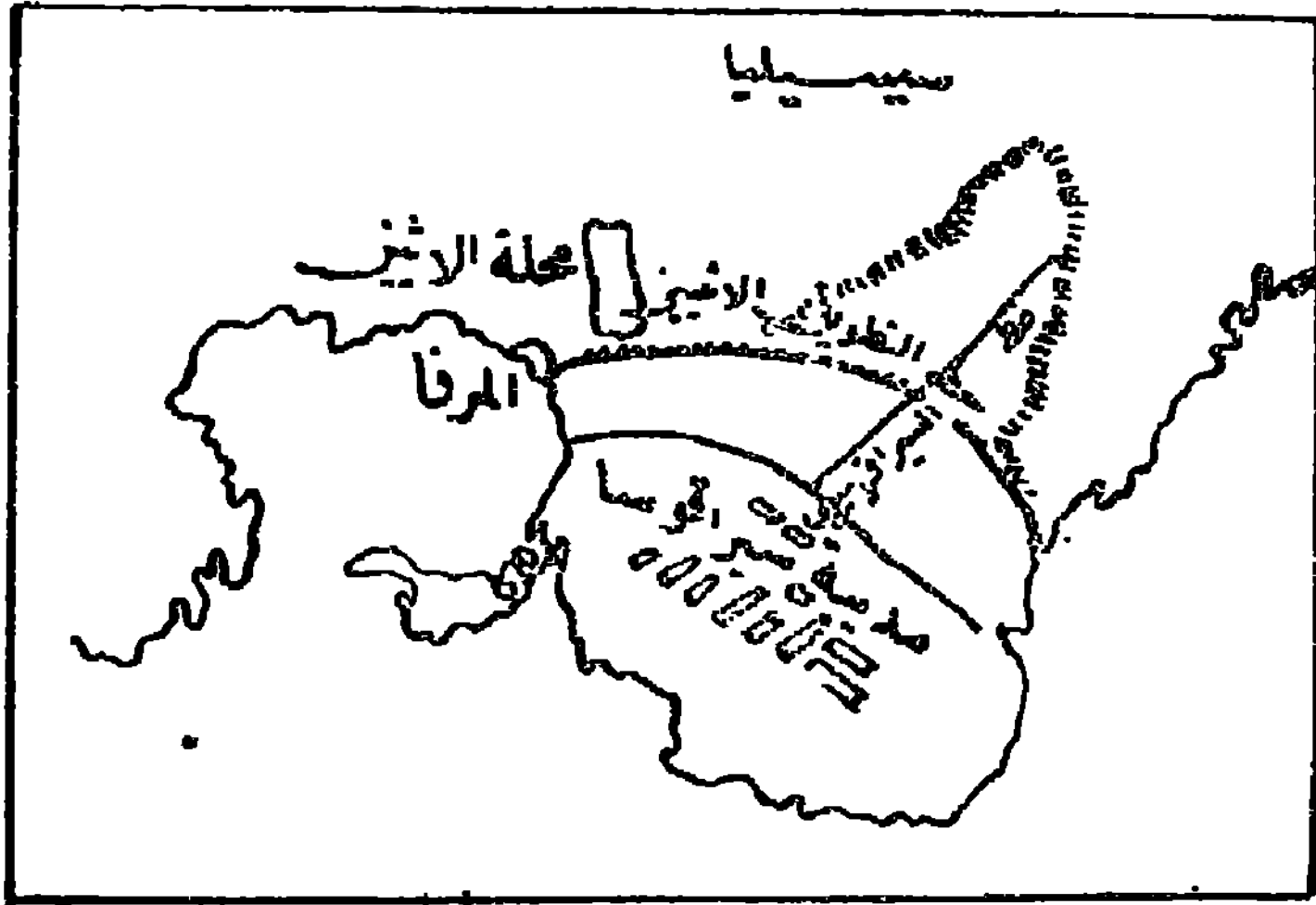
شؤون سيرا كوسا

كان أهالي سيرا كوسا مستبدين بمحيطهم . استبداد أثينا بمحيطها .
الا أن أثينا قاتتهم حرياً وبحرياً . ولما تسربت الى سيرا كوسا أخبار
فكرة أثينا بغزوهم هزأوا بها . ولكن اكبر خطبائهم قال : « ان
احتلال أثينا سيرا كوسا ليس مستحيلاً ، فان اثينا أعقل من ان
تؤخذ بالوهم . وان اساطيلها تضمن لها التسلط على بر ايطاليا ،
فتستمد منها كل ما يحتاج اليه لتدمير سيرا كوسا ، ولا يهمل بعدها
عن مواردها » . روى ذلك ثوثيديس . وألح ذلك الخطيب على
قومه ألا يغتروا بالوهم ، بل ليقوموا للاستعداد لصدهجات أثينا ،
ويدفعوا القوة بالقوة

زعماء الحملة الاثينية

كانت الحملة مؤلفة من ١٣٤ بارجة ، عدا سفن النقل والمهمات
وكان قوادها ثلاثة وهم السيادييس ولاماخس ونيسياس . فمات
لاماخس ، وعاد السيادييس الى أثينا للمحاكمة عما عزي اليه من
التهم . فبقي نيسياس ، وهو ضعيف الرأي ، واهن العزيمة ، لا يصلح
لهذه المهمة

« وخاف السياديس أن يصير فيه كما صار باستأذه سنقراط ،
 فهرب الى سبرطا ، وأثار كل بلبونيسس على أثينا ، فكان سبب
 دمارها . وقد قيل لا يقطع الشجرة الا فرعها . فكان السياديس



سيراكوسا ومحيطها

ذلك الفرع الذي قطع أصله . على ان الاثينيين ، بالرغم من ركاكة
 قائدهم ، كادوا يستولون على سيراكوسا ، فقد «صروها» وشادوا
 حولها سوراً ، كاد يكمل فيفصلونها عن سيسيلىا ، ويتمون فتحها .
 وكان اسطولهم يملك تليها البحر ، فكان أمل فتحها وثيقاً ، وأمل
 الدفاع عنها ضعيفاً ، فشرع زعماءؤها يبحثون في شروط التسليم

مساعي السياديس في سبرطا

جاء السياديس سبرطا ، وجعل يخطب فيها وفي كل بلبونيسس
 ضد أثينا ، بفصاحة لا تبارى . فأبان للقوم حراجة موقف سيراكوسا
 والفرصة السانحة لصد أثينا عنها . ولو سمح لي المقام هنا لاوردت

خطبة السياديس ، وهي أشهر من خطبة ملتيا دس في مراثون .
وكانت نتيجة مساعيه ان هبَّ خصوم ائينا لمقاومتها وانشأوا أسطولا



السياديس

سلموه لجيلبوس ، وهو من
كبراء بليونيسس . ولم يعطوه
مالا ولا رجالا . ولكنهم
أباحوا له استعمال اسم سبرطا
في استنهاضهم الجالية اليونانية
في سيسيليا . وفيما كان أهالي
سيراكوسا على وشك التسليم ،
وصل اسطول جيلبوس ، وبذل
بحارته جهدهم في التجذيف
كانهم ادركوا حرج الموقف ،
في الدور الذي يمثلونه في اغرب

رواية في تاريخ المدائن ، لانه على سرعتهم توقف مصير تمدن
أوربا ، اما يونانياً او رومانياً

وبما أن سفن جيلبوس ليست مما يشغل بال الآثنيين كثيراً لم
يتعرضوا لها لما وصلت البر ، فسارت نواً الى سيراكوسا . وحالما
صارت على مسمع من رجالها ، صاح بهم جيلبوس ان « قفوا ولا
تسلموا » . وأخبرهم ان النجدة آتية اليهم . فعاشت آمالهم وتشددت
سواعدهم ، وصارت قوتهم مائة ضعف ما كانت . وصعد جيلبوس الى
البر ، وتمكن من جمع النفي محارب ، من المدن اليونانية في سيسيليا

قنظهم جيشاً جاعلاً جرثومته البحارة الذين معه

ديمستينس

على ان اثينا لم يفت في عضدها ذلك فاستدعت نيسياس الضعيف



ديموستينس

من بحر سيراكوسا ، وعينت بدله ديمستينس المشهور « بالخطيب »
وجهازت ٧٤ بارجة جديدة ، زودتها بأفضل البحارة وأوفر المعدات
وهم ٥٠٠٠ بحار و ٦٠٠٠ من رماة القسي ، عدا الخدم والمجذفين
ولم تكن مواهب ديمستينس الحربية دون أهليته الخطابية ، وكانت

سيرته خالية من كل وصمة . وقد أبدى من الفعّال في الحروب
البلبونيسية ما يضعه في مصاف كبار القواد . وكان وصوله الى
سيراكوسا كوصول جيلبوس . ذاك وصل والسيراكوسيون على
وشك التسليم ، وهذا وصل والآثينيون على وشك الدمار . وكان
أسطول سيراكوسا متأهباً لمهاجمة الاسطول الآثيني بقيادة ارسطون
الكورثي . وكما حول جيلبوس مجرى الاحوال ، كذلك حولها
ديمستينس . فلما وصلت بوارجه ، وصعد رجالها الى البر ، علت
أصوات التهليل ، وخفقت قلوب أهالي سيراكوسا ، واعتراهم الوجل
وعلموا أنهم خدعوا بتصديق أقوال جيلبوس . ان اثينا ساقطة ،
وكل مدن بلبونيسس عليها ، وأنه لم يبق لها رمق من الحياة . فرأوا
الان ان كل ذلك كذب ، وان موارد اثينا لا تنضب ، وانهم مهددون
أمامها بالهلاك .

ادارة ديمستينس

حالما وصل ديمستينس ادرك ان تلة اييبولا هي مفتاح المدينة .
ففاجأ حاميتها مفاجأة أصابت المرمى . فزحزحها ، وامتلك الموقع .
واستعد لتطويق المدينة ، والفوز بشرف فتحها . فرأى أهاليها ان
النجدة التي جلبها لهم جيلبوس ستعجل سقوطهم ، لأنها زادت
الآكلين في مدينة محصورة

كارثة الآثينيين

فتقدم الآثينيون ليلاً بقيادة ديمستينس ، وكان قد جهزهم
بمؤونة خمسة أيام ، كانه عازم على حملة بعيدة . وسار بهم في طريق
أييبولا الجنوبي ، حتى أشرف على الحندق الغربي العميق . وعندئذ

حول جنوده الى اليمين بسرعة ، وهجم بهم على الهضبة مواجهة ،
فامتلكها بتلك المفاجأة . وانزع مواقف السيراكوسيين الامامية
وعززها برجاله . ثم انحدر بالاثينيين طامعاً بافتتاح المدينة . وكانت
حاميتها تنسحب من قدامه مخفية مواقعها . ولكن كان الاي جنود
من مدينة بواتيا كامناً تحت الهضبة ، أمام أسوار المدينة . فلبث ما كناً
ولم يعبأ بما كان يجري حوله من الحركات والانهمام والصيحات ،
فلم يدربهم الاثينيون . وكان فوزهم وطمعهم بالعدو قد حملهم على
ترك النظام فانتشروا حول المدينة سراذم لاغتنام الغنائم ، فحينئذ
نهض رجال بواتيا من مكنتهم ، وهم في اكمل نظام ، واتم استداد
وصدموا الاثينيين صدمة شديدة ، فتشوشوا واضطربت قلوبهم ،
واختلت حركاتهم ، وعجز ديمستينس وضباطه عن اعادة تنظيمهم ،
وصارت وحداتهم تحارب بعضها بعضاً . وانقلب السيراكوسيون
من منهزمين الى فائزين . فانتقموا من الاثينيين شر نقمة عرفها
التاريخ ، وكسروا اسطولهم ، وذبحوا رجاله ، وقتلوا ديمستينس
ونيسياس شر مقتل ، وباعوا الباقين من جيش اثينا عبيداً .
وختمت غزوة سيراكوسا بكارثة لم تصب اثينا بمثلها . وزال
كل خطر يهدد الغرب من اثينا

الحوادث التي تلت معركة سيراكوسا

سنة ٤١٢ : انتقض كثيرون على اثينا لما علموا بفشلها في سيراكوسا

» ٤١٠ : حاولت قرطجنة فتح سيسيليا

» ٤٠٧ : هجوم كورش بجرأ على اثينا لمساعدة سبرطا

- سنة ٤٠٦ : فتح قرطجنة مدينة اغريجنم بايطاليا
- » ٤٠٥ : سحق اسطول اثينا ومحاصرتها . جلوس ديونيسيوس
في سيراكوسا
- سنة ٤٠٤ : سقوط اثينا . ونهاية حرب بلبونيسس بفوز سبرطا
- » ٤٠٣ : استعادة راسيبولوس حرية اثينا
- » ٤٠١ : حملة كورش على أخيه ، ومرافقة العشرة آلاف
يوناني له الى بلاد الفرس ، ومعهم الفيلسوف زينون
- سنة ٣٩٩ : محاربة سبرطا ستراب الفارسي بقيادة اجيسلاوس
- » ٣٩٤ : فتح رومية مدينة « في »
- » ٣٩٣ : كسر كونون الاثيني اسطول سبرطا بمساعدة الفرس
ترميم أسوار أثينا
- سنة ٣٨٨ : ظهور الغال في شمالي أوروبا لأول مرة في التاريخ
- » ٣٥٩ : ظهور فيلبس المكدوني والد الاسكندر الكبير
- » ٤٥٦ : ولادة الاسكندر بن فيلبس
- » ٣٤٣ : بدء حروب رومية السمنية ، وتملكها كل ايطاليا
- » ٣٤٠ : هجوم القرطاجنيين على سيراكوسا
- » ٣٣٨ : تسلط فيلبس المكدوني على كل بلاد اليونان
- » ٣٣٦ : مقتل فيلبس ، وخلف ابنه الاسكندر اياه
- » ٣٣٤ : عبور الاسكندر البوسفور الى آسيا لمحاربة داريوس

معركة أرييوس

سنة ٣٣١ ق . م .

انتزاع أوروبا السيادة من آسيا

ان دخول الاسكندر المكدوني قارة آسيا عبارة عن فصل خطير
مثل على مسرح التاريخ ، وهو براعة استهلال علاقات أوروبا بآسيا
مدة الفين وثلثمائة سنة الى اليوم .

كان اليونانيون يجهدون ، فيما سلف ، لرد غارات الفرس عن
بلادهم . فاصبحوا يهاجمونهم في عقر دارهم ، وغلبوهم . فغدا القديم
ينهزم من الحديث ، وسقط الكبير أمام الصغير . هذه صورة مصغرة
لعلاقات أوروبا وآسيا من ذلك الحين
نابليون واسكندر

لا يقدر الرجل الا نده ، حكم مطرد في كل زمن . واليك
تلخيص حياة الاسكندر بقلم نابليون . قال :
« عبر الاسكندر الدردنيل سنة ٣٣٤ بأربعين ألفاً خسرهم خيالة ،
واجتاز نهر جرتا كوس ، بالرغم من مقاومة القائد اليوناني المأجور
لقيادة الفرس واسمه « ممنون » وقضى سنة ٢٣٣ . ق . م . يوطد
دعائم ملكوته في الاناضول ، ونشر فيها ، وفي كل مكان حله ، اللغة

اليونانية ، والتمدن اليوناني . والتقى بداريوس قرب طرسوس
كيليكيا سنة ٣٣٢ ، ومعه ستون ألفاً ، فقهروهم . ودخل سورية ، وفتح



اسكندر المكدوني

مدائنها ، وحرر بصحراء
سينا ، الى مصر ، فافتح
مصر والسودان وطرابلس
الغرب ، واخطت مدينة
الاسكندرية . وعاد سنة ٣٣١
فاجتاز في فلسطين وسورية
الى الشمال . وعبر الفرات
والدجلة ، وخاض معركة
اريسلا ، ففاز فيها على
داريوس ، وحل عقد
الامبراطورية الفارسية .

وحل محلها . وفتحت عواصم فارس له أبوابها فغشي بابل وبرزيبوليس
وسوسا وباسرجاد ، حيث مدفن كورش العظيم . ثم عطف شمالا ،
قامتلك شطوط قزوين ، وبلاد الديلم ، واقتص من باسوس الخائن
لقتله داريوس . ودخل هندستان سنة ٣٢٧ ، وأسر بوروس ملك
البنجاب : وعاد منها سنة ٣٢٦ بشماعة سفينة ، سلمها لنيارخس ،
عند شط الاوقيانوس الهندي ، وجاز قرمانيا ، ومرت ثانية بالعواصم
الفارسية ، وعاد الى بابل سنة ٣٢٤ ق . م . «

موقع المعركة

اريسلا بلدة شرقي دجلة ، بينه وبين جبال كردستان . تبعد

عن ميدان المعركة الحاملة اسمها ٢٠ ميلا . وأقرب قرية الى ذلك الميدان هي قرية « جوغبلا » . ويمتد ذلك السهل مسافة شاسعة . وفيه بضع هضبات ، ولكن اكثره منبسطات ملائمة لسير العربات ، وحركات الخيول . فهو في مصلحة الجيش الاوفر عدداً . فاختيار داريوس اياه موقعا للمعركة الفاصلة من مظاهر أهليته الحربية . لانه واقع في منتصف املاكه ، قريب من مراجعه جيوش المعركة

نقلا عن تقارير ارستبولس وبطليموس قائدي الاسكندر ، قال :

كان مع الاسكندر أربعون ألفاً من المشاة ، وسبعة آلاف من الفرسان . وكلهم من الكماة المجريين ، الذين خاضوا المعامع والنصر حليفهم . وقد جهزهم بالرماح الطوال ، والسيوف الصقال ، وجعل سمك المربع ١٨ صفاً . وكانت رماحهم تمتد من مقبضها ١٨ قدماً . فكان أمام المربع المكدوني جدار من الاسنة ، لا يقوى بشر على اختراقه . وكانت جنود المربعات مع اسكندر ١٨٠٠٠ مقسومة الى ستة الايات ، في كل ألي ثلاث فصائل . ثم حملة التروس ، وعددهم ٦٠٠٠ ، وأسلحة هؤلاء خفيفة ، بعدهم المشاة ولا أعلم كم عددهم . ثم ومائة النبال ، فالضاربون بالمقلاع ، فرجال السيف العريض . وفرقتان من الخيالة ، هما الفرقة التسالية والفرقة التراكية . هذا هو جيش اسكندر

أما جيوش داريوس فكثيرة العدد . وفيها ، أولا : الجيليون من أفغانستان وتبيت وبخارى وخيوا . ثانياً : الفرسان من كردستان

وتركستان ، وشيوخ بكتيريا . ثالثاً : السكيثيون - الروس - ومعهم
١٥ فيلاً و ٢٠٠ عربة كبيرة . رابعاً : رماة النبال من مناطق البحر
الاحمر

مقدمات المعركة

عبر الاسكندر الفرات وسار شرقاً ، تاركاً أسفل العراق ،
بعواصمه الغنية ، يمنة . ولما علم ان داريوس في ارييلا اسرع فعب
الدجلة . وواصل مسيره شرقاً ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع أتته
التقارير ان قد ظهرت طلائع جيوش داريوس . فاعد جيشه للصدام ،
وسار صحبة كوكبات من الفرسان يحجوس خلال الديار . فالتقى ببعض
الجنود الفرس ، وأسره ، فعرف منهم ان داريوس على بضعة أميال
منه ، وعرف أيضاً ما معه من القوات

فأراح جيشه اربعة أيام ، ثم استأنف المسير شرقاً ، في أول
الليل ، على أمل اصلاء الفرس المعركة الفاصلة في صباح الغد . ولما
بلغ الانشاز أمامه ، ظهرت له جيوش الفرس عملاً السهول . فحلّ
هناك بريح عسكره ، وأبى أن يهاجم الفرس ليلاً ، كما اشار عليه
بعض قواده . وفي النهار التالي كان كل من داريوس والاسكندر
يتوقع أن يكون خصمه البادىء بالهجوم . ونام الجيش المكدوني ،
أما الجيش الفارسي فلم ينام ، بل سهر كل الليل ، متوقعاً الهجوم ،
ولا هجوم . فأصبح المكدونيون مرتاحين والفرس متعبين

ترتيب الجيوش

جيش داريوس : كان في جناحه الايسر البكتريون والدانيون
والارغوسيون ، يلي هؤلاء فرسان الفرس ومشاتهم ، فجنود سوسا

وقادس . وأمام هذا الجناح السكيثيون معهم مائة عربة، وألف خيال
بكترياني

وكان داريوس في القلب ، حوله الهنود والكاريون ورماة
النبال المردياثيون ورماحة الفرس، الذين على سنان رماحهم تفاحات
الذهب ، والبابلليون . وكان في القلب الى جانبي داريوس فرقة
اليونانيين وهم المستأجرون . وأمام القلب ١٥ فيلا و ٥٠ عربة سكيثية



رسم الجيشين في اريلا

وفي الجناح الايمن الارمن والفرثيون والماديون والهركانيون
والكيليكيون والعراقيون والتابوريون والساسانيون والالبانيون .
وأمام هذا الجناح خمسون عربة . وكان داريوس يعلق على العربات
الكبرى اكبر الآمال

وفي صباح أحد أيام اكتوبر منذ ٢٢٥٨ سنة ، فتح الفرس
عيونهم ، فاذا رجال الاسكندر ينهضون من نومهم على صوت البوق ،

وهم يتأهبون للقتال . وقد رتبهم الاسكندر حسب خبرته في خطين ،
الخط الامامي جبهة القتال ، والخط الخلفي احتياط

ففي الجبهة جناحان وقلب

الجناح الايمن : فيه الفرسان مقسمين الى ثمان فرق لكل فرقة
قائد . وهم على الترتيب ، من أقصى الجناح الى القلب

١ كليتوس ، ٢ جلوسياس ، ٣ أريسطون ، ٤ سوبوليس ،
٥ هيركليس ، ٦ ديمترياس ، ٧ ملياجر ، ٨ هيجلوخس .
وقائد الفرسان العام هو فيلوتاس . يلي الفرسان حملة التروس المشاة .
وقائدهم نيكاتور . وكان الاسكندر في هذا الجناح

وفي القلب المربعات في ستة أليات بقيادة كانوس وبارديكاس
وملياجر وبوليسيرخون واميانياس وأمينياس

الجناح الايسر : وفيه المشاة بقيادة كروتيرس ، ثم خيالة ثساليا
بقيادة فيلبوس . وكان القائد العام للجناح الايسر بارمنيو ، يحيط به
فرسان الفرسان ، وهم أفرس الثساليين . وخيالة الحلفاء بقيادة
أريغويس

هذا ترتيب الجبهة . أما الخط الاحتياطي فكان هكذا :

يؤلف قلبه من مربعات مستعدة لامداد من يضعف في الجبهة
والى يمينهم الاحتياط المشاة وهم وراء فرسان الحرس . ومعهم أرباب
القصي المكدونيون . ووضع في هذا الخط فرسان منيداس واريقتس
وأريسطون . ومثل ذلك في الجناح الايسر . وكان في أقصى ميسرة
هذا الخط الخلفي أندروماخس

وكانت الحذاقة التي أبدتها الاسكندر في ادارة معركة ارييلا
مثلا في فن القيادة

المعركة

نحن الآن في جو دجلة في طيارة انجليزية ، وتحتنا ميدان
ارييلا . وقد لاحت الشمس من وراء جبال كردستان . ونشرت
أشعتها على الجيشين اللذين يمثلان اوروبا وآسيا . يقود الاول
الاسكندر والثاني داريوس . وها قد بدأ القتال بأمر داريوس
عربات السكثيين أن تهجم على جناح الاسكندر اليمين . فارسل
الاسكندر فرسان منيداس (في الخط الخلفي) لصدّهم . ولما تبين له
أنهم قلائل أتبعهم برجال أرسطون والكليندريين . وكانت خسارتهم
أولا هائلة . لكنهم ثبتوا ، ثم رجعت كفتهم ، بما فيهم من خبرة
ونشاط . وكانوا يحاربون في مربعات متساندة . ثم وجه داريوس
عربات السكثيين على قلب الاسكندر ، يرافقها الفرسان لاغتمام
الفرص . فصد هؤلاء مشاة السلاح الخفيف بقيادة كراتيروس ،
فكانوا يجرحون الخيول بحراهم ، فتشور وتخبط الارض بيديها
فتحطم العربات . وفسحت الجبهة لباقي العربات فسارت الى مؤخرة
الصفوف اليونانية ، حيث أنحنت عديعة النفع .

حينئذ تجمع اكبر عدد من فرسان داريوس ، وهجموا على
جناح اليونان اليمين (حيث الاسكندر نفسه) . فتلقاهم اريتس وهو
الباقى في خط الاحتياط الخلفى . وكان يرقب الحركات ، فتمكن من
صدّهم . كل ذلك ولا تزال جبهة الاسكندر سليمة ، على قدم
الاستعداد

فهبت كتاب فرسان كثيرة في جيش داريوس لانجاد اخوانهم
وبذلك فتحت ثغرة في جبهة داريوس . بين الميسرة والقلب . وهي
الفرصة التي كان الاسكندر يتوقعها . فاندفع اليها بحرسه الخاص ،
واخترق الجبهة الفارسية . فصارت ميسرة الفرس بين نارين ،
فيلوتاس ونيكانور من الغرب ، واسكندر من الشرق . فانبت حملة
التروس المكدونيون بين الفرس وأبلوا فيهم بلاء حسناً . وهبطت
خمس أليات المربعات على اليونانيين المستأجرين في جيش داريوس
فاخترقوها . واذ ذاك صارت الجبهة الفارسية ثلاثة أقسام منفصلة .
الاول الجناح الايمن وجزء من القلب . الثاني الجناح الايسر بين
الاسكندر ونيكاتور ، والثالث القلب أمام المربعات المكدونية . أما
الجبهة المكدونية فلم تزل متصلة

وأبدى داريوس من الحنكة والثبات ما يليق بموقفه . وأخيراً
تشنجت أعصابه ، فنزل من عربته ، وركب أسرع حصان ، ودار به
شرقاً ، وارخى له العنان ، وترك المعركة ولسان حاله يقول

بنفسك فز اذا ما شئت ضيماً وخل الدار تنجي من بناها
مع ان المعركة في جناحه الايمن كانت الى تلك الساعة في
صالحه . ولما تقدم الاسكندر بميمته حدثت ثغرة بينه وبين بارمانيو
فاندفع اليها الهنود والفرس ، واجتازوا الجبهة الى المحلة ، وشرعوا
في النهب ، ولو داروا ببرمانيو لكان أفضل لهم ، وربما كانوا اقنوا
ميسرة الاسكندر . وكان برمانيو ملتزماً خطة الدفاع فلم يحد عنها .
وأسرع سيمينياس فانجده بكل قوته . وكان الاسكندر قد عين الايأ
لحفارة المحلة فصد هذا الناهيين . وبلغ الاسكندر استغاثة بارمانيو

قارتد عن الفرس لانجاده ، وفي عودته التقى بالناهيين مرتدين فضاقت
بهم السبل ، ولم يجدوا ندحة من اختراق صفوف الاسكندر . وهنا
حدثت أشد مشاهد الحرب هولاً

. لان هذا الاختراق اقصى ما يمكن تصوره من المخاطرة في القتال.
ولا يركب هذا المركب الا في اخرج الازمات وأشدّها خطورة.
وكانت النتيجة ان الهنود والفرس قتلوا تقريباً . ولكنهم قتلوا
كثيرين من حرس الاسكندر ، وفيهم بعض قواده . ولما وصل
الاسكندر الى جناحه الإيسر وجد ان بارمنيو قد تحسن موقفه وربما
كان من عوامل ذلك تأثير هرب داريوس في نفسية الجيشين

فعاد الاسكندر يطارد داريوس ، وكان يعنى شديد العناء بانقاذ
حياته . فر داريوس باريلا ، ولم يقف بها ، بل واصل سيره حتى
بلغ حدود قزوين ، حيث اغتاله باسوس حاكم بكتريا . وبلغ الاسكندر
اريلا في اليوم التالي ، فاستولى على كنوز داريوس ، وكان يفصل
بين الميدان وأريلا نهر ليكوس . فتجمعت جنود الفرس المنهزمة
على جسر ذلك النهر ، فهدمه المكدونيون بهم ، فهوروا الى النهر
وماتوا غرقاً

هكذا انتهت معركة اريلا ، وانتزعت أوروبا الصولجان من أسيا
وبعد بضعة أيام انحدر الاسكندر جنوباً ، واستولى على بابل
عاصمة أول امبراطورية في الدنيا . ففتحت بابل أبوابها للاسكندر
وهي نقطة التحول في التاريخ

المحادثات التي تلت معركة ارييوس

سنة ٢٣٠ : ثورة اللوسيديمونيين (أهالي سبرطا) ضد الاسكندر
وقعها

سنة ٣٢٧ : توغل الاسكندر في التار والسند والهند
» ٣٢٦ : اختلاله البنجاب والمولتان وأفغانستان وبلوخستان
» ٣٢٤ : جلوسه على عرش بابل ، وقد دوخ الدنيا ، وهو
ابن ٣٢ سنة

وتقبل الاسكندر من السكديانيين اكرام الآلهة . وكتب له
استاذة ارسطو يؤنبه على ذلك

سنة ٣٢٣ : موت الاسكندر في بابل
» ٣١٧ - ٢٨٩ : نكبة ديونيسيوس ملك سيراكوسا في قرطجنة
» ٣٠٦ : انقسام ممكة الاسكندر بين قواده الاربعة العظام
فكانت :

- ١ - سورية . وما وراءها شرقاً الى حدود الهند لانطيوخوس
- ٢ - مصر . وما وراءها لبطليموس
- ٣ - أناضوليا لسباخس
- ٤ - اليونان لاتيمنوس

سنة ٢٩٠ : اتساع نطاق رومية . واخضاعها ايروس

» ٢٦٤ : حروب قرطجنة الاولى
» ٢١٨ : ثورة العمال في قرطجنة . دوا يدمرونها

معركة متوروس

سنة ٢٠٦ ق . م .

« لقد أتم القنصل الروماني ، نيرو بنخديعته هنبال وقتل أخيه هسدروبال عملاً عديم المثال في تاريخ الحروب في كل العصور وكان رأس هسدروبال المتدحرج على الأرض أمام هنبال أول خبر بلغه عن تغيب نيرو عن ميدانه . فقال هنبال حينئذ وهو يرى رأس أخيه يتدحرج على الأرض « لقد أصبحت رومية سيدة الدنيا » (يرون)

في منتصف الطريق . بين ريميني وانكوتا جدول ماء يصب في الادرياتيك . يدعى متورو . وهو يحمل ذكرى المعركة الفاصلة التي شبت على ضفافه ، بين نيرو وهسدروبال ، فحبطت عندها مساعي بني هملقار ؟ وفازت رومية بالسيادة الكونية . وقد ورثت عنها اوربا هذه السيادة ولا تزال . ومن ثم زال كل خوف من استئناف الاسيويين تلك الزعامة

صفة المعركة فلسفياً

قال ميشاليت الفرنسي في كتابه « التاريخ الروماني » ولم يتخذ الحروب القرطاجنية في ذاكرة بني الانسان بدون سبب لانها لم

تكن عراقا بين مدينتين - رومية وقرطجنة - ولا بين أمتي
الفينيقيين والرومان ، بل كانت عراقا بين جنسين من الاجناس
البشرية وهما السامي والارياني . ففي الجانب الواحد الفرس واليونان
والرومان والجرمان وفروعهم في أوربا . وفي الجانب الثاني اليهود
والعرب والفينيقيون والقرطجنيون . في الجانب الواحد الفروسية
والفن والاختراع . وفي الآخر الصناعة والتجارة والبحرية . وقد
طال العراك بين الفريقين بين فرسان الفرس وصناع الكلدان ، وبين
الفن اليوناني والبحرية الفينيقية ، وبين الاشتراع الروماني والتجارة
القرطجنية . وكانت معركة متوروس فصل الخطاب . ومرت أجيال
قبليما تجدد هذا العراك بين العرب وبين أوربا . ولكن سيادة الجنس
الارياني صارت راسخة القدم وستظل الى ما شاء القدير

مزايا رومية

امتازت رومية على قرطجنة بأمور :

أولها : كثرة الرعايا التابعة لها في سوق المدينة . وهي شعوب
أوربا ، فرنسا وانكلترا واسبانيا وجرمانيا . بينما لا ترى وراء قرطجنة
إلا زمالا ثائرة وصحارى جرداء

ثانيها : مصادر قوتها العسكرية . كانت جنود هسدروبال خليطاً
من الهن والفندال . ولو اعتمدت قرطجنة على أولادها لما كان لها
جيش يقف في وجه رومية . بينما جيوش هذه ملأت السهل والجبل
وهم من ابنائها

ثالثها : منزلة الامة تجاه الفرد . فقد كان مستوى قرطجنة

دون منزلة هنبال بمراحل ، ولكن مستوى رومية لم يكن دون منزلة
كبار قوادها.

ما هي قرطجنة ؟

برحت حملة سورية شطوط فينيقية ، في القرن الثامن ق . م .
واتت شطوط شمالي افريقية ، حيث تونس اليوم . واختطت هناك
مدينة دعتها قرطجنة . قمت تلك المدينة ، وسادت على أخواتها ،
هَبّو ، وأوتكا ، وقيروان . واتسعت تجارتها ، وملكست سردينيا ،
وقسماً من سيسيليا . وضربت كورسيكا ، وجنوبي اسبانيا . وصار
غربي البحر المتوسط بحيرة قرطجنية . واخترق بحارتها بوغاز جبل
طارق الى الاتلانتيك ، لأول مرة في تاريخ البحرية . فسار هانو
(حنا) القرطجني محاذياً شطوط افريقية الغربية الى سيراليون .
وسار هملكو شمالاً الى البحر الجرمانى ، فلامس شطوط بريطانيا
وايلات البلطيك ، في طلاب التنك . وكانت شعوب قرطجنة اربع
طوائف . ١ الفينيقيون وهم ملوك البلاد . ٢ الخلاسيون وهم
حكام المستعمرات ٣ البرابرة ٤ السود . والاثنان الاخيران كالبيد
وكان للقرطجنيين منزلة عالية في فن الزراعة ، وقد دهش
شيبولما رأى حولها من الارتقاء الزراعي . فكان يحيطها جنات .
تجري من تحتها الانهار . فكانت نتيجة اشتغالهم بالزراعة والتجارة
والبحرية أنهم أحرزوا ثروة طائلة . وأصبحوا ينازعون رومية
السلطة على جنوبي أوربا ، بل على ايطاليا نفسها . ولولا رومية
لكانت قرطجنة لا قسطنطينية سيدة أوربا في التاريخ القديم . ولو
فهرت رومية لكانت باريس وبرلين ولندن وثينا مستعمرات قرطجنية

هملقار وأولاده

اشتهر هذا الرجل ببغض رومية ، كما اشتهر بالقيادة والسياسة . وقد ولد ثلاثة وهم ، هنبال وهسدروبال وماجو . ولما كان عمر هنبال تسع



هنبال

سنوات حمله أبوه على ذراعيه الى مذبح الالهة ، وقاده بالقسم العظيم ان « لا يصفو لرومية ، ولا يتأخر عن تدميرها ما عاش » . ولما مات والده كان ابن ١٨ سنة فبنى على أساس والده كالا سكندر المكدوني . وكان خصم رومية اللدود . وكان أخوه هسدروبال شريكه في القيادة ، وفي بغض رومية . فخارباها عشرة أعوام . وفي الحادي عشر كانت المعركة الفاصلة بينهما وبينها

جاء في التاريخ العام لماير « وجاء هنبال من اسبانيا فقطع جبال بيرينيه والالب - لأول مرة في التاريخ - وهبط على لمبارديا ، فكسر جيش رومية بقيادة كورتيليس شيبو الشهير ، على نهر تيسينوس . ثم كسره مع سميروتيوس في معركة ترايا سنة ٢١٨ ق . م . ثم عبر جبال ابنين : وكسر الجيش الروماني عند بحيرة تراسيمينوس سنة ٢١٧ ق . م . ثم كسره عند كانا سنة ٢١٦ بقيادة بولوس وفاروس ، وعدد جيشه اقل من نصفهم ، ويقال انه أهلك من رومية ٧٠.٠٠٠ وأسر ١٠.٠٠٠ . وجاء أخوه هسدروبال من

اسبانيا لتجدته . فقفى على آثاره ، وعبر جبال الالب سنة ٢٠٧ .
ولم يلق الصعوبة التي لقيها أخوه في قطعها
حرية قرطجنة

أعظم الفروقات الحرية بين قرطجنة وبين رومية هو ان عمدة
المحاربين في رومية هم من ابناءها بخلاف قرطجنة ، فان عمدة محاربها .
اما من المستعمرات او مستأجرين . فكانت أوقات القرطجنين آمن
من ان تقضى في خوض المعامع . فكانوا منصرفين الى التجارة .
وحشد المال ؟ ويعتمدون في حروبهم على الخدم والمأجورين

القائدان

كان هم رومية أن تنتقي قائداً تعتمد عليه لخوض المعامع أمام
ابني هملقار . فعينت قائدين ، هما كلوديوس نيرو ، ومركس ليفيوس .
الاول نجاه هنبال ، والثاني نجاه هسدروبال . وفيما كان نيرو أمام
هنبال - في الجنوب - وقع بيده كتاب مرسل من هسدروبال ، يخبر
به أخاه هنبال أن يتجنب الاشتباك مع نيرو بمعركة ، حتى يلتقيا ،
فيتوجها معاً الى رومية . فرأى نيرو أن الوقت آمن من أن يضاع .
وكان أمامه صعوبتان

الاولى : العداء بينه وبين القائد الثاني ليفيوس . والثانية :
القانون الروماني الذي يحظر على القائد أن يخرج عن الحدود
المعينة له من قبل المجلس . ولكن للضرورة أحكام . فان الضرورة
تقضي بالعجلة ، واذا انتظر حتى يستأذن المجلس الروماني ، فقد
يفوت الوقت . وربما وصل القرار لايدي بني هملقار قبلما يصل
ليده . فكان أمامه اما سقوط رومية أو كسر القانون فاختر أصغر

الشرين . لأنه علم أن القانون لاجل رومية لا العكس . فترك بعض جيشه تجاه هنبال ، وأمرهم ألا يتقدموا ، ولا يشتبكوا معه في معركة فكان هنبال يظن أن نيروأمانه . ولكن نيرواتقى من جيشه ٧٠٠٠ ، وسار بأقصى سرعة إلى حيث ليفيوس . وأرسل يخبر رومية بحركته ، وأرسل لها كتاب هسدروباك ليقرأ في مجلس الشيوخ . وأشار عليهم أن يرسلوا اللجنونين ، حالا إلى ناريثا ، للمحافظة على معبر قلامينا ، في ما لو تقدم هسدروباك من تلك الناحية . ثم أرسل يخبر ليفيوس بالامر ، ويطلب منه أن يعلم السلطات في الطريق لتعدله المؤن اللازمة . وألا ينصب خياماً جديدة للجيش الذي معه ، بل يهيء ما يلزم لتوزيعه على خيام الجنود هناك ، وألا يلاقيه باحتفال ، ولا بالابواق . فإنه سيصل إليه ليلا متستراً ، حتى لا يشعر هسدروبال أن قد وصل جيش إلى ميدانه

ولما دنا من محلة ليفيوس كشف الامر لرجاله ، وهناكهم لأنه أتيح لهم الاشتراك بهذا المجد الخالد . وكانت المدن في طريقه ترافقه بحببتها وصلواتها ، لأنها كانت تخشى بطش بني هملقار . وقامت رومية لاخباره وقعدت ، لأنها رأت أنها امام أخرج مأزق في تاريخها . فوصل نيرو إلى ليفيوس ليلا ، كما رتب . ووزعوا جيشه على خيام رفاقهم . وفي الصباح قام الرومان للحرب ، ولم يكن هسدروبال راغباً فيها ، مع أنه لم يعلم بمجيء نيرو إلى ميدانه . ولما اصطف الجيشان افكشف له الامر ، لأنه سمع أبواقاً لم يكن يسمعها قبلاً ، ورأى وحدات لم يرها كذلك . فتشكب عن القتال . وذلك من مزايا كبار القواد . ومر ذلك النهار بدون حرب . وفي أول الليل قاد

هسدروبال عسكره بهدوء قاصداً الانسحاب من هناك شمالاً ، عابراً
النهر . ولكن الادلاء خانوه ، وتركوه على شط النهر في الظلام
حيث لا يمكن العبور . فكان الجنود يطوفون كل الليل على الضفة ،
دون أن يهتدوا الى معبر . ولما أصبح الصباح ، وقد اضعاهم التعب
والنعاس ، اذا طلائع جيوش ليفيوس ونيرو تطاردتهم ، فلم يكن
لهسدروبال ندحة عن خوض المعركة . فأمر جيوشه بالاستعداد بما
يمكن من السرعة ورتبهم افضل ترتيب
أوصاف الجيشين



ميدان ميتوروس

جيش هسدروبال : كان خليطاً من كل العناصر ، متمدينين
وهمج ، سود وبيض ، قرطاجنيين وفينيقيين كل هؤلاء كانوا في القلب .
وخيلة الصحراء على خيل بدون أعنة ، وهؤلاء يؤلفون الجناحين .

يتقدم جبهته الضاربون بالمقلاع ، والقيلة والحرس الحبشي . وكان معه اسبانيون يحملون سلاحاً خفيفاً ، فوضعهم في الجناح الايمن . ووضع مشاة الغوريين والغالين في القلب

الجيش الروماني : تألف كل لجئون من فصيلتين ، هما الهستانية والبرنسيديس ، وعدد كل منهما ١٢٠٠ جندي . وهم يلبسون الزرد على صدورهم وبعضهم يرتدي الصفاح وجراميق النحاس على الرجلين والحوذ ويحملون التروس الاهليجية والحرايب الصغيرة . وكانت الهستانية في الميدان قدام البرنسيديس وسلك المربع عشرة صفوف وبين كل صفين ثلاثة اقدام . ولكل لجئون ٦٠٠ احتياط مستعدون للنجدة ، او اسد الفراغ في الصف . وكان نيرو في الجناح الايمن . وليقيوس في الايسر ، ويورسيديوس في القلب

لم يفلح ليفيوس ويورسيديوس أمام هسدروبال ، بل ذبح منهم مذبحه هائلة ولولا نيرو لاقنهم . وأزعجتهم الفيلة ، وأخلت صفوفهم وكان نيرو يجاهد عبثاً ضد التلة التي عليها الغال . واخيراً عمد نيرو الى الحيلة . فقام بحركة فنية كانت ناجحة . وهي انه ساق أحد آلياته الى مؤخرة الرومان ، ودار بهم حولها وبغت الاسبانيين والافريقيين . فاضطرب نظامهم ، ونكنهم ثبتوا حتى قنوا . وعندئذ طوق الغالين وذبحهم على بكرة أيهم . فلما رأى هسدروبال ذلك ، وان الانكسار ضربة لازب ، ركب حصانه ، واطلق له العنان هاجماً على قلب الجيش الروماني حيث قتل ، فمات ميتة مجيدة تليق بابن هملقار

فقفل نيرو راجعاً بالسرعة التي جاء بها ، وهو يحمل رأس هسدروبال . ولما وصل الى موقعه أرسل الرأس لهبال فالقوه أمامه

فصاح لما رأى رأس أخيه صيحته المشهورة . « الآن صارت رومية
سيدة العالم »

تأثير الانتصار في رومية

كان الفوز الذي احرزه نيرو في معركة ميتوروس فاصلا . فقامت
رومية بمظاهرة جنونية . ولم يصدقوا أولا خبر الفوز ، حتى وصل
ثلاثة من ضباط المعركة . فخرجت كل المدينة لاستقبالهم ولما قالوا لهم
« كسرنا هسدروبال وقناصلنا سالمون » اشتد وعظم الفرح
والسرور . وحملوا الضباط الى مجلس السنات ، ثم الى مجلس النواب
وشرح لهم لبسيوس فيتوريوس ، أصغر الضباط ، تفاصيل المعركة
وهم يسمعون صامتين ، كأن على رؤوسهم الطير . ولما انتهى علت
صيحات المجلس الى الجو وعيدوا ثلاثة أيام . وشكروا الآلهة على
النجاة من الفضيحة . واستتب الامر لاوروبا غير منازعة

مجرى الحوادث بعدها

- سنة ٢٠٥ - ٢٠١ : تعين شيبو قنصلا ونقل الحرب الى افريقية .
- فاضطر هنبال ان يبرح ايطاليا للدفاع عن قرطجنة
- سنة ٢٠٠ : فوز الرومان في مكدونيه وسيطرتهم على كل اليونان
- » ١٩٤ : محاربة انطيوخوس وانكساره نهائيا في مغنيسيا
- » ١٤٦ : هدم قرطجنة واخضاع اسبانيا بعد حرب ٧٣ سنة
- » ١٠٦ : قهر جوغرثا ملك الحبشة
- » ١٠١ : قهر الجرمانين بعد حرب ١٢ سنة
- » ٦٤ : الاجهاز على متراداتس ملك بنتس بعد حرب ٢١ سنة

سنة ٥٠ : فتوحات قيصر في غاليا (فرنسا)
» ٤٨ - ٤٥ : منازعات قيصر وبمبيوس ، والتجاء هذا الى
مصر . حوادث كليوباتره
سنة ٤٤ : مقتل يوليوس قيصر وهو اشهر حوادث ديموقراطية
رومية
سنة ٣١ : فوز اوكتافوس على انطونيوس وكليوباترا المصرية
» ٤٤ : تملك اوغسطس قيصر . وفي عهده بدأ التاريخ
المسيحي بولادة يسوع المسيح

فوز أرسينوس

سنة ٩ م .

في السنة الخامسة للميلاد ، ذهب كونيلىوس قاروس من سورية الى روميه ، وعين قائداً للجئونات الرومانية في جرمانيا . وكان قاروس نموذجاً رسمياً للطبقة الرومانية العالية ، من حيث العناية بفنون اللغة وآدابها ، مع الميل الشديد للمسرات والملاهي ، والمعرفة الدقيقة في أصول الشرائع والمحافظة عليها عملياً ، والرغبة الشديدة في الخطابة . وعدم الاكتراث بعواطف الآخرين وآلامهم ، شأن أمم الغلب في كل العصور . وأهم ما أذكره من تلك الاوصاف هو الانغماس في الرذائل والموبقات . فقد وسع قاروس نطاق الاستباحة بين الشبيبة الجرمانية . ونسج على منواله القواد الرومانيون . وكانت طقوس الرومانيين الدينية ، التي اقتبسوها من اليونان ، تنطبق على هذا المشرب غير الأدبي . وكان الذوق الجرمانى الادبي البدوي ، يفر من ذلك شديد النفور . فحدا بهم ذلك الى سلوك مناهج التمرد على رومية . ويهمننا أن نعرف شيئاً عن هؤلاء الجرمانين وصفاتهم ومنزلتهم في التاريخ

الجرمانيون

وغلب عليهم بعد الحرب العالمية اسم «الالمان» وكانوا يدعون قديماً البرابرة أو البربر. وهم غير برابرة شمالي أفريقية. كانت عشائرتهم في أوروبا قبل المسيح بنحو ٥٠٠ سنة. وكانت يومئذ بدوية هبطت على لمبارديا، بطريق جبال الألب، وكانت ألد خصوم رومية فلما مر بهم هسدروبال، قادماً من اسبانيا لمحاربة رومية، تطوع كثيرون منهم في جيشه

وقد جئت شمالي ايطاليا، بطريق نفق شمبليون، وحلت بعض مدائنتهم، وعاشت أهلها، ولاحظت مسالكهم وتمدنتهم، فوجدتهم أرقى الشعوب التي على وجه الأرض، وأقربها إلى القلب

قسمت الشعوب الجرمانية، في أخبار الرومانيين، إلى قسمين، وهما التوتون والسلت. فمن الأولين أرمينيوس صاحب الوقائع التي هي موضوع هذه المقالة

مدّ يوليوس قيصر الروماني أول جسر على نهر الرين سنة ٥٥ ق. م. ودخل بلاد الجرمانيين، وأخضع بعض قبائلهم لرومية، وضم إلى نهر التير أنهار الرين والسين والرين والتاغوس. ويجب أن تكون وستفالي أول بلد جرمانى خضع لرومية. وكان من سياسة رومية في تلك الأيام أن توجه عنايتها نحو أبناء العشائر، ولا سيما أبناء رؤسائها، فكانت تعلمهم وتوظفهم. كما تعمل إنجلترا في السودان في هذه الأيام. وكان من بين الشبان الذين دخلوا مدارسها، وحصلوا على التهذيب والادب الروماني اخوان من عشيرة الثيروسيين، هما

أرمينيوس وفلافيوس . فتوظف فلافيوس في الجيش الروماني ، أما
أرمينيوس فظل حراً

ثسيلدا

قال نابليون « فتش عن المرأة » ، ويصح أن نبداً البحث في
كل تاريخ بالتفتيش عن المرأة ، كما يتضح لك من حكاية أرمينيوس
وثسيلدا . وهي ابنة أحد رؤساء العشائر الجرمانية التي خضعت لرومية
وقد كانت ثسيلدا ، عن غير قصد منها ، سبب تحرير أوروبا من نير الدولة
الرومانية ، وأساس التمدن السكسوني . وهي فتاة حسنة ، طلبها
أرمينيوس من أبيها سيجتس ، قاي أن يعطيه إياها . لأنه عرف أن
أرمينيوس عدو لرومية ، وخشي مغبة أمره ، فرأى من حسن
السياسة ألا يعطي ابنته لثائر تخشى عواقب حاله . وكانت ثسيلدا تحب
أرمينيوس . ولم تكن شريكة والدها في سياسته ، فهدت يدها
لأرمينيوس ، وهربت معه . فزوجها ، وحملت منه ، فتار أبوها
لاستردادها . وشكاه للحكومة الرومانية ، مدعياً أنه اختطفها عنوة ،
وأنه نأثر على حكومة رومية . فاستردت الحكومة ثسيلدا من أرمينيوس
وكانت في آخر مدة حملها . قابدت مقاومة عظيمة جداً ، وجهرت
بحبها لأرمينيوس . فسلمها أبوها لجرمانيكوس الروماني ، فأرسلها هذا
إلى رافنا في إيطاليا . فولدت هنالك ولداً ذكراً ، ولما كان عمر ولدها
أربع سنوات ساقه الرومان في موكب النصر . فشارت نفس
أرمينيوس على الرومان المستعمرين ، وعلى حلفائهم الخائنين ، كحميه
سيجستس وأخيه فلافيوس . فرفع علم الثورة ، وانضم إليه كثيرون .
وأنهم ما يدفع الناس للثورة عطفهم على النساء والبنين

صعوبات الحال

كان الموقف في جرمانيا في تلك الايام مظلماً ، يروع أكابر الرجال . فكانت رومية تحتل نصفها ، وكل البلدان غريبها ، وهي فرنسا وبلجيكا وانجلترا واسبانيا وبرتغال . وكان كثيرون من الجرمانيين يؤيدون سياستها وينصرونها ، كما هو الحال في المستعمرات في كل العصور . فانه عادة يقسم الناس الى قسمين : قسم معه وقسم عليه . والذين معه هم عادة المتفعون والمأجورون . فكيف يحارب أرمينيوس رومية ؟ وأين ؟ . ليس له مدينة مسورة ، ولا مخازن عسكرية ، ولا تدريب حربي . أقيمت أرمينيوس أمام رومية ، وقد سقط في ميدانها هنبال وأخوه ؟ . وكانت جنود رومية منظمة أفضل تنظيم ، ومدرّبة أتم تدريب ، ومسلحة بأرقى سلاح . وعندها المربعات الرومانية - فلانكس - التي ينحط القتاد ولا تخرق . فكيف ثبت أمامها عديم الموارد والقوى ؟

على انه لا يفوتني أن أذكر ان الحالة الروحية في رومية في عصر أرمينيوس هي غير ما كانت قبل مائتي سنة . فان الروح العسكرية التي دوخت البلدان قد ذبلت ، وانقلب نظامها الجمهوري ، فصارت الآن امبراطورية ، خاضعة لمشيئة الفرد . وأهم من كل ذلك : « انها انغمست في الشهوات الاثيمة ، ولا تقوى أمة انغمست بها » هو شأن ، او شرك ، الامم الظافرة تتمتع بطيبات غيرها ، فتكون لها تلك التعمات والملاذمزالق تهوي بها من حلق مجدها ، الى درك الهوان ، والدمار يلي الانحطاط الادبي في كل العصور . هكذا جرى للاسبانيين والاتراك وغيرها من الامم في كل عصر

ومصر . فقد بدأت نهاية رومية . وكانت تلك البداية كامنة في
نفس وجودها الروحي : وكانت حروب ارمينيوس أولى ظاهراتها .
وثانيتهما الانشقاق بين قوادها ، وثالثها المزاحمة على الوظيفة ، فاثار
المصلحة الشخصية ، كما حدث بين بيمبوس وانطونينوس وبين سلا
وماريوس

سوء ادارة فاروس

قلت ان كرينيليوس فاروس اخطأ باثارة عواطف الجرمانيين
على سفالاته . ولم يكن اقل من ذلك خطأ في حملته على ارمينيوس ،
بل كانت أفظع نتيجة وأشد ضرراً . فقد كان لرومية غربي الرين
ثلاثة لجئونات ، هي زهرة الجنود الرومانية ، وعقدة فخر رومية .
وكان معها ٨٠٠ خيال ، ومثل هذا العدد من البلاد الموالية رومية
غربي الرين . وكل تلك القوات تحت قيادة فاروس . ولم يكن
ارمينيوس يجهل قوة رومية ، فلم يشأ ان ينازلها في ميدان ، بل كان
ينسحب امامها ، ويجبرها وراءه الى حيث يصلها المعركة الفاصلة ،
بل الى حيث ترد موارد العطب والهلاك

وكان مركز فاروس الحربي في وستفالي محفوفاً بالابية ، فالتف
حواله كل طامع في المجد ، طامح الى الرفعة ، من رؤساء العشائر . وقد
سكر بخمرة تزلهم اليه ، واعتمادهم في حل معضلاتهم عليه ، وامتداحهم
قصاحته الخطائية :

— واعجاب المرء بنفسه بدء تدهوره —

فحمل فاروس بجيوشه على ارمينيوس ، فانسحب هذا امامه .
فتعقبه ، فاوغل في مجاهل البلاد . وعلى غير العادة العسكرية الرومانية ،

أكثر فاروس من الرزم والمتاع . وصحبته جموع ثائرة ، كأنهم
ذاهبون إلى مهرجان . فعبروا سهول وستقالي ، ودخلوا وعورها ،
فساءت الطرقات ، وهطلت الأمطار ، وفاضت الأنهار ، وقصفت
الرعود ، وطمت الأوحال ، وتوالت السيول ، فاضطروا في كثير
من المواضع أن يقطعوا الأشجار ، ويمعدوا جذوعها على الأرض ،
في وسط الأوحال ، ليتمكنهم المرور . فكيف يحاربون في
أحوال كهذه ؟

وما زال أرمينيوس ينسحب أمامهم ، وهم يتبعونه ، حتى بلغ
بهم بلاداً جبلية ، بين مصدري نهري « اللب والامز » . وهي أنجاد ،
تتخللها أغوار وهوات ، وصخور شواهدق ، وأودية عميقة ، تجري
فيها جداول متحدرة يتعذر عبورها . وقد حجبت السموات غيومها .
هناك وقف أرمينيوس . ولا تزال أسماء المواقع هناك تدل على
كارثة رومية . مثل « ضاس قنفذ » ميدان الفوز : « ضاي نوشتن »
« الخط المتين » : « ضاي مورد كسل » قطع المجزرة

هناك أعيت المهندسين الحيل ، وضاق القواد ذرعاً ، في أمر
ذلك الليف المشوش المرتبك . فألقوا كثيراً من الرزم والأحمال
تخفيفاً عنهم . وصارهم كل واحد النجاة بنفسه لا غير . فتقطعت
الأوصال الروحية في رجال الحملة . ودخلوا في غابة كثيفة ، مشتبكة
الأغصان . وكان فاروس ينوي أن يتقدم ، ولكن الثوار أمطروه
وابلاً من النبال ، فعلموه ، في تلك الغابة درساً لم تكن للجثونات
رومية تعرفه بعد . فأرغم على التوقف . ورأى أفضل رجاله يسقطون
سحوله . كأن أرواحاً غير منظورة تحاربهم . وهجره الجرمانيون

الموانون ، الذين كان يعتمد على ارشادهم في وسط تلك الجاهل
والادغال . وبكل جهد تمكن من اجتياز تلك الغابة الى بقعة فسيحة
وراءها . فبات هناك ذلك الجند الناعس ، مكداً مذعوراً ، وعفاريت
الجرمانيين تدمدم وتزجر حولهم كالليوث ، ويرمونهم من الغابات
بالسهام طول الليل ، حتى ازعجت كل نفس في الجيش ، وصغرت
نفوس لم تكن تعرف الدل قبلاً

وفي الصباح استأنف الرومانيون سيرهم ، وتأهب ضباطهم لخوض
المعركة الفاصلة ، معتمدين على استعداد جنودهم ، وحسن أسلحتهم
ولكن أرمينيوس لم تخف عليه الحقيقة ، فكان أعقل من أن يشتبك
معهم في قتال . فتركهم حتى صفوا صفوفهم ، وأوتروا قسيهم ،
وحيثما انسحب من أمامهم

هذا كان ديدنه حتى أسأم نفوسهم . وكان يناوشهم حيث يوافقه
ذلك . وأخيراً وصلوا حراجاً عالية ، على مقربة من غابة
« هرسينيا » بين قريتي « دريبورج وبيافيلد » فقطع أرمينيوس
كثيراً من الاشجار . وطرحها على الطرقات ، ليزيدها صعوبة .
فاضناهم التعب ، وساروا مشوشين . وحيثما أعطى أرمينيوس رجاله
الإشارة لخوض المعركة

فدوت أصوات الجرمانيين الجيابة في تلك الظلمات المربعة ،
تردد أصداءها الاودية العميقة . وكانت صيحاتهم في تلك الحراج
كزجاجة الاسود في عرينها . وهبطوا على المربعات الرومانية ،
« كجلمود صخر حطه السيل من عل » . وأرسلوا عليها سحباً من
الحراب والنبال ، تدمدم في الجو فوق رؤوسهم ، ثم تصيب منهم

العيون والنحور . وحشروهم في الآجام والمستنقعات ، كما تحشر
الجُرذ في المصايد ، واخترقوا صفوفها ، ومزقوها شر ممزق
وكان أرمينيوس ، وجماعة من واسعي الاشداق حوله . يصيحون
صيحات تهلع لها القلوب ، فيثيرون حماسة أتباعهم ، ويوقظون في
نفوسهم همجية الاجداد . وتغلغلوا بين الجنود ، ولا سيما الحيلة منهم .
فكانوا يرمون الخيول بحراهم ، فتثور لالم الجراح ، وتختبط الارض
بفرسانهم ، فتجندلهم عن ظهورها ، او تقف في وسط المغاص وهم
على ظهورها هدفاً لسهام الجرمانين

قامر فاروس جيشه بالرجوع ، آملاً أن يبلغ أول مخفر روماني
للمبيت ، ولكن هيهات ، فقد قات الانصار وعزت المظالم . فان
الرجوع صعب كالتقدم ، وفقاً لقول الشاعر :

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم
فوقع فاروس في حيص بيص ، ولم يجد له نعمة من محيص . ولما
تحول رجوعاً تعقبه الجرمانيون يوسعون الجيش رمية في ظهورهم .
فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . عندئذ هب الضباط للهزيمة ،
تلاهم في ذلك الفرسان . فنكصت النور أمام أسود الغاب . وعثرت
خيولهم فسقطت في الاوحال . فذبحهم الثوار ذبح الانعام . وثبت
مشاة الرومان يتساندون ، لا أملاً في الفوز ، أو النجاة ، بل عملاً
بالآداب العسكرية دون أدنى أمل

وكانت السكارثة التي حلت بالجيش الروماني في جرمانيا أثقل
كارثة حلت برومية في تاريخها . يدلك على ذلك وقع الخبر في رومية
والذعر الذي شمل أهلها . فزق أوغسطس قيصر ثيابه ، وظل مدة

ينطح الجدران برأسه ، ويصيح نادياً « يا فاروس رد لي جيشي »
أما فاروس ، فلما أئخن بالجراح ، أقدم على الانتحار ، مخافة
أن يقع في أيدي أولئك العفاريت ، الذين لم يكونوا يفهمون معنى
الاسر ، بل كانوا يذبجون كل من يقع في أيديهم . وكانوا يقدمون
أسراهم ضحايا لألهتهم ولا سيما « هرمان » إله الحرب
فهلك الجيش الروماني بخيوله وأعلامه ولجئونه ومربعاته ، في
الغابات والمغاص والودية والاختديد ، ولم ينج منهم الا شرزمة
صغيرة تنقل الى رومية أسوأ الاخبار في تاريخ الاستعمار . هذه هي
نقطة التحول في تاريخ اوربا . وعندها تحولت أطماع الرومان
في الجرمان، ووضعت أسس الاستقلال في وسط تلك الادغال المزعجة
المرعبة

حكاية التقاء أرمينيوس بأخيه فلافيوس

وأرسلت رومية، الى جرمانيا ، جيشاً ثانياً ، بعد هلاك فاروس
بستين ، لقمع عصيان أرمينيوس . وكان فلافيوس أخوه في هذه
الحملة . فالتقى الجيشان ، الجيش الروماني والجيش الجرمانى ، على
نهر قاصر الشهير . كل على ضفة ، والنهر بينهما . فصاح بهم أرمينيوس
طالباً أخاه . فلباه فلافيوس ، ووقف الاخوات يتخاطبان على
ضفتي النهر . فتبادلا أولا السلام ، وسأل كل عن أحوال الآخر .
ثم سأل أرمينيوس أخاه كيف خسر عينه . فقص عليه قصتها .
فسأله وبماذا كافأك رومية على خسارتك هذه ؟ فراه نياشينه ،
وأطنب في مدح رومية فهزأ به أخوه قائلاً : انما تطوق عنقك بتلك
السلاسل والاغلال الذهبية لقتل حريتك

هنا انتقل الاخوان من الحديث الحي الى الخصومة والنزاع .
فتشاعما ، وجعل كل منهما يحرق الارم على أخيه طالباً اعدامه .
ولكن حال النهر دون ذلك . ولم يش أرمينيوس طويلاً . اذاغتناله
أحد الجرمانيين ، فمات في السابعة والثلاثين من عمره . وله عند أمم
التوتون اعتبار عظيم . لأنه واضع حجر استقلالهم ومجدهم

المحادثات التالية

- سنة ٤٣ م : فتح انجلترا في عهد كلوديوس قيصر
» ٥٨ - ٦٠ : حملات ناجحة على الفريتين في حدود فوقاسيا
» ٦١ : اضطهاد نيرون المسيحيين اضطهاداً شديداً
» ٦٨ - ٧٠ : حروب الرومانيين الاهلية . تولية فسباسيانوس
» ٧٠ : خراب أورشليم وتشتت اليهود في كل الارض
» ٨٣ : غزوة دومتيانوس المنكودة الحظ في جرمانيا
» ٨٦ : بدء حروب الداسيين في بلاد العجم
» ٩٨ - ١١٧ : بلوغ الامبراطورية الرومانية أوسع حدودها
في حكم تراجانوس

- سنة ١٦٧ : تسع سنين حرباً بين رومية والجرمانيين
» ٢٢٦ : تجديد أزديشير الدولة الفارسية . وتدعى دولة

الأكاسرة

- سنة ٢٥٣ : غزو الجرمانيين والفرج فرنسا واسبانيا وافريقية .
والاناضول ومنهم سكان ولاية غلاطية في قلب الاناضول
سنة ٢٨٥ : قسمة ديوكليتيانوس الامبراطورية الرومانية الى قسمين

تنصر قسطنطين والامبراطورية الرومانية معه

- » ٣٦٣ : قتل يوليا قوس المرتد في حرب الفرس
- » : هجوم الهن (الهنغارين) على الغوث (الجرمانين)
- » ٤١٠ : هجوم الاريك على رومية وقتلها
- » ٤٢٨ : كسر جنسريك ملك القندال الرومانين في افريقية.
- » ٤٤١ : هجوم الهوتين على قسطنطينية

معركة سالوده

سنة ٤٥١ م .

مجلى من مجالى الفلسفة

كنت في طوافي حول الارض ، تواقاً للوقوف على الاصول .
فكان خاطري يرتاح الى الاطلاع على نقط الاتصال ، بين الاشياء ،
وصور المزج والتركيب . فأثر في نفسي كثيراً مشهد اجتماع نهر
اليغني بنهر موتغهيلا في وسط مدينة بتسبرج بنسلفانيا ، فيتألف
من اجتماعهما نهر أوهيو العظيم . وكذلك التقاء أوهيو ومزوري
وأوكلاهوما والاحمر ، بالميسيبي . وكنت أعني بالنظر في اتصال
عشائر الهنود الاميركيين بالاسبانيين . واختلاط الامم الاوريسية في
أميركا . وأثر في نفسي ، في أثناء تجوالي في أوربا ، الوقوف على
الاصول التي تفرعت منها أم أميركا

وأذكر ، وفي النفس حين ، أودية بنسلفانيا وأدغالها وشعابها
ومنعرجاتها ، والتقاء الجداول التي منها يتألف نهر دلاور الجميل ،
بين الحماثل والغيطان . وبكل الاحترام أذكر مقالات العلامة
جيزو ، وزير لويس فيليب ، التي ألقاها على المجلس سنة ١٨٢٨ في
« أصول التمدن الاوربي » . وكذلك كتاب « حل العقدة والافادة

في إنتاج الاولاد حسب الارادة » للدكتور عرييلي . وكم خشعت لما قرأت كيف يتكون الجنين في أعماق الحشاء . وكذلك لما قرأت مكس ملر اللغوي ، في أصول اللغات البشرية . هنالك لامست نفسي سعادة المكتشفين ، ولست بالمكتشف . وأحببت أن أصل هذا الشعور السعيد بنفوس قرائي . فالفت أفكارهم في مقالة « معركة شالون » هذه الى « الاصول التي منها تألفت أُمم غربي أوروبا »

تنازع الوريثين على جثة الميت

كان للامبراطورية الرومانية في حال احتضارها وارثنان ، يتنازعان الارث الروماني العظيم ، وهما الهن والجرمان ، وموقف هذين العنصرين أمام رومية ، في ساعاتها الاخيرة ، يذكرنا بموقف أوروبا تجاه الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

كان الهونيون والجرمانيون في شرح الصبا وغضارة الحياة ، لما كانت رومية تلفظ النفس الاخير ، فمن منهما يرثها ؟ . واذ هم كل منهما بأن يرث تصادما . ونقطة تصادمهما هي معركة شالون . فهي نقطة الفصل بين العائلة الهونية والعائلة الجرمانية ، في زعامة أوروبا

من هم الهن أو الهونيون ؟

من الاغلاط التي كادت تحل محل الحقائق ، في عصرنا الحالي تسمية الالمان « بالهن » . وقع في ذلك بعض كتاب الانجليز ، في أثناء الحرب العالمية . وقلدهم آذناهم في الشرق ، شأن الصغار في

مسرح هذا الوجود . فصاروا يدعون الالمان هنا أو هونين ،
وما هم كذلك

جاء في تاريخ ماير صفحة ٣٠٥ : « تمتاز سنة ٣٧٦ م . باعظم
حادثة في الشرق » وذلك اندفاع الهن على أوروبا . جاءوا من انجاد
أو اسط آسيا ، فحرقوا أمامهم القزيجوث والاسترجوث . أي الغوثيين
الشرقيين والغربيين . وكانت عشائر الهن ذعراً للصينيين منذ العصور
الخالية . ولكن عشائر السنيين المسلحة رجحت عليهم في ميدان
التنازع ، فحرقهم أمامها وحلت محلهم ، في جبال التاي وفي الانجاد
التي وراءها ، حيث أصول كبار أنهار سيبيريا ، أوبي ونيسي
وإرتش ولينا . فعبرت عشائر الهن الحدود الفاصلة بين آسيا وأوروبا
سنة ٣٧٥ . وهبطت على العشائر الجرمانية عند ضفاف الدانوب ،
ومزقت الجيوش الرومانية التي تصدت لها شر ممزق . وحلت إيلات
بنونيا وأخواتها في جنوبي الدانوب . وسقطت أمامها المدائن
الرومانية والعشائر الجرمانية تباعاً . ومن عشائر الهن هذه ،
وأخواتها التي جاءت سنة ٨٨٩ ، تألف الشعب الهنغاري ، « يعني
هن جار » أو « هن غار » أو هن جكار (بالجيم المصرية في الاول
والكاف التركية في الثالث)

وهم من العنصر المنغولي ، أدنى نسباً الى قبائل الفن اوجريان ،
أو الفن اوغريان ، قاطني جبال اورال بين روسيا وسيبيريا .
وقد جاءوا من جبال التاي في الصين في ثلاث حملات . ففي الاولى
حلوا رحاب فنلندا . وفي الثانية والثالثة هنغاريا وبلغاريا وجوارها
وفصلوا بين أبناء العنصر الروماني في ايطاليا ورومانيا

أوصاف الهن

يمتازون بجمال الصورة ، وذكاء العقل ، ولين العريكة ، وحب الاستقلال . وقد عاشرت منهم من لا أنسأهم ، ولا أحيده عن احترامهم . وكانت عاصمتهم مدينة « بودا » على ضفة الدانوب اليمنى ، فاقترنت هذه بمدينة أخرى على ضفته اليسرى اسمها « بست » . فتألف من ذلك الاقتران مدينة مزدوجة الاسم هي « بودابست » حاضرة هنغاريا . ويسمون الحجار او الحجر ، وعددهم في وادي الدانوب ثلاثون مليوناً تقريباً

العشائر الجرمانية

ويجب أن اعيد النظر في العشائر الجرمانية التي ذكرتها في معارك ارمينيوس ، وقلت انها وجدت في اوربا قبل القرن الخامس ق . م . اعني قبل قدوم الهن الى اوربا بنحو تسعة قرون . فما هي مواطن هذه ؟

تتميز العشائر الجرمانية عن الهن والسلاف ، مع ان هذه العشائر كلها دعيت في عرف الرومانيين « برابرة » فعلى أن نميز بين برابرة وبرابرة . لأن الكلمة اسم جنس ، يدخل تحتها أنواع كثيرة ، فهي ككلمة أعاجم بالعربية ، تطلق على كل ما ليس عربياً من أنواع البشر . وقد يكون الجامع بين هذه الأنواع لغوياً لا اتولوجياً

فمن العشائر الجرمانية كل شمالي اوربا وغربيها وهم الاسوجيون والنروجيون والدانمركيون والبلجيكيون والهولنديون والانجليز والالمان والفرنسيون والاسبانيون والبرتوغاليون و (أهالي شمالي

ايطاليا) اللومبارديون ، وامثال هؤلاء في اميركا واستراليا
ونيوزيلاندا وجنوبي افريقية ، ويتراوح عددهم بين ٤٥٠ و ٥٠٠
مليون نفس . وهم القابضون اليوم على أزمة الدنيا . وكانوا يدعون
قديماً هكذا

النورمان : وهم الثلاثة الفروع الشمالية .

الغال أو الغول { وهم الفرنسيون اليوم
البورغنديون

الفنڊال : وهم اللومبارديون

الفريجيوت : وهم أهالي اسبانيا وبرتغال

التوتون : أهالي المانيا وهولاندا وانجلترا

وتتميز العشائر الجرمانية بثلاث مزايا كبرى ، هي احترام
النساء ، والحرية الشخصية ، والآداب الجنسية . وليعذرني القارئ
اذا تجاوزت المسألة الكبرى في تاريخ التمدن وهي : هل شرفت
النصرانية هذه القبائل اكثر مما شرفت هي النصرانية ؟ : فلا أعرض
للإجابة على هذه المسألة . ولا ريب في ان الحياة المسيحية تجلت في
هذه الشعوب مدة ١٦٠٠ سنة على الاقل

قائدها اتلا

لم تتسرب اليها أوصاف قائدها بأقلام أتباعه ، فقط ، الذين
له بينهم مقام المعبود ، بل أيضاً بأقلام خصومه وأعدائه ، الذين
حسبوه غضب الله المسكوب على الناس . وهم الكتاب البيزنطيون
واللاتين والجلوث وقدماء الجرمانين والسكندنافيين ، ولا سيما في
أشعار « بنايلونجن » أقدم الشعراء الجرمانين . جاء فيها ان اتلا

« هو اتبلا ذو الاثني عشر تاجاً وارث ارض الثلاثين ملكاً ، الذين
أخضعهم حسامه » : وجاء في تلك الاشعار ان عاصمته هي
« اتسلانبورج » وهي بودابست



اتبلا

وليس هو خشناً همجياً قط الاخلاق والاصاف . لا وألف
الف لا . بل هو الجندي القانوني الذي الفؤاد الذي تغلبت فيه

خلال الصداقة واللفظ على محبة الغزو والفتوح . وهو ذلك
الرصين الوقور في حياته الشخصية ، العادل المدقق في قراراته
القضائية ، الحاذق في كل فنون القتال ، وآداب الطعن والنزال ، الذي
أمن الخاضعين له وأنصفهم ، واحترم تقاليدهم القومية والميثولوجية ،
وكان جنده يحسبونه آلهة متجسداً . وينضون تحت لوائه برغبة
وحماسة دينيتين . هذا هو اتلا قائد الهونيين أو « الهن »
أسطورة سيفه

« السيف المصلت » هو اله السكيثيين ، وقد وقع ذلك الآله بيد
اتلا على الكيفية الآتية : سار أحد رعاة الهونيين ، في اثر عجل
جريح . وكان يتبع آثار الدم على الارض ، حتى وصل الى بقعة
في العراء ، رأى فيها سيفاً نزل نعله في الارض ، كأنه ألقى من
السماء . فاتزعه الرجل من الارض وأتى به الى اتلا . فتنبأ الراءون
- الانبياء - انه سيففتح الارض بذلك الآله . وكان يلقب نفسه :
« اتلا سليل نمرود العظيم الذي نشأ في « انجادي » بنعمة الله ملك
الهن والغوثيين والدافيين والمادييين ، ذعر العالمين » . وكان شعاره
مرسوماً على مدالية ذهبية وهو رأس حية استرسل الشعر عليه وهو
الشعار الذي نقشه انطيوخوس ايفانيس على ابواب انطاكية
بقي ان نفهم المراد بكلمة « انجادي » بالجم المصرية ، ونعرف
مغزاها التاريخي والرمزي ، فأقول . تعني كلمة انجادي « واحة
النخل والعنب » . والواحة هي روضة في الصحراء أو « البرية » .
والاستعارة هنا مستمدة من سفر الرؤيا ص ١٢ . وهو هذا :
وظهرت آية عظيمة في السماء امرأة متسربة بالشمس والقمر

تحت رجليها . وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكباً ، وهي حلى
تصرخ متمخضة ومتوجة تلد . وظهرت آية أخرى تين عظيم
أحمر ، له سبعة رؤوس وعشرة قرون والتين وقف أمام
المرأة ليتلع ولدها متى ولدت . فولدت ابناً ذكراً عتيداً أن
يرعى جميع الامم بعصاً من حديد والمرأة هربت الى البرية
« انجادي » . هذه هي كلمة انجادي . وتأويل هذه العبارات عندهم
هكذا :

مولود المرأة : هو قسطنطين الكبير العتيدي ان يغلب الوثنية
المرأة : الكنيسة . وهي مكللة باكليل من اثني عشر سبطاً
واثني عشر رسولاً . وقد ريت كاسرائيل في « انجادي » أي البرية
قاتلاً ملك انجادي ، أو البرية المختارة ملجأ للكنيسة ، على
رأي بعضهم . فحكم اتلا على الاراضي شمالي الدانيوب والبحر
الاسود وشرقي قوقاسيا . ثم عمَّ حكمه قسماً كبيراً من بلاد الجرمان ،
وامتد جنوباً الى ثراقية . وأسس مدينة بودا سنة ٤٤٥ . واتخذها
عاصمة له . ودعا نفسه « ابن المرأة » العتيدي ان يرعى جميع الامم
بعصاً من حديد . ولذلك لقب نفسه ملك « انجادي » أي ملك
البرية ، أو الصحراء

الاثنا عشر كوكباً

« وعلى رأس المرأة اكليلاً من اثني عشر كوكباً » فما المراد
بذلك ؟

قالوا ان موسي رومية الاخوين روموس ورومولوس ، على
خفة تير ، ظهرت لها آية ١٢ نسرأ ، اشارة الى ان مدة سيادة

رومية ١٢ قرناً . لذلك اتخذوا النسر شعاراً لرومية . ولما دنت
المدة المقررة للرومانيين تضاءلت امبراطوريتهم ، وتقلص سلطانها ،
ومالت شمسها الى المغيب . وقالوا ان روموس قتل أخاه رومولوس على
أساس رومية ، او على اسوارها . ولماذا ؟ . لان الآلهة شرطت
عليه ذلك لتمد اجل رومية الى ١٢٠٠ سنة . فاغتيل روموس اخاه
هو الثمن المدفوع والآلهة ، لتنع على رومية العظمى بالاكيل المؤلف
من اثني عشر كوكباً أي اثني عشر قرناً . كذلك قتل اتلا اخاه
« بليدا » لما اسس مدينة بودا على الدانيوب ، لانه سليل المرأة
وملك انجادي ، المرموز اليه بقسطنطين الكبير ، وروموس مؤسس
رومية . وليس الوثنيون وحدهم الذين اعتقدوا ذلك بل شاركهم فيه
المسيحيون يومئذ . وهو رأي آخر قديم

داعي الحرب : اسطورة ثانية

كان لفلاتينياوس اخت حسناء تدعى هنوريا . فارسلت هنوريا
رسالة الى اتلا ، امبراطور الغرب ، تطلب يده ، او تعدله يدها ،
قاصدة مشاركته في الامبراطورية . فاكتشف الرومانيون العلاقة
الغرامية بين هنوريا وبين اتلا فسجنوها . فثار اتلا لقتال رومية ،
انتصاراً لحبيته ، وحفظاً لعهود الحب . ويقال ان عدد جيشه بلغ
٧٠٠ الف . ولا أظن ان ذلك القول صحيح

موقف فلسفي : اتمت رومية غرض وجودها ، واكملت الاثني
عشر قرناً . فنقلت التمدن من اليونان الى اوربا ، ووسعت نطاقه ،
فدنت وفاتها ، فمن يرثها ؟ . هل القبائل الجرمانية المسيحية او
الهونية الوثنية ؟

هذا هو موقع التنازع بين اتلا وبين الفريجيوت في اسبانيا
والفرنك في فرنسا . فسار اتلا لقتالهم آملاً أنه ، بعد سحقهم ،
يعود الى رومية ، فيناقشها الحساب ، ويحرر حبيته هنوريا من ظلمهم ،
ويرث الامبراطورية الرومانية ، ويملا الارض عدلاً وسلاماً ، كما
ملاًها غليوم الثاني ١١

ميدان المعركة

في شمالي فرنسا سهل رحيب ، حول مدينة شالون ، كان يدعى
قديماً سهل « كبي كتالوني » ، ينساب المارن في جنباته ، وترقطه
بعض القرى . في رحاب ذلك السهل ، قرب مزرعتي « شايب
وكوبرلي » اراضٍ ما زالت تحمل آثار الفن العسكري . وعند
الاهالي اسطورة قديمة ، وبحسبها يدعون تلك الارض « محلة اتلا » .
ولا ريب في انها كانت ميدان المعركة الفاصلة بين اتلا والحلفاء
المسيحيين ، الذين التفوا حول رومية وتولوز . على الجانب الواحد
الهن ، وعلى الآخر الغوث والرومان . والى كل من الجانبين شيخ
من شيوخ الفريج المتنازعين . هذه صورة الميدان

جبهة القتال

جبهة اتلا : كان جناحه الايمن ممتداً للاتصال بحليفه الفرنجي ،
وجناحه الايسر ممتداً جنوباً ، ليحول دون اتصال البرغنديين
بالحلفاء في الميدان . وكان اتلا نفسه في القلب . وفي جناحه
الاوستر جوث او الاوسترش وهم النمسيون ، والجياريون . وقد
اتخذ اتلا مخططة الهجوم

اما جبهة الحلفاء فهذا ترتيبها :

في القلب ملك الجوث (الالمان) وفي الجناح الايسر الملك
ثيودوريك ملك الفزيجوث وفي الجناح الايمن القائد الروماني
اثيوس . وكان يحتل الانجاد تجاه جناح الهن الايسر . فرأى اتلا
أهمية مركز اثيوس ، فبدأ المعركة بمهاجمته ، لانتزاعه منه . وقذف
بزهرة جنوده في تلك الهجمات ، فصدها الرومانيون مراراً . وكان
الملك ثيودوريك يوالي الهجوم في الجناح الايسر ، على الاوستر جوث
في جناح اتلا الايمن . فوقع ثيودوريك قتيلاً . فاستبسل جنوده
للاخذ بثأره . وداست سنايك الخيل ملكهم القليل . وثأروا له
باستئصالهم شأفة الاعداء . وداروا على قلب جيش الهن ، وكان
ذلك القلب مشتبكاً في القتال مع الالمان بمعركة طاحنة . فتراجع اتلا
وصد رماته خيالة الفزيجوث . وخيم الظلام ، ولا يزال جناحه
الايسر امام اثيوس ، ثابتاً . ولكن جناحه الايمن اقتناه الفزيجوث
بدم ملكهم ثيودوريك . وكان قلبه متراجعاً نحو المحلة

واذ توقع هجوماً في الغد ، يتعذر عليه صده ، جمع العربات
والعنابر ، وجعلها سوراً ، امام رماة النبال . ولم يرد ان يحرز أحد
الفخر بقتله ، فجمع كومة كبيرة في الوسط ، من السروج والعدد
الخشبية ، وجمع فوقها الغنائم والكنوز ، مع زوجته وأولاده ،
وجلس هو على رأس الكومة ، عازماً أن يضرم النار في الجميع متى
انكسرت جيوشه . ولما رأى الحلفاء منه ذلك ، لم يضيّقوا عليه الحثاق
لئلا ينفذ خطته . فتركوا لحيشه حرية الانسحاب . وهكذا انتهت
المعركة بفشله

واذ كان اثيوس يخشى مطامع ثورسمند بن ثيودوريك ، اوعز .

اليه ان يسرع الى اسبانيا . وبذلك نجي رومية من عدو يرهب
بطشه ، وحليف تخشي مطامعه . وهما اتلا ملك « انجادي »
و ثورسمند ملك اسبانيا .

وهكذا انتهت معركة شالون ، ونجت اوربا من سلطة الهن .
فانحصروا في هنغاريا ، التي آلفت مع اوستريا الامبراطورية
النموية ، وتدعى اوستروهنغاريا . اي « الاوستروجوث » او
الجوث الشرقيين وهنغاريا

الحوادث التالية:

سنة ٤٧٦ : سقطت رومية بيد اوداسر
» ٤٨٩ : اسس كلوفيس مملكة فرنسا
» ٤٥٥ - ٥٨٢ : تغلب السكسون والانجل على انجلترا
» ٥٣٣ - ٥٦٨ : تغلب يوستينانوس ملك قسطنطينية على
لمبارديا وشمال افريقية
سنة ٥٧٠ - ٦٢٠ : الحروب بين هرقل وبين اكاسرة الفرس
» ٦٢٢ : الهجرة النبوية من مكة الى المدينة ، وهي بدء

التاريخ الاسلامي

سنة ٦٢٢ - ٦٥٠ : فتوحات العرب في بلاد العجم وما وراءها
شمالا وشرقا
سنة ٦٣٢ - ٧٠٩ : امتلاك العرب سورية ومصر والمغرب ،
من الروم
سنة ٧٠٩ - ٧١٣ : عبور بوغاز جبل طارق ، ودخول
الاسلام اوربا

معركة نور

سنة ٧٣٢

صفة هذه المعركة فلسفياً

« هي المعركة الفاصلة بين الاسلام واوروبا المسيحية على زعامة التمدن »

نشأت الاسلامية في مكة المكرمة بالحجاز . واثمت اخضاع العرب في حياة منشئها العظيم . ومن ثم شرعت في نشر سطوتها في العالم . وليس في تاريخ العالم اغرب من سرعة انتشار الاسلامية ، في سنين قلائل ، في سورية والعراق وكردستان وارمينيا وقوقاسيا والعجم والتار ومصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش . ولم تقف عند هذا الحد ، بل نخطته الى ما هو ابعد مكاناً ، واعظم مغزى ، فهاجمت أوروبا أولاً من ناحية قسطنطينية . واذ امتعت عليها دارت بها من ناحية اسبانيا ، ودخلتها عن طريق بوغاز جبل طارق . وساعدتها الاقدار على استعمار اسبانيا وسمتها الاندلس . ولست أرمي هنا الى شرح تاريخ الاسلامية في الاندلس ، ولا ايراد فتوحاتها المجيدة في بلاد الفندال والفريجيوث . بل أقول انها امتدت شمالاً الى جبال بيرينيه ، وعبرتها الى فرنسا وذلك في ملك

عبد الرامز . وشتت الغارة على فرنسا بقيادة عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي سنة ٧٣٢ . وكان المذكور قائداً خيراً بفنون القتال ، دمت الاخلاق ، محبوباً من جميع جنوده . فاجتاح غسقونيا وكل وادي غارون ، وقهر الكونت ايدو وهزمه ، وكانت على نهر غارون مذبحه هائلة ، نشرت الرعب في قلوب جميع سكان اوربا . ثم تقدم عبد الرحمن بجيشه اللجب الى وادي اللوار . ولم يقف في سبيله حاجز حتى وصل نواحي مدينة « تور » ، وهو يفتح ويغنم ويحرق

الميدان

في رحاب شيبانيا الشاسعة ، بين بواتيه وتور ، المؤلفة من مروج خصبة ، وافرة المرعى ، غنية الحاصلات ، ينساب فيها جداول الشار والكروز والفيان والكلارين والاندري ، وكل هذه الجداول فروع نهر لوار العظيم . يرقط تلك الرحاب هضبات وأنشاز ، امتازت بنضارتها وجنتها ، تخترق بعض أقسامها حراج وغابات ، تفصل بين مروجها الخضراء . فهي جنات تجري من تحتها الأنهار ، وتغرد على ميلاء أبقانها صادحات الاطيار ، ويهب في غاباتها الدسيم عليل ، وينساب لحين مائها ، على در حصباؤها فاراتاً سلسيلاً

وقد ازدادت تاريخ تلك الرحاب ، او تشوّه ، بأخبار معارك عديدة ، شبت فيها في مختلف الازمان ، بين الغزاة الفاتحين والوطنيين المدافعين ، في مختلف الامم والاحوال . وأهم ما سطر ، في صفحات تاريخها ، أخبار المعركة الفاصلة ، بين شارل مارتل وبين

عبد الرحمن بن الفاطمي . او بين العرب وبين الجرمانين . بل بين
الساميين وبين الاريانيين - بين آسيا واوربا - بين الشرق والغرب .
هناك كانت نقطة التحول والانتقال في مجار كثيرة ، هي الفتح
العربي ، الامتداد الاسلامي ، الطموح الشرقي ، النهضة الاسيوية .
ومن ثم نكست هذه المجاري راجعة من جوار باريس الى ما وراء
جبال بيرينيه ، ثم برحت اوربا الى العالم القديم . وساد اوربا التمدن
المسيحي ، والامم الجرمانية

جيوش المارك

نشر الاسلام رواقه على شمالي افريقية ، وغربي آسيا . وتعمق
في هذه الى ما وراء دجلة . فاكثسح بلاد الفرس والتتار ، وما
فيها من جبال ووهاد ، وأغوار وأبجاد ، وبحيرات وأنهار ،
ومدائن وأمصار ، وأمم وأسباط . فكان جيش عبد الرحمن خليطاً
من كل تلك الامم من بدو وحضر ، وعرب وبربر ، وفيه من
الفرنجيوت والقندال من شعوب اسبانيا وبرتوغال . واختلف
المؤرخون في عدده بين ٨٠ ألفاً و ٧٠٠ . واثبت أحد مؤرخي
الاجيال الوسطى خسارة العرب ، في معركة تور ، ٣٥٠ ألفاً .
ولا سبيل لنا الى تحقيق ذلك ، والارجح ان فيه مبالغة كبيرة . على
انا اذا فحصنا الامر بنور الحقائق تجلت لنا القواعد التي تؤيد أهمية
المعركة ووفرة جنودها . قال أحد مؤرخي الإديار : « حل الاسلام
اسبانيا بنحيله ورجله ، وجاءها المسلمون بآبائهم وازواجهم ، وشكلوا
الممالك ، ونشروا التمدن العربي والفنون الشرقية ، وحشدوا جيوشهم
في تلك الاصقاع ، وجمعوا أسلحتهم وذخائرهم ، وعبروا بكل هذه

الاشياء الى فرنسا ، فاكنتظت بها الاقدام ، وغمرتها الجحافل .
والاعلام »

أما جيش شارل مارتل فكان فيه الجرمانيون ، ولا سيما التوتون
الذين سكنوا غربي نهر الرين ، ونبذوا عنهم عيشة البداوة الخشنة ،
واعتنق بعضهم النصرانية ، ولكن أكثرهم ما زال الى ذلك الحين .
على الجاهلية . وكان زعماءهم في نزاع مستديم ، على التفوق . وأخيراً
قبض كلوفيس على ازمة الامور سنة ٥٨٩ ، وهذا أساس الدولة
الفرنسوية . ومن ذريته « شارل مارتل » بطل معركة تور . وهو
دوك الفرنج الاوستراسيين ، وهم أشجع الجرمانيين . وكانت تحت
لوائه جموع كثيرة من الغالين والثورمنديين والسكسونيين
والثورنحيين والغيرسانيين والباقاريين والايطاليين الاوستروغوثيين .
أوصاف المعركة

كتب العرب تاريخ هذه المعركة ، وترجم ذلك الى الاسبانية
الدون « خوسيه انطونيو كوندو » في « تاريخ الممالك العربية في
اسبانيا » . وقد طبع في مدريد سنة ١٨٢٠ وعنه أخذ المؤلف
كريسي سنة ١٨٥١ . وترجمته هي : —

« فجمع الكونت جموعه ، وحارب وهو على غير يقين بالفوز .
فساقهم عبد الرحمن أمامه ؟ وطاردهم جنوده بما في نفوسهم من
الحماسة الناشئة عن انتصاراتهم الماضية ، وثقتهم التامة بالفوز . فضرب
المسلمون أعداءهم ضربات حاطمة ، واجتازوا نهر غارون ، فدمروا
البلاد ، وأخذوا الاسرى بدون عد ولا احصاء . وسارت جيوش
عبد الرحمن في عرض البلاد الفرنسية ، سير العواصف الكاسحة ،

تبقى ولا تذر. وتمادت الجيوش الاسلامية في الرخاء والغنائم. ودفع عبد الرحمن الكونت عن ضفاف النهر، قارتد الى حصونه. فخاربه المسلمون، وقهروه، وانزعوا منه حصونه، وذبحوه بحد السيف، وفازوا بنخطف الارواح. قارتاعت قبائل الافرنج من هول الجيوش العريية، وارتجفوا. وذهبوا الى ملكهم « كالدوس » وقصوا عليه الروح الذي ألقاه فرسان المسلمين في قوسهم. وأنهم اجتاحوا بلاد زيون وتولوز وبوردو وأصبحوا أحراراً في البلاد، وأخبروه بموت الكونت قائدهم. فطيب « كالدوس » قلوبهم، ووعدهم بالنجدة

وأمتطي كالدوس صهوة جواده سنة ١١٤ هـ، وقاد جيشاً لا يحصى عدداً، ونزلوا لقتال المسلمين. فأدركهم في نواحي مدينة تور العظيمة. ورأى عبد الرحمن، وغيره من الزعماء، انتفاض حبل النظام بين الجنود الاسلامية، لاشتغالهم بالغنائم والاسلاب، ولم يتجاسروا أن يغيظوهم بشيء. ووثق عبد الرحمن ببسالة جنوده، وبحسن الحظ الذي رافقه. ولكن انحطاط الروح الحربية في الجيش هو على الدوام آفة الآفات. فهاجم عبد الرحمن وجيوشه مدينة تور ليغنموا الغنائم. وحاربوها ببسالة، قبلما أدركتها النجدة. وكان صياح المجاهدين المسلمين كهياج النمورة لدى فرائسها. ولكن الله أهملهم لتوغلهم في الملاذ والاطماع الدنيوية. فالتقى الجيشان قرب نهر لوار، وهما مختلفان في اللغة والدين والصفة المدنية. وبدأ عبد الرحمن وجنوده الحرب بقلوب ملؤها الغضب والكبر. وهجمت فرسان المسلمين على صفوف الفرنج. فثبت لهم هؤلاء

ثبات الابطال . وتكدست جثث القتلى الى الجانبين ، وظلوا في كز
وفر الى غروب الشمس . وفصل ظلام الليل بين الجيشين

واستأنف المسلمون القتال عند ضوء الفجر . واخترق فرسانهم
طريقاً الى قلب الجبهة النصرانية . ولكن قلوب كثيرين من المسلمين
كانت مشغولة بالغنائم التي جمعوها في خيامهم وذاع في صفوفهم نداء
كاذب ، ان الاعداء بغتوا المحلة ونهبوها . فبادر بعض فرسانهم للدفاع
عنها ، وطرده الاعداء ، فظن اخوانهم انهم انهزموا من الميدان ،
فاضطربت جيوش المسلمين . وفيما كان عبد الرحمن يهددهم ، ويسكن
روعهم ، ليردهم الى الميدان ، أحاط به محاربو الفرنج ، واخترقت
صدره حراهم ، فخر صريعاً . فهرب العرب أمام الاعداء . ومات
منهم خلق كثير . فهذا الانكسار في جيوش المسلمين ، وموت قائدهم
البطل الصالح عبد الرحمن ، حدث سنة ١١٥ هـ . ويقول المؤلف
الانجليزي : « وندر ان نجد انصافاً كهذا في تاريخ الحروب القديمة ،
وصراحة كالصرامة التي يصف العرب بها انكسارهم في تور »

ولكن مؤرخي النصارى يخالفونهم في بعض التفاصيل . ولا
خلاف بين الفريقين في نتيجة المعركة . وهي انسحاب العرب
من فرنسا الى ما وراء جبال بيرنيه . فانفرد شارل مارتل وابنه
وحفيده شارلمان ، بالحكم في فرنسا . وهم ملوك الدولة الماروقنسية
الشهيرة . فتأسست على أنقاض معركة تور الامبراطورية الرومانية
الغربية ، وتوج قداسة البابا شارلمان امبراطوراً على فرنسا وألمانيا
وايطاليا سنة ٨٠٠ م ، وبذلك بدأ التمدن المسيحي ، وقد مر عليه الى
اليوم ١١٢٧ سنة

آراء كتاب أوروبا في معركة تور

من غرائب الامور ان المعركة التي احتدم أوارها تحت سماء فرنسا ، قلما أطارها قدماء كتابهم حقها من الاعتبار ، لكن ما فاتهم لم يفت كتاب الانجليز والالمان والعرب . فوفوها حقها من الاهمية ، وكشف بعضهم صفاتها الفلسفية والاجتماعية . واني أورد هنا أقوال بعضهم على مسئولية كتابها :

١ - قال جيون : المؤرخ الانجليزي الشهير : « انها المعركة التي بها نجا آباؤنا البريطانيون ، وجيراتنا الغاليون ، من أبناء العرب والاسلام »

وقال في مجلد ٢ ص ٧ : « لو لم يُصد ذلك الهجوم كانت العربية تدرس اليوم في جامعات إنجلترا وألمانيا »

٢ - قال شليخل : في تاريخ الفلسفة ص ٣٢١ . « ذلك النصر العظيم الذي أحرزه شارل مارتل وبه نجا التمدن المسيحي في غربي أوروبا

٣ - ف . ل . برانك : في تاريخ جرمانيا مجلد أول ص ٥ : « ان حادثة القرن الثامن هي من أهم حوادث التاريخ كافة ، وبها وقفت الاسلامية في جانب والمسيحية في جانب . وكانت غاليا وايطاليا بين نارين : العرب من الجنوب ، والجرمانيون الوثنيون من الشمال الشرقي . وقد قىض الفوز للتمدن المسيحي بيد الفتى الجرمانى الاصل « شارل مارتل » الذي قاد البلاد الى طريق النجاة »

٤ - قال ارنولد : في تاريخ الامبراطورية الرومانية مجلد ثان صحيفة ٣١٧ : « ان فوز شارل مارتل أعظم كثيراً من فوز ارمينيوس

وكانت له نتائج أرسخ في حياة الجنس البشري «
٥ - قال درابر : « قد وصل طرف الهلال العربي الواحد
البوسفور ، والطرف الثاني اسبانيا ، وامتد الى فرنسا . وكان يهدد
اوربا ببلوغ البدر التمام . فيمحو التمدن اللاتيني العتيد من الوجود
ويغمر اوربا »

٦ - وقال ادوارد كريسبي : « كلما تذوقنا أهمية معركة تور زاد
قدرنا أهميتها ، وبها نرى أنقراض الامبراطورية الرومانية تتنازعها
قوتان ، هما القبائل الجرمانية ، والجيوش العربية . وهاتان القوتان
تتنازعان تراث أعظم امبراطورية ظهرت في التاريخ . وأخيراً اشتبكت
القوتان في تور . ووصف المؤرخ جيون الانجليزي المعركة وصف
هوميرس معارك طروادة »

حوادث تالية

سنة ٧٦٨ - ٨١٤ : ملك شارلمان ، مجدد اوربا . وحارب
الجرمانيين . ونصّرهم . وأخضع بوهيميا وبنونيا . وسك النقود .
واسس المدارس ، وأنشأ المكاتب ، وفصل في الخلاقات المذهبية ،
ووصل الرين بالدانوب ، وجمع بين الشرائع الرومانية والبدوية .
وبحق دعي « شمس اوربا » مات سنة ٨١٤

سنة ٨١٤ : انقسمت امبراطورية شارلمان الى ثلاثة أقسام .
هي فرنسا والمانيا وايطاليا

سنة ٨١٨ : جدد اوتو الامبراطورية الجرمانية ، بعد منازعات
طويلة بين خلفاء شارلمان

سنة ٨٢٧ : ساد اغبرت ملك وسكس بقية أقسام انجلترا . دخل
الشماليون فرنسا وأسسوا دوقية نورمانديا
سنة ٨٧١ - ٩٠٠ : ملك ألفرد في انجلترا
سنة ١٠٤٠ : بدء ملك النورماندين في سيسيليا وإيطاليا
سنة ١٠١٧ : ملك كنيوت الدانمركي على انجلترا
سنة ١٠٣٥ : خلف وليم نورمانديا أباه على نورمانديا بفرنسا

معركة هاستين

سنة ١٠٦٦

تأسيس المملكة الانجليزية

لست أود أن أرجع بالقارىء الى ما وراء العهد الروماني في انجلترا . فقد عرفنا ان يوليوس قيصر حلَّ في انجلترا سنة ٤٣ م ، في عهد كلوديوس قيصر الامبراطور الروماني . وفي أقل من أربعين سنة خضعت كل انجلترا وبعض اسكوتلاندا لرومية . وظل الرومانيون في انجلترا الى سنة ٤٤٠ . على انه لما بلغت رومية طور الاحتضار وكانت تدافع عن كيانها وهي في آخر رمق من الحياة ، اضطرت لسحب جيشها من انجلترا ، تاركة البلاد تكافح لذاتها بذاتها واذا بانت انجلترا ككرم بغير سياج تدفقت اليها سيول الحملات السكسونية والداغمركية . وأهم من نزلها ثلاث عشائر ، هي الغوث والانجليز والسكسون وتغلب عليها اسم الانجليز . فدعيت انجلترا أي بلد الانجليز . وأسس السكسون في انجلترا سبع ممالك صغيرة ، انضمت بعدئذ وصارت مملكة واحدة تحت حكم اغبرت سنة ٨٠٢ الى ٨٣٩

هذا بدء الدولة الانجليزية . ثم غزاها الشماليون « النورمان » ،

فتسلط عليها ملكهم كنيوت مدة ٢٥ سنة . ثم عادت الى ادوارد
المعترف سنة ١٠٤٢ . وهنا تبتدىء الحكاية

الوارثان

مرّ بك ان الشهايين أنشأوا في شمال غرب فرنسا دوقية
نورمنديا . وكان حكام هذه الدوقية ، وحكام انجلترا ، من عائلة
واحدة . ولم يكن لادوارد ملك انجلترا وارث ذكر . وكان له
نسيبان ، هما هرلد امير سسكس (احد اقسام انجلترا) ووليم دوك
نورمنديا

ومعركة هستين منتهى النزاع بين هذين الرجلين على العرش
الانجليزي . فقد زار هرلد سنة ١٠٦٥ وليم نورمنديا . فغم وليم
الفرصة ، وقال له صراحة « يا ابن عمي ، لما كنا ، انا وادوارد ،
نعيش معاً كاخوين وعدني انه اذا ملك على انجلترا كنت انا وريثه .
فهل تساعدني على تحقيق هذه الامة ؟ » . فعلم هرلد من طرف
خفي ان خروجه من نورمنديا سالماً متوقف على قبوله بذلك . فقال
نعم ، ولكن « مكره اخاك لا بطل »

وعرض وليم عليه ان يزوجه ابنته ادال ، ويرسل هرلد اخته
الى نورمنديا فيزوجها وليم بأحد اشراف البلاط . فرضي هرلد
بالامر . ولكي يزيد وليم الامر وثوقاً سأله ان يقسم له ، فأقسم .
ولم يكتف وليم بكل ذلك بل رغب الى هرلد ان يقسم له جهاراً
بمحضور رجال الدوقية . واتى بصندوق ، وضع فيه عظام القديسين ،
ووضع كتاب الصلوات على غطاء الصندوق ، وهرلد لا يعلم ما في
ذلك الصندوق . ثم سأل هرلد ان يركع ، فركع ، ووضع يده على

الكتاب فوق الصندوق ، واقسم على مسمع الجميع ، « ان يبرّ
بوعده ، ويمكن وليم من الجلوس على عرش إنجلترا » . ولما نهض
هرلد من القسم تقدم وليم وفتح الصندوق وأرى هرلد ما في باطنه .
فوجف هرلد خيفة لما رأى انه اقسم على عظام القديسين . ولكنه
لم يبد تردداً في الامر . وامن الجميع على قسمه . وقفل بعد ذلك
راجعاً الى إنجلترا

تنصيب هرلد ملكاً

وفي تلك السنة توفيت اخته ، التي وعد ان يرسلها الى نورمنديا ،
ومات كذلك الملك ادوارد . فاجتمع « الويتنجموت » الانجليزي
- مجلس الحكماء - وقرروا تنصيب هرلد ملكاً ، غير معترفين لوام
نورمنديا بحق ، او مداخله في سياسة بلادهم . وتوجوا هرلد ملكاً
على إنجلترا في ٧ يناير سنة ١٠٦٦ . ووضع رئيس اساقفة كنتبري
التاج على رأسه ، وسلمه الصولجان ، وجلس على العرش . ولما بلغ
وليم ذلك حسبه خيانة . وارسل يذكر هرلد والانجليز بالوعد
والقسم . فاجابه هرلد ان اخته توفيت ، وان الملك هو من حقوق
الامة وليس من حقوق هرلد . وانه لو تنازل هرلد عن الملك
قالامة الانجليزية لا تقبل وليم نورمنديا بدلا منه . وطاد وليم فارسل
رسولا ثانياً ، فسمع من هرلد نفس الجواب الاول . فاستأنف
الامر لقداسة البابا ، فحكم له البابا بالحق في العرش الانجليزي ،
وحرّم من يخالف ذلك الحكم ، وارسل له علماً يصحبه حين يتقدم
الى العرش

معدات المعركة

فشرع وليم يعد عدته للحرب ، فوقف عقله وقوته وكل كنوز ملكه ، وكل عون أو نجدة تأتيه من حلفائه ، على صنع الأسلحة ، واعداد معدات الحرب . وكان وليم واحد فرسان عصره واكبر حكماء دهره ، فأمل على جنوده انه قائدهم الى اجد نصر في التاريخ ، فانضوى تحت لوائه فرسان اوربا ، لانه كان فارساً مغواراً محبوباً من الفرسان . زد على ذلك رغبتهم في الحصول على رضا قداسة البابا .

ورغب بعضهم في نيل المكافأة ، وبعضهم في نيل الشهرة واستعد هرلد للحرب ، وجمع جيشاً لجياً وبني اسطولا كبيراً ، وأعدت معداته لرد الطامع في عرشه . ولكنه في هذه الاثناء غزا انجلترا هرلد رادا ملك دانمارك . فاضطر هرلد أن يذهب لصدده بجيشه وأسطوله . فتجبح ، ولكن بجهود كبيرة ، وخسارة باهظة ، وغنم وليم نورمنديا فرصة غياب الملك هرلد وجيشه وأسطوله ، فزل الى البر الانجليزي غير معارض

أوصاف حملة وليم

ركب وليم سفينة في مقدمة اسطوله اسمها « مورا » وكان على مقدمها تمثال نحاس ، يمثل ولداً بيده سهم ، يشير به الى انجلترا . وبلغ الشطوط الانجليزية شرع في تفريغ السفن وانزال الجيش . فكان المهندسون والشيالون يفرغون العنابر ، وأنزلوا الدروع والسلاح والخيول والمؤن . ونزل الجيش هكذا :

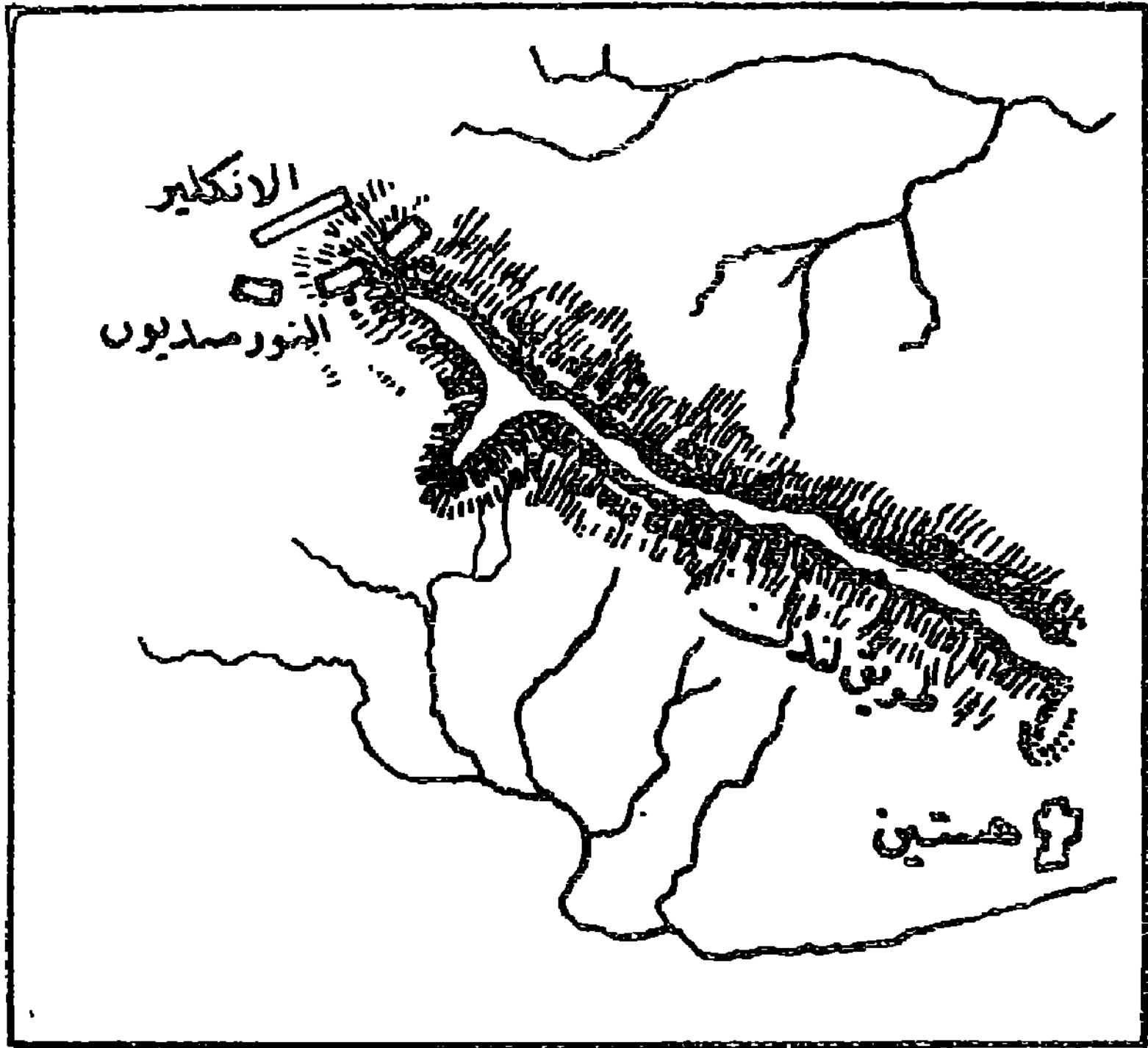
أولاً : رماة القسي . وقد تقلد كل منهم قوساً موتورة ، وعلى جانبه جعبة مملوءة سهاماً مبرية . وكانوا قد حلقوا لحاهم وجزوا شعورهم

كأنهم ذاهبون الى حفلة فرح . وكانوا يرتدون الثياب القصيرة .
استعداداً للقراع ، ومشوا بترتيب ونظام تتجلى فيهم الحماسة
ثانياً : الفرسان بالدروع والدرق والخوذ اللامعة ، والسيوف .
الصقيلة ، والرماح الردينية ، وقد اعتلوا صهوات الخيول كأنهم في
ساحة الرهان .

ثالثاً : الصناع ولا سيما التجارين ، يحملون الآلات والاشباب .
والمسامير ، وقد صحبوا أجزاء ثلاث قلاع خشبية ، قرنوها معاً ،
فكان لهم في البر الانجليزي قلاع ومعقل صناعية ، وضعوا فيها مهماتهم .
ولما صعد وليم الى البر الانجليزي عثر ، فسقط ولقي الارض .
بكلتا يديه فتشاءم رجاله ، أما هو فنزع تشاؤمهم بقوله : « يا الهي .
قد تناولت انجلترا منك بكلتا يدي وهأنا أردتها لك »

فصب المضارب والحيام ، وجال رجاله يصادرون المون والاشياء .
وبلغت هرلد أخبار الروع الذي انتشر بين الفلاحين ، فأسرع الى
الشرق لرد الغازي عن انجلترا . وكان جيش هرلد أقل عدداً من
جيش وليم ، بسبب خسارته في محاربة هرلد رادا . فأشار عليه
حكماؤه أن ينسحب الى لندن ، ويخلي البلاد أمام وليم ، كما عمل
الروس مع نابوليون . وانه متى وصل وليم لندن ، يكون جيشه قد
حلّ به التعب والمرض والجوع ، فحينئذ يصليه الانجليز المعركة
الفاصلة . وهي مشورة غاية في السداد ، ولو عمل بها هرلد لكان
فوزه مضموناً . ولكنه رفضها رفقاً بأهالي القرى الذين لم يطاوعه
قلبه أن يرى بيوتهم تهدم ، وارضاقهم تتلف . فأثر أن يصلي ابن عمه
وليم المعركة حالا ابقاء على الفلاحين

والح عليه أخواه ، جورت وليوفين ، ان ينسحب من الحرب ،
لانه وعد وأقسم فلا يجوز له الحث . وقالوا نحن لم نعد ولا أقسمنا
فيجوز لنا ما لا يجوز لك . فتحارب . فلم يرد الملك أن يحارب
الآخرون حروبه ، وهو محتبيء في زوايا البيوت . ورأى غضاضة
في أن يريق الآخرون دماءهم لاجله



ميدان هستين

تمتد من قرية هستين الانجليزية سلسلة هضاب ، مسافة سبعة
أميال في جهة الشمال الغربي ، وعلى قمتها الطريق من البحر الى لندن ،
وتطل في نهايتها على الوهاد حول هستين . فجعل هرلد محله على ذلك

النجد ، ليتحكم في العدو ، المكشوف لنظره وإذا رام العدو أن يحيط به حالت دون مرامه الغابات وراء جيش هرلد . فكان لجيش هرلد مستند وراءه كأنه سور منيع ، مع أن ساقه ولیم كانت مكشوفة ، وإذا خسر المعركة فليس له ما يستند إليه . فليس أمامه إلا الفوز أو الهلاك

وقبل الشروع في القتال أرسل ولیم راهباً ينذر هرلد وجيشه بالخضوع لحكم البابا ، فرفض الأنجليز ذلك ، وكرر ولیم الانذار ، فكرر الأنجليز الرفض . حينئذ تلا على مسامعهم الحرم الكبير ، فاوجف القوم خوفاً ورهبة

وصف المعركة

لقد وصف المعركة روبرت وايز شاعر الملك هنري الثاني ، فأبدع أذ وصف الميدان وصفاً طبيعياً . ثم وصف تجمع الأبطال ، والعطاء حول ولیم ، وانشاد أناشيد الحرب ، ومخاطبة الدوك رجاله ، فجأروا بمدحه والدعاء له . ووعدوه خيراً . ثم قال الكاتب :

« فهرع الجنود إلى خيامهم ، وتقلدوا أسلحتهم ، وأدلى الدوك عليهم الأوامر ، ثم لبس عدة حربه ، وامتطى صهوة جواده ، وهو من الخيول الأصايل ، أهداه أياه ملك اسبانيا . فكان منظر ولیم على ظهر حصانه مما يروق ، كأنه للحرب قد خلق . وسلم العلم البابوي لأحد أبطاله . وقسم رجاله إلى ثلاثة أقسام ، جناحين وقلب

« وسلم الجناح الأيمن لموتغمري بعضده أوسيار ، وفيه جنود بولون وبوا . والجناح الأيسر لالبان مركري وامري وفيه الرينيون والاشراف . وكان هو على القلب . وقد تأهب رجاله للحرب .

وبدأت المعركة الساعة ٩ صباحاً . واتخذ وليم خطة الهجوم ، والنزم هراuld خطة الدفاع . وكانت أسلحتهم السيوف والرماح وأدوات حديدية متنوعة . وقد رتب هراuld جيشه متصلاً كالبنيان المرصوص ، وحذر جنوده كثيراً من التفرق والتشعب فيتغلغل العدو بينهم ، وأحاط جيشه بحاجز من أغصان الأشجار وتمنع الانجليز وراءه . وكان أخوا الملك الى جانبيه يزودان عنه ، وحوهم الاشراف والابطال

فتقدم النورمنديون في ثلاثة صفوف ، اكبرها وأقواها في الوسط ، بقيادة وليم ، والى جانبه العلم المقدس . يجاوره أبطاله وأشرافه . فوقف لهم الانجليز ، وقوف الابطال للابطال ، ومدوا أيديهم بالتروس ، فكانت لهم سوراً ترد عنه القواضب وهي مثلمة ، وضربت الطبول ، وعلا الضجيج ، وتفخت الابواق ، وزجرت الابطال ، وشرعوا الرماح ، وجردوا السيوف ، وأطلقوا السهام . وكان الصف الانجليزي يخطر كرقاص الساعة ذهاباً وإياباً ، ورجاله لا يزالون ملتحمين ، كما أوصاهم الملك هراuld . وأنشد النورمنديون نشيد شارلمان ، واستأذن البطل تيسغير مولاه وليم بأن يبدأ الحرب فاذن له . فبدأ بضربة سيف وطعنة رمح ، جندل بها اثنين من الانجليز . وسمعت قعقة السلاح ، وصهيل الخيول ، وصيحات الفرسان ، ووقع السيوف على التروس ، وانات الجرحى ، وعريضة الشجعان ، واشتد الطعن والضرب ، والتدافع والتزاحم . كل ذلك بالسلاح الابيض . ونجح الانجليز في صد النورمنديين . وطرحوهم في الخنادق عشرات ومئات ، أكداً مكدسة . فبرز ادورد أخو الدوك

ولم وناشد النورمنديين أن يثبتوا ، ويتشددوا ويستأنقوا الكرة
قائلاً « اتنا سنفوز بأذن الله » وظلت الحرب سجلاً بينهما إلى الساعة
٣ مساءً . وكان النورمنديون أولاً يطلقون سهامهم أفقية ، فيتلقاها
الإنجليز بالتروس ، فلا تضرهم . فجعلوا يطلقونها عمودياً على أمل أن
تسقط على رؤوس الإنجليز ، ولكنها سقطت فوق رماثها ، فاضرت
بهم ضرراً بليغاً ، إذ كانت تنزل عليهم كالامطار الغزيرة . ولكن
أصاب الملك هرلد سهماً فحاً عينه ، وسبب له ألماً شديداً . فزع
السهم بيده . وربط عينه ، وظل على القتال

ولما عجز النورمنديون عن أخذ الإنجليز مواجهة ، عمدوا إلى
الحيلة فتظاهروا بالاندحار ، وتراجعوا ، فخرى الإنجليز في أثرهم .
ولما أبعدهم عن مراكزهم ارتدوا عليهم ، واشتبك الجيشان بالقتال
وطال الأمر بينهما دون نتيجة ، إذ كان كل منهما كفواً لصاحبه .
وكانت القتلى في الجانبين ، وداست الخيل كثيرين منهم . وسقط
تحت وليم حصانان ، وركب الثالث ، وما زال في الميدان . وضربه
أحد الإنجليز ضربة أصابت الحوذة ، فقدتها قدماً ولكنها لم تشدخ
الرأس . وأخيراً التحم الأبطال ، ونكست الأعلام ، وخيم الظلام ،
وتجذلت الفرسان ، وسقط الملك هرلد في الميدان . وأسفرت المعركة
عن فوز النورمنديين ليلاً . ولا يعلم كم كان قتلى الإنجليز . ولكن
تقتلى النورمنديين كانوا ١٥٠٠٠

وفي صباح اليوم التالي ، وهو يوم أحد ، جاءت سيدات
بريطانيا ، تدفن موتاهما ، فكانت النساء تفتش عن أزواجهن وأخواتهن
وأولادهن . وكان منظر الميدان مما يفتت الأكباد . واشتغل كهان

القرى كل النهار في تجنيز الموتى . وجاءت ام الملك هرلد تطلب جثة ولدها الملك . فرفض ولیم طلبها قائلاً ان هرلد محروم من البابا فلا يستحق نعمة الدفن ، بل يجب أن تأكل السكالب لحمه . ولكنها توسلت اليه كثيراً فسمح أخيراً أن يجاب طلبها . فحملت جثة الملك ، ولم يمر عليه العام منذ جلس على العرش ، الى ولثام ودقتها هناك ودخل ولیم لندن ظافراً ، وتسمم العرش ولبس التاج . ودعي ولیم النظار

المحادثات التالية

سنة ١٠٦٦ - ١٠٨٧ ثار الانجليز مراراً على ولیم ، فكان يخدم ثورتهم كل مرة

سنة ١٠٩٦ : بدء الحملات الصليبية

سنة ١١١٢ : بدء النزاع بين امبراطور المانيا والبابا

سنة ١١٤٦ : الحملة الصليبية الثانية

سنة ١١٥٤ : ملك هنري الثاني على انجلترا

سنة ١١٧٠ : اخضاع ايرلندا لانجلترا

سنة ١١٨٩ : ذهاب ريكاردو قلب الأسد . مع فيليب ملك

فرنسا الى فلسطين

سنة ١٢٠٣ : انتزاع يوحنا الملك من ولدي اخيه وقتلهم

في برج لندن

سنة ١٢١٥ : اصدار يوحنا البراءة العظمى ، وهي اساس

الدستور الانجليزي

سنة ١٢٧٣ : تنصيب رودلف هابسبرج امبراطوراً على المانيا .
سنة ١٢٨٤ : فتح ويلس في حكم ادوارد الاول
سنة ١٣٤٦ : غزو ادوارد الثالث فرنسا ، معركة كريسي
سنة ١٤١٤ : ادعاء هنري الخامس ، ملك انجلترا ، التاج الفرنسي
سنة ١٤١٥ : غزوه فرنسا وفوزه في معركة اجنكور
سنة ١٤١٧ : فتح نورمانديا
سنة ١٤٢٠ : عهدة تروليه بين فرنسا وانجلترا
سنة ١٤٢١ : فوز هنري على الفرنسيين ، الذين رفضوا
تلك العهدة
سنة ١٤٢٨ : حصر الانجليز مدينة أورليان الفرنسية . وظهور
جان دارك

جاءه دارك

في سنة ١٤٢٩

« فشخصت أنظار أوروبا جماء الى المشهد ليروا أين يقف
الفرنسيون ليصونوا مملكتهم »
(جيون)

مركز فرنسا في المدن

لما اجتمع قواد اليونان ، بعد معركة سلاميس ، ليروا لمن كان
القدح المعلى في الفوز ، كان كل منهم يدعي انه الاول والثاني
ثمستوكليس . فدلنا ذلك على ان ثمستوكليس هو صاحب القدح المعلى .
هكذا في مدن أوروبا تدعي كل من ايطاليا وانجلترا والمانيا واسبانيا
انها الاولى في المدن والثانية فرنسا . فدلنا ذلك على ان الاولى هي
فرنسا . وليس من يجهل تأثير فرنسا في الفنون الجميلة والعواطف
الانسانية ، وآداب اللغة ، وغيرها من مقومات الحياة الروحية .
ويمكننا القول ، ولا نخشى في ذلك لومة لائم - والقائل هنا انجليزي -
ان الحاجز الوحيد الذي حال دون استعباد أوروبا لانجلترا هو فرنسا .
فقد ندر ان يتجلى روح الاستقلال القومي كما تجلى في اورليان
سنة ١٤٢٩ ، بعد ان وطىء الاجنبي اراضي فرنسا ، وفهر جنودها ،
وقتح مداتها ، وتسسم عروشها ، ومنيت بخيانة كثيرين من أبنائها ،
الذين انضموا الى الاعداء نكاية بالملك الذي اغتال أميرهم

موقف فرنسا

بلغ التراخي والفتور من القوم أعظم مبلغ . فلم يكن يرى في فرنسا إلا الفاقة والتخاذل ، فكان عمالها يحزنون للصوص ، اذ لا يجدون عندهم ما يسرقونه . وكان يتنازع مخازن الاقوات فريقان من الناهيين ، هم الانجليز الغزاة ، وعصابات الصوص . فسادت إنجلترا شمالي فرنسا كله سنة ١٤٢٨ . وتهيأت للاجهاز على الباقي

حصار أورليان

كان موقع هذه المدينة على ضفة لوار الشمالية ، يصلها بالجنوب جسر ممتد على النهر ، وعليه برجان ، وكان الفرنسيون يواصلون اخوانهم المحصورين بواسطة الجسر . فرأى القائد الانجليزي سالسبري ان امتلاك الجسر خطوة أولى لفتح المدينة . فوجه همه الى هذه النقطة ، وهاجم البرجين في ١٣ أكتوبر ، فقطع الفرنسيون قسماً من الجسر ، وبذلك فصلوا المدينة . ولكن حلول الانجليز هناك حكمهم في المدينة . يقول جيون الانجليزي : ان المدافع استعملت في حصار أورليان لأول مرة في التاريخ . وكانت تستعمل هناك لاهلاك الناس ، وأول من استعملها لدك الاسوار هم الاتراك في حصار القسطنطينية

وكان الانجليز يتوقعون أن الجوع يرغم الفرنسيين على التسليم ، اذ حال السور المنيع ، والنهر المحيط بالمدينة ، دون فتحها عنوة . وقتل القائد سالسبري بشظية قنبلة ، خلفه في القيادة اللورد صوفوك . وضرب أسوار أورليان بالمدافع . واستأنف الضرب في ربيع سنة ١٤٢٩ وشدد في حصارها ، فجعلت تشعر بالحاجة . وأحرز

السر جون فستوك الانجليزي قوژاً عظيماً على الفرنسيين ، فيه
دوقاري قرب أورليان حيث تغلب ١٦٠٠ انجليزي على ٤٠٠٠
فرنسي . وبذلك حصلوا على كثير من الاقوات ، كانوا غاية في
الاحتياج اليها . وكان أهالي أورليان على وشك التسليم ، وعرضوا
شروطهم على دوك برغندي ، وسمّ ولي عهد فرنسا الحرب ، ومال
الى التنازل عن العرش . فصدته عن ذلك الملكة ووصيقتها . وقصرت
الحكمة البشرية عن ادراك طريقة لانقاذ أورليان وفرنسا من
ذلك المأزق

من هو النقد ؟

كان في قرية دومرمي ، قرب اللورين ، رجل اسمه جان دارك .
وقد ربى عائلته على التقوى والفضيلة . وكانت كبرى بناته جانباً
ويدعوها الفرنسيون « جان » والانجليز « جوان » ، وهي في
الثامنة عشرة من عمرها ، مغرمة بقراءة سير القديسين والنساك .
فأيقظ ذلك في قلبها احلاماً ، دفعتها الى عيشة العزلة والافتراء .
وكانت ترعى غنيمات ايها . وقد اشتهرت في محيطها بطهارة حياتها
وعطفها على المرضى والفقراء . وكانت منطقتها بعيدة عن ويلات
الحرب ، ولكن اخبارها كانت تروع الناس . ومرة دهم القرية
بعض الغزاة ، فلبأت مع والديها الى « نوشاتل » . وكانت اخبار
الحرب ، وآلام الامة من جرائها تنقش على صفحات قلبها أي
الوطنية . فأضحى تحرير فرنسا شغلها الشاغل ليلاً ونهاراً . أضف الى
ذلك رؤية الصور التي تبين انتصار الله للمظلومين بطرق خارقة .
فشدت ايمانها ، واصعدت صلوات حارة ، وأخيراً وثقت في نفسها



جان دارك

أن الله دعاها لذلك العمل ، وأمدّها بقوة خارقة . وقالت بعدئذ
ان الرؤى السماوية بدأت تتوالى عليها منذ بلغت الثالثة عشرة من
العمر . وكانت قد صامت في اليوم السابق ، وسمعت صوت الله
يخاطبها ، وهي ذاهبة الى الكنيسة ، ورأت مع الصوت برقاً لامعاً .
ثم ظهر لها ماري ميخائيل ، وسيدتنا مريم ، والسيدة كاترين . وكلهم
مكللون بالمجد والجلال . وسمعت جان صوتهم اللطيف المونس ، فلم
تلمس اطرافهم . وبكت لانهم لم يأخذوها معهم الى الفردوس .
وكانت الرؤيا تتكرر مع رنين الاجراس . وقالت ان الاشخاص
السماوية قالوا لها انها ستقذف فرنسا . ولذلك هبت لعملها المجيد
شروع جان دارك في العمل

فأخبرت والديها بعزمها ، ولم يثنها عنه غضبهم ولا حزنهم .
فذهبت الى فوكولير حيث قابلت القومندان دي بودريكور ،
والتمست منه ان يقدمها للملك . فظنها القومندان مجنونة . ولكنها
أخيراً فازت باقناعه ، وربحت قلوب اهل البلدة ، فوثقوا بها ،
وأيقنوا ان الله اختارها لانقاذ فرنسا . فذاعت شهرتها في الجوار ،
وأرسلها القومندان صعبة خفير الى شينون ، حيث قابلت الملك وولي
عهده . وكان ولي العهد في وسط جمهور ، لا يمتاز عنهم بملابسه ،
فعرفته فراسة ، وجئت أمامه ، وقصت عليه رؤياها السماوية ، وأنبأته
انه سوف يتوج في كنيسة ريمس . وكانت تتكلم بمجد وثقة تامين .
فاتعشت بذلك عواطف الاسرة المالكة . ورأوا ان الله سلط عليهم
الانجيلز بسبب شرورهم ، وكانت فرنسا يومئذ مملوءة بروح التدين ،
وكان عندهم مع الخرافات والتعصب ايمان وطيد . ومن شأن الايمان

صنع المعجزات ، فحدث في الاكليروس انتباه روجي ، وجالوا في كل فرنسا يبحثون الناس على طلب الخلاص . وصدق الناس كل ما روي لهم عن جان دارك . واعتقد الانجليز ان روحاً كلها ، ولكنهم حسبوه روحاً شريراً . ولكن شارل ملك فرنسا صدقها . وتألب الناس حولها ، واثقين بالرؤيا السماوية التي ادعتها . وقاموا لطرد الانجليز من فرنسا

تجنيد جان دارك

فجاءت جان الى بلوا بملابس الجندي ، وامتطت حصاناً أدهم ، وتقلدت رمحاً ، وتعلمت كيف تهزه . ولكنها لم تلبس الخوذة ، بل كان شعرها الجميل مسترسلاً على كتفها ، منوطاً بشريط أبيض . فكانت متميزة بين الجنود . وتقلدت سيفاً ، وبلطة حرب كغيرها من الجنود . ورفعت فوقها علماً كتبت عليه « يسوع - مريم » . وعلى هذه الكيفية قادت جيش فرنسا . فاحترمها الجنود ، وققدسوها وأطاعوها . ولم تتدخل في حركات الجنود الفنية ، بل تركت ذلك للقائد الكومندان « دونوا » . واقتصرت هي على اغراء الجنود بأن الله معهم اذا هم اقتحموا صفوف الانجليز . ونبذت من الجيش كل من أرغم على التجند . ورافقها الكهنة يقبلون اعتراف الجنود ، ويققدسون حيث حلوا . ولم تسمع في الجيش كلمة تردد . وانقاد لها الابطال كالاطفال وذهبوا الى الحرب بروح جديدة

فسارت من بلوا في ٢٥ ابريل الى أورليان ، يصحبها دونوا لاهير وغيره من القواد . فوصلت المدينة في ٢٨ ابريل . وفي اليوم التالي ركبت حصانها ، وطافت باحياء المدينة ، بسلحها الكامل ،

والى جانبها القائد دونوا وكبار الفرسان . واحتشد الناس حولها ،
 ونهاقتوا على لمس طرف ثوبها ، او مس علمها المبارك . وحسبوها
 ملاكاً هبط من السماء في صورة انسان ورفضت أن يعملوا لها
 وليمة ، وانقطعت للصلاة ، وسمع بها الانجليز فحسبوها ساحرة .
 وأرسلت نداءً للانجليز تقول لهم ان الله يأمرهم أن يردوا مفاتيح
 فرنسا ، ويعودوا الى جزيرتهم ، قبل أن يصب غضبه عليهم من
 السماء . وكررت هذا الانذار عليهم وهي في المدينة المحصورة . فرد
 عليها القائد الانجليزي السروليم كلاركسدايل قائلاً : « اذهبي وارعي
 بقرات أريك » وعبرها بعبارات أجبرت دموعها على وجنتيها .
 ومع ان القواد الانجليز هزأوا بها ، فقد أربع كلامها قلوبهم . حتى
 انه لما جاءت الاقوات الى اورليان لم يتحرك أحد منهم لردها أو
 لمسلبها ، كأنها سحرتهم

المركة

ولما وصلت الاقوات ، الى مدينة أورليان ، ركب القائد دونوا
 وكانت جان في البيت متعبة . وهجم دونوا على الانجليز في سنتلوب
 فصدوه . فهبت جان بصوت سماوي ، وركبت حصانها ، واذا نسيت
 علمها المبارك عادت تطلبه ، الا أنها لم تنزل عن ظهر حصانها ، بل
 تناولته من النافذة وهي راكبة . فأخذته بيدها وسارت الى الميدان
 ورأت بعض الجرحى قرب مدخل المدينة فقالت « اني لا أقدر أن
 أرى الدم الفرنسي الا ويقف شعر رأسي » . ودفعت حصانها
 الى خارج المدينة ، ورأت قومها مدحورين ، مرتدين نحو أورليان
 بدون نظام . ولسكنهم حلاً رأوا القديسة ، انقلبوا راجعين الى

الميدان . فراع الانجليز منظرها «الجهنمي» ، على رأيهم . وانقض
الفرنسيون على الحصون ، وقتلوا حاميتها الخارجية . ولما انتهت
المعركة عادت اليها كل صفاتها الاتيوية ، فبكت لما رأت الدماء والقتلى
وسمعت أنين الجرحى والمحتضرين . وزادها بكاءً انهم ماتوا
بدون اعتراف

وكان اليوم التالي يوم خميس الصعود ، فقضته في الصلاة . وفي
اليوم الثالث عبر الفرنسيون النهر ، وضربوا الانجليز في جنوبيه .
فجرحت جان في كعبها . ولكن الفرنسيين فازوا باسترداد سنت
جان وأوغسطين . فلم يبق بيد الانجليز الا الحصنان ، وهما مفتاح
أورليان . وكانت النجدة قادمة للانجليز ، فرأى قواد فرنسا من
الحزم اقتحام الحصنين قبلما تصل النجدة ، فيمتنعان عليهم . وكان
كلاركسدايل قد وضع على أسوار البرجين خمسمائة من رماة النبال
هم زهرة الجيش الانجليزي

وفي صباح ٧ مايو حضر القديس الوفا من الفرنسيين ، بناء على
برغبة جان دارك ، واعترفوا بخطاياهم ، ثم عبروا النهر ، وجان صحتهم
فساء الانجليز منظرها ، وسدد أحدهم نحوها سهماً ، ورمها به ،
فأصاب كتفها ، وهجم الانجليز عليها ليأسروها ، فسبقهم الفرنسيون
وحملوها من الميدان ، وجراحها تقطر دماً ، وذهبوا بها الى المؤخرة
وطرحوها على العشب . فنزعت السهم بيدها واستدعت كاهناً ،
وعكفت على الصلاة . ففاز الفرنسيون بانتزاع الحصن من الانجليز ،
بعد ما كانوا قد ارتدوا عنه . فردتهم جان بما بثته في نفوسهم من
الحماسة . وقالت للجندي انه حالم يمس علمها الحصن يدخلونه . وحدث

ان جندياً كان في الخندق ، وعلم جان بيده فهوى بالعلم على السور
فلامسه ، فاندفع الفرنسيون كأسد الشرى ، وتسلقوا الاسوار العالية ،
ودخلوا الحصن ، وكان أهالي اورليان قد دخلوه من الجهة الثانية ،
فقتلوا من الحامية ٣٠٠ وأسروا الباقين وهم ٢٠٠

وللحال رموا ما تهدم من الجسر ، وعادت جان الى المدينة
ظافرة . واجتمع القوم في الكنائس لتقديم الشكر لله ، واحتفلوا
ليلاً باضاءة المصابيح والمشاعل . وشرع الانجليز في اليوم التالي
بحرقون ذخائرهم وينسحبون من الحصون . وبذلك تم القسم الاول
من رؤيا جان دارك وهو رفع الحصار عن اورليان

وسارت الى ريمس ، وحضرت تتويج الملك ، وهي راكعة الى
جانبه . وقالت ان عملها قد كمل . وسكنت أمام الله دموع الشكر
والفرح قائلة « الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام » .
وصارت تقول ان أجلها قد انتهى

ولكن الملك والقواد حرصوا عليها ، لان وجودها كان يضرهم
في نفوس الجنود نيران الحماسة . فرافقت الجيش في استرداد
سواسون ولاون وشمبانيا وبوفيه وغيرها . ولكنها في الهجوم على
باريس سنة ١٨٢٩ انسحب الفرنسيون ، وجرحت جان . وفي
الربيع التالي أسرها البرغنديون في شمبانيا في ٢٤ مايو . وسجنوها
في أراس ، ثم في كروتري ، على شطوط هولاندا . وفي نوفمبر
سنة ١٤٣٠ اشتراها منهم الانجليز بمبالغ طائلة . وأخذوها الى روان ،
وحاكموها وحكموا بأنها ساحرة ، والسحر عندهم جناية يومية ،
فاحرقوها حية في ٣١ مايو سنة ١٤٣٩

مواد تالية

- سنة ١٤٥٢ : انسحب الانجليز نهائياً من فرنسا
سنة ١٤٥٣ : سقطت القسطنطينية بيد محمد الثاني سلطان الاتراك .
سنة ١٤٥٥ : بدأت حرب الوردتين بين امرتي لانكستر ويورك
سنة ١٤٧٩ : اتحد المسيحيون في اسبانيا تحت ادارة الملك فردند
سنة ١٤٩٢ : سقطت غرناطة آخر حصون الاسلام في اسبانيا .
وفي هذه السنة كشف كولبوس العالم الجديد - اميركا -
سنة ١٤٩٤ : غزا شارل الثامن ايطاليا
سنة ١٤٩٧ : سار فاسكو دي غاما الى الشرق بطريق رأس
الرجاء الصالح

- سنة ١٥٠٣ : انتزعت اسبانيا مدينة نابلي من فرنسا
سنة ١٥١٦ : توفي فردند ملك اسبانيا . وخلفه شارل الخامس .
سنة ١٥١٧ : تنازع لوثر وتنزل (راهبان كاثوليكيان) على
الغفرانات وعن ذلك نشأ الاصلاح الديني في اوربا
سنة ١٥١٩ : صار شارل ملك اسبانيا امبراطوراً على المانيا
سنة ١٥٢٠ : فتح القائد كورتيز مكسيكو
سنة ١٥٢٥ : اسر ملك بافاريا فرنسيس الاول ملك فرنسا
سنة ١٥٢٩ : صلح سمالكدا بين البروتستانت والكاثوليك
سنة ١٥٣٣ : خروج هنري الثامن ملك انجلترا على البابوية .
سنة ١٥٥٩ : تنازل شارل الخامس لابنه فيليب الثاني

سنة ١٥٥٧ : جلست اليصابات ملكة على انجلترا . وكسر الاسبان
في سان كشتان

سنة ١٥٧١ : كسر الاسطول العثماني أمام الحلفاء في لينتو

سنة ١٥٧٢ : مذبحه ماري برثماوس في فرنسا

سنة ١٥٧٩ : ثورة هولندا على اسبانيا

سنة ١٥٨٠ : فوز فيليب الثاني على برتوغال

كسر الاسطول الاسباني

سنة ١٥٨٨

امتاز ملك اليبابات ستوارث بأمرين : تأليف شركة الهند ،
وكسر الاسطول الاسباني . نشأ عن الاول أكبر مستعمرة في تاريخ
الدنيا . وعن الثاني نجاة إنجلترا والاصلاح من الهلاك
أسباب العداء بين الدولتين

الدول كالأفراد ، تتنازع وتتخاصم ، وكالأفراد تصرفاتها
ظاهرات أسباب كامنة طي الصدور . ومن أسباب العداء بين إنجلترا
واسبانيا في القرن السادس عشر ما يأتي :

١ - تشجيع الانجليز رعايا اسبانيا على الثورة ، ومساعدتهم
بالمال والرجال ، كما في هولاندا مثلاً

٢ - انفصال إنجلترا عن كنيسة البابا ، وفيليب أعظم أنصار
تلك الكنيسة

٣ - سطو البوارج الانجليزية على الثغور الاسبانية في المستعمرات
كما في شيلي مثلاً

٤ - المزاحمة الاقتصادية ، والاستعمارية بين الدولتين

٥ - هزم الانجليز بالملك فيليب جهاراً

٦ - اعدامهم حنة الملكة الكاثوليكية ، وكانت في لندن
بضيافة ابنة عمها الیصابات . وهي مداعية بالعرش الانجليزي لانها
ابنة جيمس . وقد أوصت لفيليب بالعرش الانجليزي بعدها
فبناءً على ما ذكر من الاسباب حملت اسبانيا على انجلترا حملة
داريوس على اليونان في أولى المعارك

عظمة مملكة فيليب



فيليب الثاني ملك اسبانيا

كان لفيليب امبراطورية
لا يعرف التاريخ لها نظيراً .
ففيها : اسبانيا ، پرتوغال ،
بلجيكا ، هولاندا ، نابلي ، سيسيليا ،
لمبارديا ، تونس ، اوران ، الراس
الاخضر ، جزر اعاز ، ملقا ،
فيلين ، وكل اميركا الجنوبية ،
ومكسيكو و هندوراس وجواتيمالا
ونيكارا جوا وسان سلفادور
وكوبا وفلوريدا وتكساس
ونيو مكسيكو وكلورادو و اريزونا
وكاليفورنيا وغير ذلك من الاقسام

وكانت الاولى في الاتساع والغنى والقوة الحربية والبحرية .
وكان البابا صديق فيليب وحليفه وقد اشتركا سنة ١٥٧١ في كسر
الاسطول التركي في لينتو

معدات الحملة

كان برنس بارما اشجع ابطال عصره ، واوحد قواد زمانه ، وأوفرهم خبرة في الحرب وتدير المعارك . فعينه الامبراطور قائداً لهذه الحملة . وكان تحت رايته نخبة القواد والابطال . واثاه خمسة آلاف من شمالي ايطاليا ، وأربعة آلاف من نابلي ، وثلاثة آلاف من النمسا . فقطع الغابات لبناء أساطيل حربية ، وسفن ثقالة للجنود والمهمات . وكان الاستعداد يجري سرّاً لم يعرف به أحد تحت الشمس الا البابا ودوق جيز . وفي ختام السنة برزت الحملة بأعظم المظاهر . وفيها ١٣٠ بارجة ضخمة ، فيها ٨٠٠٠ بحار و ٢٠٠٠٠ جندي بري و ٦٤ سفينة ثقالة ، ومئات من السفن النهرية ، وعدد من ذوات الأبراج ، في كل منها ٣٠٠ عبد للتجذيف ، وكنيسة وقاعة للهو وغرف وقاعات عديدة . وكلها مجهزة بالاعلام والابواق والاسلحة والمدافع

وقد صحبوا كل ما حسبوه لازماً ، كالعربات والبغال والمعاول والبراميل والجلود وآلات قطع الخشب ، وآلات البناء والاطعمة والمشروبات . فكان معهم ١٧٤ ألف زجاجة خمر ، و ٢٠٠٠ قنطار من لحوم الخنازير ، و ١٠٠٠ قنطار من الحين ، و ١٢٠ ٠٠٠ زجاجة ماء . عدا السمك المقدد والفاصوليا والزيت والخل والشموع والمصاييح والشراخ والحيش والرصاص لسد ما قد تحده المدافع من الثغر في جوانب السفن . وكان مجموع رجال الحملة ٣٤ ٠٠٠ و ٤٠٠٠ خيال . وقد سموه الاسطول الذي لا يدحر وكان فيها من مشاهير الاميرالية ، دييجو ويمنجتا وفرنسيسكو

دي توليدو ودون الونسلي ودي لوسون ودون اوغسطين مكسيكو .
وفي أثناء اعداده اسرع قائده العام الى بلجيكا ، فاعد هنالك
أيضاً ، اسطولاً ضخماً من السفن البحرية والنهرية ، واستخدم
أولاً من العمال يشتغلون بالمطارق والآلات ، ليلاً ونهاراً ، في غت.
واتتوب وروج . واعد ٢٠ ألف برميل فارغة لمد جسور نقالة على
الجداول والانهار

وانضم الى هذه الحملة كثيرون من اللوردات والاشراف ،
كدوك بنترانيا ابن غوميز بورغو ، أحد أبناء الارشيدوق فردتد ،
ودوك فاسباسيان غونزاغا من أسرة ماتوا ، وجيوفاني مديسي ،
وارميدو سافوس . وكثيرون من المتدينين طمعاً في رضا البابا ، وكثيرون
من الطامعين في الشهرة . وكل من جمعته الاسباب بمقاصد الحملة
رجال انجلترا ومعداتها

ترعرع في ملك اليسانبات اكبر رجال انجلترا وأشهرهم في كل
العصور في تاريخ الفتوحات وسياسة الدفاع . فاجتمع من هؤلاء في
بولين جرين في ١٩ مايو سنة ١٥٨٨ الآتية أسماؤهم : الاميرال السر
فرنسيس دراك وهو أول من طاف حول الكرة الارضية من
الانجليز . وكان ذكره يروع الاسبانيين في كل الدنيا . والسر جون
هوكنز رواد البحار في اميركا وافريقية . والسر مارتن فوريشر ،
اكبر الفاتحين في الاقاليم القطبية ، واللورد هوارد اقنغهام ، والسر
ولتر راليه ، مستوكليس لندن ، فكان أميراً وقائداً برياً
وسياسياً محنكا

ومما يؤثر عن نوادر الانجليز انه كان قد تعين يوم ١٩ يوليو

للمسابقة البحرية . واشترك في هذه المسابقة ولتر راليه وفرنسيس .
دراك . وقبل أن يشرعوا بها جاءهم الربان فلامنغ الاسكوتلاندي
ينذرهم ان الاسطول الاسباني وصل . ولم يكن حديث ولاهاجس ولا
حلم ، لاحد في انجلترا وشمالى أوربا ، الا الاسطول . وخبر كهذا ،
في وقت كهذا ، يقيم انجلترا ويقعدها . فبادر البحارة الى قواربهم ،
وصاحوا برفاقهم لاعداد المعدات وانتظار الحرب . ولكن السر
فرنسيس دراك وبمنهم ببرودة انجليزية قائلا : « عندنا متسع من
الوقت لاتمام السبق أولا ثم نكسر الاسطول » : فلعبوا في ذلك
النهار أجمل لعب ، واكثره انتظاماً ، كأنه لا خطر يهددهم ، وفوق
رءوسهم أثقل ضربة حلت بأمة من الأمم في حياتها . وبعدما انهوا
ألعابهم البحرية عادوا الى سفنهم واستعدوا للحرب

وانتشرت الاخبار في كل انجلترا ، وأُنذرت كل مدينة ، وكل
قرية ومزرعة ، ان العدو العظيم الخيف قد أتى ، فتشددوا أيها
الانجليز وكونوا رجالا . فالتحذت العدة في كل خليج ، وكل جون
أو خور . وشرعوا يجمعون الخيول والعربات والذخائر والرجال ،
ولكن : أعظم قوة دفاعية في انجلترا في كل العصور هي الاسطول

اليصابات

أرسلت الملكة اليصابات المنشير في البلاد ، تبحث بها الناس في
كل أقسام انجلترا للاجتماع والتعاقد والاستعدادات ، بالمال والمواد
والرجال ، لصد الغزاة الاجانب عن الوطن ، وحماية النساء والاطفال ،
والدفاع عن الكنائس والشواطىء الخ الخ . وكتبت المنشير بعبارات

مؤثرة تثير الحماسة في الصدور ، وتجعل الدم الانجليزي - البارد -
يغلي ، خوفاً من بسط الاسبان أيديهم على التراث الانجليزي المقدس



الملكة اليبابات

وختمتها بهذه العبارة
« ولنسلم أنفسنا وأمورنا
للالة القدير ، ليبارك القلوب
المخلصة لمليكتها وبلادها
ومجد الله الاعلى »

واردفت مناشيرها بخطبة
رنانة ، تلتها على مسامع
الاعيان . ومنها « يا شعبي
المحبوب . قد حذرنا بعضهم
من الخيانة . ولكنني

أؤكد لكم اني لا أحب الحياة بدون ثقة بكم . الظالمون يخافون ،
ولكنني بينكم دون أدنى تحفظ ، واستودع نفسي وقوادي لعناية الله
ومحبة رعاياي . فاما أن أموت معكم أو أعيش معكم » وكل الخطبة
على هذا النحو

رأي راليه

قال الشاعر العربي : الرأي قبل شجاعة الشجعان . واليك
خلاصة رأي راليه ، يرد به على من قال بالانسحاب من الشطوط
والدفاع عن لندن برأ . « يجب أن تكون استعداداتنا الرسمية بحرية
فعلينا اعداد اسطول قوي يضرب الاسبانيين في عرض البحر ،
ولا يدعهم يلامسون شطوطنا . ثم استشهد بحوادث خطيرة في

تواريخ أثينا ورومية وقرطجنة . وابتان ان الفوز انما كان للبحر في كل العصور . ومن فاز بحراً فقد فاز نهائياً . قال فيجب إقصاء العدو عن أرضنا والا حسبها له وطناً . فزداد قوة جنوده المعنوية ، وتضعف قوة جنودنا كذلك » . هذا رأيه الذي أدلى به في مؤتمر بولن جرين المشار اليه

قيام الاسطول

برح الاسطول نهر تاغوس في برتغال ، في ٢ مايو ١٥٨٨ ، بابهة وحفلات عديدة المثال ، وراققه الناس بالتهليل والادعية . وكلهم ثقة بفوزه التام . وان انجلترا قد بلغت نهايتها ولا معين . وانتهى بانتهاء تاريخ الاصلاح ، وما ينشأ عنه . على ان الاسطول لم يكد يبعد عن البر حتى هبت عليه عواصف شتتت شمله ، وكادت تغرقه فساقتة بعنف الى نواحي يدسكي . ومات اميراله سننا كروز الشهير . وسبب موته هو انه لم يتمكن من انقاذ مشيئة الملك فيليب ، فأنبه هذا تأنيباً ثقيلاً جداً ، فانكسر قلبه ، ومات على الاثر . وخلفه على الاسطول الوازير يريه دوك سيدونيا ، وهو عديم الاهلية لمهمة كهذه . وكانت مساعده فيها جوان دي مرتنيه ، وميغويل ادرجواندو

واستأنف الاسطول سفره بعد اصلاحه ، في ١٢ يوليو ، قاصداً القتال الانجليزي . فوصله دون حادث . وكانوا يؤملون ان الاسطول يضمن لهم السيادة البحرية . وأمرهم الملك فيليب ألا يوافقوا البر الانجليزي ، بل يشططوا على البر الاوربي ، ويتخذوا فيه وازعاً

لهم . وبعد ما ينضم الاسطول الجديد اليهم ، الذي أعده برنس بارما ،
يتوجهون معاً الى انجلترا

قوات الاسطولين

كانت قطع الاسطول الانجليزي أوفر عدداً ، ولكن قطع
الاسطول الاسباني أكبر وأقوى . فلم يكن من مصلحة الانجليز
الاشتباك بمعركة فاصلة . علاوة على ذلك كان على الاسطول الانجليزي
أن يقسم قواته الى قسمين ، ويضع في كل ناحية قسماً . فأقام اللورد
هنري سيمور على حصر مواني الاعداء بأربعين بارجة قوية . وكان
اميرال الاسطول الانجليزي العام اللورد اقغهام

القتال

ظهر اللورد اقغهام بأسطوله في عرض البحر في ٢٠ يوليو
سنة ١٥٨٨ . فانتثرت بوارج الاسطول الاسباني حوله ، في شكل
هلال طوله سبعة أميال . فلم يعترضها ولكنه تعقبها ، يهاجم ساقتها .
فأسر بعضاً من أهم بوارجها ، وعطل كثيراً غيرها . وكانت خسارة
الاسطول الانجليزي زهيدة جداً . لانه لم يواجه الاسطول الاسباني .
فكان الاسطول الاسباني يضعف كل يوم ، بما يفقد منه ، والاسطول
الانجليزي يزداد كل يوم ، بما ينضم اليه ، من اسكوتلاندا وهولاندا
وانجلترا . وقد انضم الى اللورد اقغهام الاميرالية شفيد وكبراند
وأوكسفورد وراليه . واستأجر تجار انجلترا سفناً من أقسام الدنيا ،
وركبوها ، وأتوا بها على نفقتهم لتجدة الوطن

فانسحب الاسطول الاسباني ، حسب أمر الملك فيليب ، الى مرفأ
كاليه في ٢٧ يوليو . وكان برنس بارما ينوي أن يدخل نهر التايمز ،

ويمتثل لندن أولاً . لأنها ضعيفة التحصين ، وأهلها ذوو ترف وبذخ ، لا يميلون إلى الحرب ، فيقبض بذلك على عنق إنجلترا . ولكن الإنجليز ، والهولنديين جمعوا سفناً وبخاراً تكفي لاشتغال الأسطول وحصر أسطول برنس بارما وتهديده . وكان الأميرال سيمور الهولندي يقود أسطول هولاندا . فترك قسماً من أسطوله لسد ثغر دنكرك وحصر الأسباني الجديد ، وجاء بالباقي لتجدة الأسطول الإنجليزي . وحصر الهولنديون خليج دنكرك بخمس وثلاثين سفينة شحنوها بخاراً . فكان أميرالية الأسطول الأسباني يغون الاتصال بأمير بارما ، والأميرالية الإنجليزية يفصلون بينهم . فربط الأسطول في خليج كاليه . وجعل بوارجه ذوات الأبراج في عرض البحر كسور ، وضمنها البوارج الصغيرة في الحوض . فلم يمكن الإنجليز مهاجمتها . ولكنهم بعثوا إليها بثمان حراقات في ٢٩ يوليو ، كما عمل اليونان بأسطول الفرس . فقطع الأسبانيون مراسيهم ، وشردوا في عرض البحار . وكانت بوارجهم تصطدم أحداها بالأخرى . وفي صباح اليوم التالي هاجمها الإنجليز متفرقة . فبدأ بالهجوم الأميرالان إدراك وفتر ، تلاهم فتن وسوثول وبرتن وكروص ورينوز . فشتتوا شمل البوارج الأسبانية ، وأقصوها عن أسطول أمير بارما ، الذي كانت عيناه شاخصتين إلى الشاطئ . يرى اندحار أعوانه بقلب يتمزق غيظاً وكهداً . واليك وصف القتال بقلم معاصر للمعركة :

« في صباح ٢٩ يوليو ، عادت البوارج الأسبانية فاصطفت ، تجاه جرانفيلد . والتزمت خطة الدفاع . وكان في الأسطول الأسباني في هذا الموقف تسعون بارجة ضخمة ، لم يكن أمامها ، من هذه

الطبقة ، في الاسطول الانجليزي اكثر من ٢٣ او ٢٢ فقط . وباقي
بوارجه صغيرة . وكان الانجليز يهجمون باسرع بوارجهم ، ومتى
دنوا من جانب البوارج الاسبانية ضربوها وانسحبوا بسرعة .
وظلوا على هذه الكيفية ، يضربون ويهربون ، ثم يعودون
ويضربون ، حتى يحطموا البارجة التي يضربونها او يأسروها .
وواصلوا هجماتهم من الصباح الى الليل . حتى نفدت ذخائر
الاسبانيين . فحلت بهم الخسارة الكبيرة . ولم يخسر الانجليز ولا
بارجة . وأخيراً نشر الاسبانيون شرايعهم ، وساروا شمالاً نحو
نروج . فتركهم الاميرال افنغهام لرحمة الامواج . فاضرت هذه بهم
اكث من الاسطول الانجليزي . والخلاصة انه لم ينبج من الاسطول
الاسباني الا ٥٣ بارجة مهشمة . وفاز الانجليز بسحقه ، والسيادة
البحرية من ذلك التاريخ . ومن ذلك الحين . لم تحلم اسبانيا بغزو
انجلترا . وكانت نكبة الاساطيل الاسبانية نقطة تحول وانقلاب في
تاريخ اوربا والتمدن ، وبها فاز الاصلاح والديموقراطية

حوادث تالية

سنة ١٥٩٤ : ارتد هنري الرابع ملك فرنسا الى الكنيسة
الكاثوليكية

سنة ١٥٩٨ : توفي فيليب الثاني ملك اسبانيا

» ١٦٠٣ : توفيت اليزابيث ملكة انجلترا

» ١٦١٩ : بدأت حروب الثلاثين سنة في جرمانيا ، بين

الكاثوليك والبروتستانت

سنة ١٦٢٤ - ١٦٤٢ : وزارة الكردينال ريشيليو الشهير في
فرنسا . وخلاصة أعماله . اذلال جرمانيا . وسحق الهغونوت
والاشراف . وتعظيم ملك فرنسا .

سنة ١٦٣٠ : نجدة غستافوس ادفوس ملك اسوج البروتستانت
في جرمانيا ومات ظافراً

سنة ١٦٤٠ : تحررت بورتوغال من نيراسبانيا

» ١٦٤٢ : النزاع في انجلترا بين شارل الاول والبرلمان

» ١٦٤٨ : صلح وستفالي بين الكاثوليك والبروتستانت

نهاية الحروب الدينية

سنة ١٦٥٣ : دكتاتورية اوليفر كرمويل الانجليزي في انجلترا

» ١٦٦٠ : عودة آل ستوارت لعرش انجلترا بعد موت

كرمويل

سنة ١٦٦١ : قبض لويس الرابع عشر على أزمة الحكم في

فرنسا . وحروبه الكثيرة

سنة ١٦٨٢ : جلوس بطرس الكبير على عرش روسيا

» ١٦٨٥ : اضطهاد لويس الرابع عشر البروتستانت في فرنسا

اضطهاداً شديداً

سنة ١٦٨٨ : ثورة انجلترا على جيمس الثاني ، وطرده من البلاد

وملك وليم أورانج

سنة ١٦٩٧ : جلوس كارلوس الثاني عشر على عرش أسوج

» ١٧٠٠ : موت شارل الثاني ملك اسبانيا . ووصيته لفيليب

دوك انجو

سنة ١٧٠١ : اتحاد انجلترا وأستراليا ضد لويس الرابع عشر

بمساعي وليم أورانج

سنة ١٧٠٢ : موت وليم أورانج ، وتبوؤ زوجته حنة العرش

مكانه . واعلان الحرب على فرنسا

معركة بلانهم

سنة ١٧٠٤

« لقد دوت صعقات معركة بلانهم الفاصلة في أقسام أوروبا ،
وهدّمت صرح القوة الذي كان لويس الرابع عشر يتمتع فيه »
(اليسن)

كانت معركة بلانهم بين فرنسا والحلفاء ظاهرة من ظاهرات
النضال في أوروبا ، بين الحرية والاستعباد ، وهي صورة مصغرة
للتاريخ العالمي اجمالاً . ولكي نفهم شأنها وعلاقاتها التاريخية
والفلسفية ، يلزم أن ندرس عدة نقط ، كلويس الرابع عشر ،
ووراثة العرش الاسباني ، وشخصية مارلبورو ، وتقسية أوروبا في
القرن السابع عشر .

لويس الرابع عشر سنة ١٦٤٣ — ١٧١٥

قبض لويس على الاحكام بيد من حديد ، بعد ما عهد له الطريق
ريشيليو ومازارين ، بسحق الاشراف والهغونوت . فأصبح لويس
قطب فرنسا الاوحد ، وقال كلمته المشهورة : « أنا الدولة » وظل في
هذه الدرجة من العز والمنعة اربعين سنة . وكما كان لويس قطب
فرنسا كانت فرنسا قطب أوروبا . اذ كانت أقوى الدول مالياً



وحررياً وادارياً وعلمياً .
وقد أدرك أنها تعوزها
البحرية ، فشرع ينشئ
أسطولاً يضمن لها السيادة
البحرية . وحارب كلاً من
دول أوروبا فحطمها ، وانتزع
ما أراد من مدائنها ، وجعل
لفرنسا هيبة في القلوب .
ونشر العلوم والمعارف
والفنون ، فظهر في عصره

لويس الرابع عشر

وبعده كبار الشعراء والمفكرين في فرنسا

حالة أوروبا

كان المحيط الاوربي ملائماً لتحقيق أحلام لويس . اذ كانت
اسبانيا قد دخلت في طور التقهقر بعدما أتمت مهمتها في طرد العرب
من أوروبا ، وكشف العالم الجديد ، ومحاربة الأصلاح الديني وأشياءه
فتسلطت عليها عوامل الفساد ، وصارت آلة في يد التعصب والجمود
أما الامبراطورية الجرمانية ، فكان لها كثير من المشاكل ،
وعوامل التقسم والضعف ، كميل هنغاريا للانفصال عنها ، وحروب
الثلاثين سنة بين الكاثوليك والبروتستانت التي ختمت بعهدة وستفالي
وكانت إنجلترا مغولة اليد بمشاكلها العديدة بين اسرقي تودور
وستوارت ، وبين الامة ، وبين الكاثوليك والبروتستانت . كقيام

الامة على شارل الاول ، واعدامه سنة ١٦٤٨ ، وحكم كرمويل الذي كان لويس يخاطبه باسم سيدي الوالد ، وعودة سلالة ستوارت بشخص شارل الثاني ، وخلعه سنة ١٦٨٨ ، وخلفه وليم اورانج وحنة امرأته . فترى انه كان لكل دولة ، من دول اوربا المعظمة ، ما يغفل يدها عن لويس ، فخلاه الجو ، وآتم مقاصده . فلما تفرغت انجلترا من مشاكلها الداخلية حوّلت نظرها لمناقشة فرنسا الحساب مارلبورو

لكل مستغذ في التاريخ بطل يقاومه ، ويدك صروح آماله ، فتسميه شيطانه . فكان ملتيا دس اليوناني شيطان داربوس الفارسي ، فدك صروح آماله في معركة مراثون . وكان ارمينيوس الجرمانى



مارلبورو

شيطان قاروس الرومانى ، وولنجتن الانجليزى شيطان نابليون بوناپارت الفرنسى ، وبطرس الاكبر الرومى شيطان كارلوس الثاني عشر الاسوجى . هكذا كان مارلبورو شيطان لويس الرابع عشر . فمن هو هذا مارلبورو ؟ هو جون شرشل دوك مارلبورو الممتاز بصفاته الحربية ، ومزاياه في تنظيم

المعارك وادارة شؤونها . وقد أخفى ضوءه كل بارق في قواد عصره .

وقال فيه السر ادوارد كريسي « انه أعظم القواد الذين أنجيتهم
انكلترا في كل الاجيال يستثنى منهم ولنجتن فقط » . فلم ينحس
معركة الا خرج ظافراً ، ولا حاصر مدينة الا فتحها . والسر في
فوزه أوضاعه الشخصية . فلم تكن تنقصه صفة من صفات كبار القواد
زد على ذلك اتساع نطاق خبرته ، وهدوء روحه ، ورابطة جأشه
في أثناء ثوران البراكين . وهي الصفة التي قال فيها فولتير « أنها السر
في تفوق الامة الانجليزية وسيادتها في الدنيا »

كان وليم اورانج رجل عصره ، والسند الذي لجأت اليه انجلترا
لحل مشاكلها الدينية والسياسية ، وهو زوج حنة ابنة الملك جيمس
الثاني ملك انجلترا ، وهي بروتستانتية ، وأبوها كاثوليكي . فلما ثار
الانجليز على ملكهم جيمس وخلعوه ، ارسلوا فدعوا وليم هذا ،
ووعده انهم يسلمونه أزمة الملك على انجلترا . وكان وليم ركناً من
أركان البروتستانتية في اوربا . فجاء وليم وحنة باسطولهما الى انجلترا .
وحالما وصل أتى اليه كبار الامة الانجليزية ، وبايعوه بالملك عليهم .
فهرب جيمس الى فرنسا ، واتفق مع لويس الرابع عشر على انتزاع
الملك من يد وليم . مع ان وليم لم يكن يحلم بغير عداوته ، وكان يحسبه
أعظم خطر يهدد انجلترا واوربا والاصلاح . فكان اصغاء لويس
لجيمس مساعداً وليم على انفاذ سياسته . وزاد الطين بلة أمر التاج
الاسباني وهاك حكايته

فيليب دوك انجو

كان شارل الثاني ملك اسبانيا بدون وريث ذكر ، لا ابن ولا أخ .
وكان له اختان تزوج من احدها ليوبولد امبراطور المانيا ، والثانية ،

وهي انتا ، لويس الرابع عشر . آملين انه عند موته تترك المانيا
 وفرنسا أملاك التاج الاسباني . ولما توفي شارل سنة ١٧٠٠ ظهرت
 وصية كتبها هو ، وبها يوصي بكل أملاك التاج الاسباني لفيليب دوك
 انجو ، حفيد اخته زوجة لويس الرابع عشر . وكان عمر فيليب
 يومئذ ١٨ سنة . وقد نفذ لويس وصية شارل ، فارسل حفيده الى
 مدريد ، وقال له عند وداعه انه « لا وجود من ثم لحيال بيرينيه » .
 أي انه صارت اسبانيا وفرنسا مملكة واحدة . ولما وصل فيليب الى
 اسبانيا ، توجوه باسم فيليب الخامس . وطنطنت صحف فرنسا بفوز
 سياسة ملكها لويس . فثار هذا العمل حقد ليوبولد امبراطور
 جرمانيا ، فانضم الى المحالفة الانجليزية ضد لويس . ومبدع هذه
 المحالفة وليم اورانج . اتحد بها انجلترا وهولندا وجرمانيا ، ثم انضمت
 اليها دانمارك كما سيجيء . وقد ذكرت ان مارلبورو تعين قائداً عاماً
 لجيوش المحالفة . فلما حضرت وليم اورانج الوفاة ، أوصى حنة زوجته
 بمارلبورو هذا لانقاذ خطة المحالفة . وفي اليوم الثالث من المحالفة
 نزلت حنة الى البرلمان ، وصرحت انها محتفظة بسياسة الملك وليم
 - زوجها - ولذلك تزوجت بعده جورج أمير دانمارك . فانضمت
 بذلك دانمارك ، أيضاً ، للمحالفة . وكان مارلبورو الضمان الوحيد
 لفوز المحالفة ، فحرصت الملكة حنة على حمل الحلفاء على قبوله قائداً
 عاماً لجيوشهم . وبذلك وحدوا القيادة ، وأعطوا القوس باريها . لان
 مارلبورو هو الرجل الوحيد الذي أعدته الطبيعة لقهر لويس
 الرابع عشر . قال بولينبروك خصم مارلبورو فيه ما نصه « انه حاز
 على نفوذ يزيد كثيراً على نفوذ التاج وذلك عن جدارة شخصية

قانه بفضلها حفظت المحاذاة وقازت على خصمها الغنيذ . فان مارلبورو
أعظم القواد الذين أنجيتهم انجلترا »
الحرب

أعلنت الحرب بين الحلفاء وبين لويس في ٤ مايو سنة ١٧٠٢ .
وكانت أول معاركها في فلاندر ، وفي أقاليم الرين العليا ، وفي شمالي
ايطاليا . خاضت فرنسا المعان ضد الحلفاء على طول الخط ، من
مصب نهر شلوب شمالا الى نهر بو جنوباً . واتحد مع لويس منتخب
باقاريا التناقم على الامبراطور ليوبولد . واتصلت جيوش فرنسا
بجيوش باقاريا . وهددت الامبراطورية الجرمانية بتفكك العرى ،
وتقطع الاوصال . وقازوا على جيوش الامبراطور في خريف سنة
١٧٠٣ فوزاً كبيراً . وضربت الجيوش الفرنسية جيوش الحلفاء في
أعالي الرين . واتزعت منهم مدينتي ترافيس ولاندو . زد على ذلك
ان هنجاريا ثارت ، تروم الانسحاب من الامبراطورية فحل الذعر في
قلب الامبراطور ، ونخرج مركزه كثيراً

وأصدر لويس أوامر حريية لم يجرؤ نابليون بونابرت على
اصدار اعظم منها . وفخواها : تلزم الجيوش الفرنسية خطة الدفاع
في هولاندا مستدة الى الحصون المنيعه . وقد أمدّها الملك بنجديات
عسكرية بقيادة فيوري . والى جنوبيه المارشال تيلارد ومعه
٤٥٠٠٠ محارب . وهو يشغل الخط بين هولاندا وباقاريا . ويحفظ
اتصاله بجيوش باقاريا بواسطة المارشال مرسين . وتتقدم الجيوش
الفرنسية من ايطاليا الى أوستريا بطريق التيرول . فتتضم الى
جيوش تيلارد ومرسين . وتزحف على فينا ، وترسل فرقة منها الى

هتغاريا لشد أزر الثوار . وبذلك ترغم الامبراطور ليوبولد على توقيع الشروط التي عليها عليه فرنسا

وهذه التعليمات تشهد لاويس الرابع عشر بالاهلية الحرية . وقد أدرك مارلبورو ما فيها من الخطر على قضية الحلفاء . فكان عليه ، كقائد ، أن يدفع الحطة الحكيمة بخطة حكيمة . وكان نفوذ خطة لويس ، وسقوط الحلفاء أمامه ، أمراً لا ريب فيه لولا حنكة مارلبورو

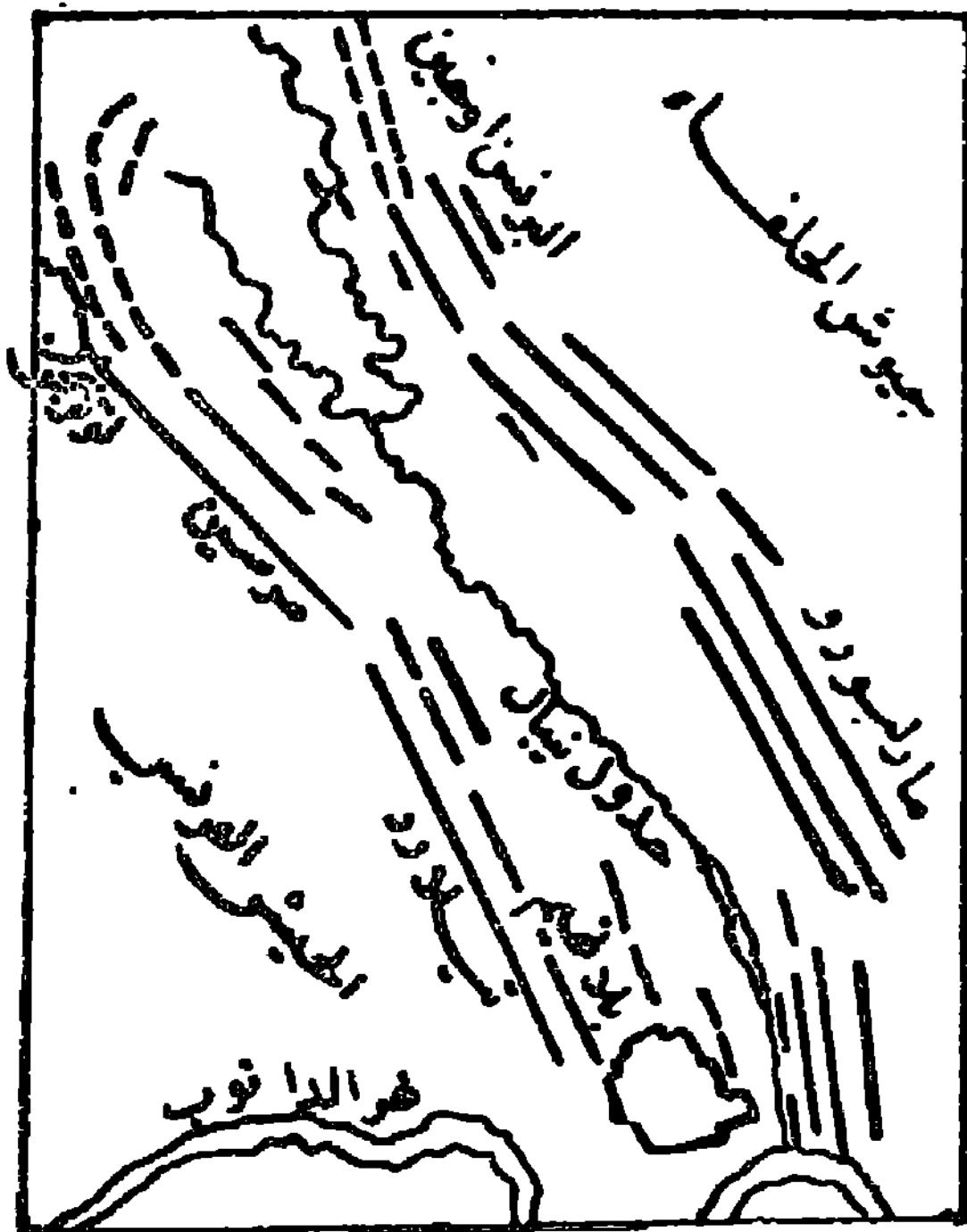
حركة مارلبورو الفنية

كان مركز مارلبورو في فلاندر ، وقد انتزع هنالك بعض المدن من فرنسا . على أنه لما نظر في خطة لويس نظرة ثاقبة أدرك ما فيها من الدقة . فتبين له ان المعركة الفاصلة ليست في فلاندر بل في أوستريا - على ضفاف الدانوب - فعزم على الاسراع الى ذلك الميدان ، ولم يكن ذلك بالامر السهل عليه . لان هولاندا متشبثة به كالسند الوحيد لنتيجاتها من جيش فيوري . ولكن مارلبورو أدرك أهمية موقفه . وأنه يحمل على منكبيه مصلحة أوروبا جمعاء . واذا لم يضرب الضربة الحاسمة في وقتها ، وفي محلها ، دكت صروح التداير السياسية والحرية معاً ، وهوت أوروبا أمام آل بوريون والفاتيكان، الى أعماق دركات الاستعباد والهوان

وكان لمارلبورو عضدان ، يستند اليهما ويشركهما في الرأي ، وهما هيسينيوس السياسي الهولاندي الشهير ، والقائد أوجين الحير الحاذق

الى هذين القطبين افضى بخطته الجديدة ، وظلت سرّاً مكتوماً

عن الآخرين . و برح مارلبورو فلاندر في ١٩ مايو سنة ١٧٠٤ .
 وكان أخوه ينتظره على ضفة نهر موز ومعه ١٦٠٠٠ جندي
 انجليزي ، هم عدته في خوض المعركة الفاصلة . فاسرع بهم الى وادي
 الدانوب ، وقواد لويس حاثرون فيما هي خطته . فالتقى بالقائد
 أوجين في مندلين ، فصحبه الى ميدان الفصل . واقتحم هضاب
 شيلانبرج في ٢ يوليو، وعبر الدانوب، وانضم الى جيش الامبراطور
 في ١١ اوغسطس . وحل نجاء الحيوش الفرنسية والبارقية النازلة
 بين بلاتيم ولوتزنجن



ميدان بلاتيم

ميدان المعركة

كان الميدان على ضفتي نهر نيبال . قالى شماليه لوتزنجن ، وراءها هضاب وعرة ، والى جنويه بلانهم ، وراءها الدانوب . وكان عدد الجيش الفرنسي ٦٠.٠٠٠ معهم ٦١ مدفعاً ، وجيش الحلفاء ٥٦.٠٠٠ معهم ٥٢ مدفعاً . وفي هذه المعركة استعملت السنك لأول مرة في الحرب . وكان على مارلبورو ان يوقع الضربة على هام العدو ، قبلما يتحرك فيوري الى فرنكونيا ، فيقطع عنهم المهمات ، أو ينضم الى تيلارد ، فتختل الموازنة بين الجيشين . وكان تيلارد القائد الفرنسي العام في ميدان بلانهم . فرتب جيشه هكذا

نزل هو في بلانهم ومعه جناح الجيش الايمن . ووضع المارشال مرسين في لوتزنجن ومعه الجناح الايسر . والبرنس مكسيمليان في القلب . وكان معه في بلانهم ٢٦ فصيلة مشاة و ١٢ كوكبة خيالة . وفي لوتزنجن ٢٢ فصيلة مشاة و ٣٦ كوكبة خيالة . وفي القلب ١٤ فصيلة مشاة و ٨٦ كوكبة خيالة . ووضع سبع فصائل ارثدية بين بلانهم وايرجلو

أما مارلبورو فرتب جيشه على هذه الصورة : وضع اوجين في الشمال تجاه مرسين ، وهو في الجنوب تجاه تيلارد والبرنس مكسيمليان وبدأت المعركة في ١٣ اغسطس

وابدى مارلبورو في هذه المعركة من الشجاعة والحكمة ما أحله في مصاف كبار القواد في كل العصور . فضرب ضربته الحاطمة على أضعف النقط في خط العدو ، اعني في القلب ، فاخرقه . ودار بالجناحين فسحقهما سحقاً ، بعد معارك تجعل الولدان شيباً . وأمر

من الاعداء ٢٤ فصيلة مشاة و ١٢ كوكبة خيالة . و ربح المعركة ،
وحل الحلفاء على أثرها مدن ألم ولاندو وترابرباخ . وحبطت مساعي
لويس الرابع عشر ، ونجحت أوروبا والاصلاح من الرجعية . وهي
خطوة كبيرة في سير التمدن الى الامام

هوامد تالية

- سنة ١٧٠٥ : حل الارشيدوق شارل هبسبرج مدينة برسلونا في
اسبانيا بمساعدة الجيش الانجليزي
سنة ١٧٠٦ : فاز مارلبورو في رامالي
سنة ١٧٠٧ : اندحر الجيش الانجليزي في اسبانيا بمعركة المتزا
سنة ١٧٠٨ : فاز مالبورو في اودنارد

معركة بليتافا

سنة ١٧٠٩

لم تقش في التاريخ معركة فاصلة ، بهذه الدرجة من الاهمية
في خلال خمس سنين ، الا معركة بليتافا . الاولى بين
لويس الرابع عشر والحلفاء ، وقد مر بيانها ، والثانية بين بطرس
الاكبر وكارلوس الثاني عشر ، وفيها الكلام الآن
الامبراطورية الروسية

لم يكن أحد من عظماء أوروبا ، الى ذلك الحين ، يعبر روسيا
التفاتها ، أو يشعر بوجودها . اذ كانت بعيدة عن كل بحر ، ومحصورة
في حلقة ضيقة النطاق ، حول موسكو ، وهي روسيا الكبرى ،
وقطعة ثانية عند حدود بولاندا وهي روسيا الصغرى
أسس الدولة الروسية روريك الاسوجي ، في أواسط القرن
التاسع ، وتصررت قبيل أواخره في عهد فلاديمير . وكانت تدفع
الجزبة لحانات التتار الى سنة ١٤٨٠ . وصار ملوكها يدعون قياصرة
سنة ١٥٤٧ . وبدأت فيها سلالة رومانوف سنة ١٦١٣ بالامير
رومانوف . ولكنها بدأت في التوسع والعظمة منذ عهد بطرس
الاكبر بطل معركة بليتافا ، حتى بلغت الحدود التي سراها في حرب
اليابان

اسوج

كانت أسوج رهبة أوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وقد هز أوروبا غستافوس ادلفوس ، لما نزل بجيشه لنصرة الإصلاح في جرمانيا . وخاض المعامع المقدسة ، وختم فوزه بدمه ، واشتهر بعده كارلوس الثاني عشر ، البطل المغوار ، فكانت دول أوروبا تتسابق الى خطب وده ، وكانت أسوج في عصره تسيطر على فنلندا واستونيا وكورلاندا وليثوانيا وبولندا ودانمارك ونرويج وثار على كارلوس الثاني عشر ثلاثة ملوك معاً ، وهم بطرس الأكبر القيصر الروسي ، وأوغسطس ملك سكسونيا وبولاندا ، وفردريك الرابع ملك دانمارك . فهب لثاقبتهم الحساب . وكان الشعراء والمؤرخون يطبون في وصف كارلوس . على انه ، مع شجاعته النادرة المثال ، لم يكن في الدرجة الاولى في فن القيادة وترتيب المعارك . ولكن شهرة اسوج ، والانتصارات التي أحرزها ، أعلت منزلته ، وكان اسمه يروع الناس أنى ذكر

اهمية معركة بلتاوا

لم تكن معركة بلتاوا نضالاً بين شخصين ، ولا بين دولتين ، أو أمتين . بل بين عنصرين من أشهر عناصر أوروبا ، وهما السلافي والجرماني . يمثل الاول بطرس ، والثاني كارلوس

كان العنصر الجرماني قد انتزع الزعامة من العنصر اللاتيني بمبارك ارمينيوس أولاً ، وبفوز جنسريك وسقوط رومية ثانياً . فتكونت من القبائل الجرمانية ممالك أوروبا العظمى وهي انجلترا وهولاندا وجرمانيا ودانمارك وأسوج ونرويج

والآن (سنة ١٦٩٢) ظهر في الزاوية السلافية ، في قارة
أوربا ، بطل طبق ذكره الآفاق ، فأعلى منار هذه الامة الحاملة
المجهولة . ووسع حدودها ، وقهر جيرانها ، وحارب كارلوس العظيم .
فدخل هذا بلاده الروسية ، وهو الآن عازم على ان يخوض معه
المعركة الفاصلة . وعلى تيجتها يتوقف مصير العنصر السلافي . فاما
أن يرجع الى ما وراء ايقان ، أو يرتفع الى مصاف الدول العظمى .
وذلك البطل الجديد - الروسي - هو بطرس الكبير

بطرس الكبير

هو أشهر من أنجيته روسيا في كل العصور . وبحق يدعى مؤسس



بطرس الكبير

الامبراطورية الروسية . ولد
سنة ١٦٧٢ . وخلف أباه ايقان
سنة ١٦٩٢ . وهو بعد فتى . ولم
تمكن لمملكته أسكلة بحرية . وكان
الروس أسويين في أزيائهم
وتفسياتهم وأسلوب حياتهم . فوضع
بطرس نصب عينيه أمرين . الاول
الاتصال بالبحر لانشاء الاساطيل
والثاني حمل شعبه على اقتفاء آثار
الغريين ، في أزيائهم ومناهج

حياتهم . كما عمل مصطفى باشا كمال في الاناضول في هذه الايام
ولكي يفوز بطرس بتحقيق أحلامه ، اتقى نخبة من شبان

بلاده ، وأرسلهم لطلب العلوم في إيطاليا وهولاندا وإنجلترا . ثم ذهب هو بنفسه ، متجولاً في غربي أوربا . فزار بروسيا وهولاندا وإنجلترا وأستراليا . ودخل معملًا للسفن في قرية « زان » قرب أمستردام متخفياً باسم المعلم بطرس . وكان يعمل بيديه مدة أربعة أشهر . وشبت ثورة في روسيا في غيابه . فعاد إليها مسرعاً لاختاد الثورة . ولما وصل وجدها قد أخذت . فأحلّ بمثيريها عقوبات صارمة جداً . وقضى بأعدام ألف من زعمائها . وتقذ حكم الأعدام في بعضهم بيده . ثم شرع في إصلاح البلاد . فأمر القوم بقص الأردان ، وحلق اللحي ، ونزع الحجاب النسائي ، وارتدائهن الملابس الأوربية . ثم نظم دوائر المالية والحقانية والحرية ، على النمط الأوربي . وسك النقود ، وأسس المدارس ، وأنشأ المعامل ، وأصلح الطرقات ، ومد الأبنية ، ونظم البريد ، وسن الشرائع ، وفتح المناجم . وأهم إصلاحات بطرس إلغاء البطريركية ، وتشكيل المجمع الروسي المقدس بدلها . وبذلك دك أعظم صروح الرجعية في روسيا وشرع في بناء مدينة بطرسبرج . فكان اصطدامه بكارلوس أمراً طبيعياً ، لان بطرسبرج في أراض أسوجية (في ذلك الحين)

حركة كارلوس

قام كارلوس من أسوج بثمانين ألف محارب ، من أبطال اسكندناوية . فضرب الملك فردريك في دانمارك . وفي خلال اسبوعين ردّه الى الصواب . وادهش أوربا بما أبداه في دانمارك من المقدرة والبأس . ثم جاء روسيا وضرب جيشاً عدده ٥٠٠٠٠ بحيش عدده ٨٠٠٠ فقط . وحلّ الدستالوت قرب ليزك في سبتمبر

سنة ١٧٠٧ . وكان معه في جرمانيا ٤٥٠٠٠ . وترك مع القائد
لوانهوبت ٢٠٠٠٠ وفي بولاندا ١٥٠٠٠ وضرب اوغسطس ملك



كارلوس الثاني عشر

بولاندا ، وخلعه ، ونصب
مكانه ستانيسلاو ، وترك له
١٠٠٠٠ حرساً . وجاء

روسيا يناقش بطرس
الحساب . فبلغ جرودنو ،
قضى فيها فصل الشتاء سنة

١٧٠٨ . وعبر غابة منسك
في شهر يونيو . وقابل الجيش
الروسي في بوريسوف
واقترح قسماً منه على ضفة

بريشتا اليسرى . وقهر عشرين ألفاً كانوا متحصنين ، وراء المستنقعات
الشهيرة . وعبر هر بريتنيس عند موهيلوف ، وأباد جيشاً روسياً عدده
١٦٠٠٠ قرب سمولنسك في ٢٢ سبتمبر . وبلغ أواخر ليتوانيا ،
وصار على حدود روسيا الاصلية . تخاف بطرس ، والتمس الصلح .
ولو ظل كارلوس في طريقه الى موسكو لاحتلها . ولكنه عرج عن
طريقها الى اوكرانيا ، حيث لقي مازيبا بالمدد ، وعدده ٦٠٠٠
فصار خطه من اسوج الى اوكرانيا ٤٠٠ فرسخ ، فعجز عن حمايته

استعداد بطرس

حشد بطرس ١٠٠ ألف جندي ، شغل كل وقته في اعدادها
وتدريبها ، وفيما كان القائد لوانهوبت في طريقه الى اوكرانيا ،

للاتصال بكارلوس ، فاجأه بطرس بنخمسين ألفاً في بروزنيت .
واصله حرباً شديدة ثلاثة أيام . وأخيراً أفلح لوأنهوبت في اختراق
خطوط الروس ، ولكن بأربعة آلاف فقط ، وقد مر بك ان جيشه
كان ٢٠ ٠٠٠ ، تاركاً وراءه كل مدافعه وذخائره غنيمة في يد العدو
وكان كارلوس في شديد الحاجة اليها . فاضطر أن يقضي فصل الشتاء
في اوكرانيا . وخرج في ربيع سنة ١٧٠٩ قاصداً موسكو . وأحاط
باسوار بليتوا ، على نهر فورسكلا ، حيث خزن القيصر المؤن والذخائر .
وكان لكارلوس بامتلاك بليتوا فائدتان . الاولى الحصول على المؤن
والذخائر ، والثانية التحكم في طريق موسكو . فشدد عليها الحصار
لهايتين الغايتين

المركة

ورأى القيصر ان الضرورة قاضية بفك الحصار عن بليتوا .
فسار اليها في يونيو بنخمسين ألفاً . واستعد الملكان للعراك ، ووراءهما
العنصران السلافي والجرماني . فعبر بطرس نهر فورسكلا بحركة
قنية ، ونزل على نفس الضفة التي كان عليها الاسوجيون . وكان
فورسكلا يصب في بوريثنيس على بعد ١٥ فرسخاً تحت مدينة بليتوا .
فرتب بطرس جيشه في صفين تمتدين من النهر الواحد الى الآخر .
بحيث اذا هاجمه الاسوجيون واندحروا يكون خط رجوعهم ملقى
النهرين . وحصن بطرس خطيه بعدة استحكامات مجهزة بمدافع
ضخمة ، وكانت جنوده في أحسن حالاتها مشاة وفرساناً ، ومعهم
المؤونة الكافية

وكان الجيش المحاصر ٢٤ ٠٠٠ نصفهم أسوجيون ، والباقون

من القوزاق والفلاخ والاوكرانيين ، وكان البرد والجوع والمرض
قد فرض الجيش الاسوجي الذي مع لوانهوبت . فلما سمع كارلوس
بقدم القيصر بادر لمهاجمته ، وكان كارلوس قد جرح جرحاً بليغاً
في رجله ، في مناوشته ، منذ بضعة أيام

فاشتبك الجيشان في القتال ، واستبسل الاسوجيون على قلة عددهم
وعِدهم ، وكذلك رفقائهم القوزاق والفلاخيون ، فانزعوا خطين
من استحكامات الروس ، ولم يحرك بطرس ساكناً ، وظلت مدافعه
وبنادقه صامته ، وحينئذ كرت صفوفه المرتاحة ، وهجمت على تلك
الاستحكامات . فحزحت الاسوجيين المضنوكين تعباً وجوعاً . وفي
الوقت نفسه قاد القيصر المشاة والفرسان في الصف الاول خارج
الاستحكامات ، وتقدم بهم ببراعة ونظام . فالتحم الجيشان ، وحمي
الوطيس بينهما ، في الاراضي المكشوفة . ولم تمر ساعتان حتى تأخر
الاسوجيون ، الذين لم يكونوا ليدحروا في ميدان . وحينئذ سادهم
التشويش واليأس . وساقهم بطرس « بمهارة » الى الشرك الذي
خصبه لهم ، اعني ملتقى النهرين ، فهلك اكثرهم ، وأمر الباقيون . ولم
ينج منهم الا بضع مئين صحبوه الى قسطنطينية . وكان القتل من جيش
كارلوس ١٠ ٠٠٠ . فلما ربح بطرس المعركة صرخ قائلاً « الآن
محيط نجم كارلوس وتوطدت دعائم بطرسبرج »

وتنازل كارلوس للقيصر ، في صلح نيستادت ، عن بقاع جميلة
واسعة ، منها محيط بطرسبرج . وبدأ بطرس ، على أثر فوزه ،
بمهاجمة الفرس والأتراك . ومن ثم نشأ العداء بين آل رومانوف

وآل عثمان ، وظل حتي انقرضت الاسرتان . ولم تقم لاسوج قاعة
بعد معركة بلتاوا

موايد تالية

- سنة ١٧١٣ : عقد الصلح بين الدول الاوربية في اوترخت .
قتل فيليب بوربون ملكا على اسبانيا ولكن ضمت ايطاليا وهولاندا
لجرمانيا وتخلت اسبانيا لانجلترا عن بوغاز جبل طارق
سنة ١٧١٤ : ماتت حنة ستوارت ملكة انجلترا
سنة ١٧١٨ : قتل كارلوس الثاني عشر ملك اسوج في فردركسل
سنة ١٧٢٥ : مات بطرس الاكبر القيصر الروسي العظيم
سنة ١٧٤٠ : ملك فردريك الكبير على بروسيا ، وغزا سيليجيا
سنة ١٧٤٢ : شبت الحرب بين فرنسا وانجلترا
سنة ١٧٤٣ : فاز الانجليز على الفرنسيين في ديتتنجن
سنة ١٧٤٥ : فاز الفرنسيون على الانجليز في فونتنوي
سنة ١٧٤٨ : المصالحة بين المتحاربين في اكس لا شابل
سنة ١٧٥٦-١٧٦٣ : حرب السبع السنين ، بروسيا ضد روسيا
وفرنسا والنمسا
سنة ١٧٦٣ : انتزاع انجلترا كندا من فرنسا بعد معركة
كويبك الشهيرة
وبلغت انجلترا اوج مجدها بمعاهدة باريس سنة ١٧٦٣

فوز الاميركان

في ميراتوغا سنة ١٧٧٧

ان ما كان يحسب نبوءة ، قبل مائة سنة ، صار الآن تاريخاً . فقد تنبأ الدكتور توكوفيل ان سكان اميركا الشمالية سيبلغون ١٥٠ مليوناً . وهم اليوم كذلك . مائة وخمسون مليوناً هم ارقى وأغنى واعلم واجمل واقوى بني الانسان في كل العصور . يستثنى من هذا الحكم سكان الاقسام الجنوبية منهم ، اعني مكسكو وما دونها جنوباً . ما انس لا انس تجوالي في جنبات الولايات المتحدة وكندا ثلاثين شهراً . تحملي غبراًؤها ، واتنشق نسباتها ، وارى مجالي جمالها ، وقد رسم ذلك على قلبي آثاراً خالدة

انشئت الجمهورية الاميركية الكبرى ، المدعوة الولايات المتحدة سنة ١٧٧٦ ، في مدينة فيلادلفيا في ولاية بنسلفانيا ، وهي اليوم ثالثة مدن الجمهورية اتساعاً وعظمة . وكان الحضور نواب ثلاث عشرة ولاية هي : ماساشوستس ، نيوهمشير ، كنكتيكت ، رودايلاند ، نيويورك ، نيو جرزي ، دلاوار ، ماري لاند ، بنسلفانيا ، فرجينيا ، نورث كارولينا ، سوث كارولينا ، جورجيا . وبعد القرار سألوا احدهم ، وهو العالم الطبيعي الشهير بنيامين فرنكلين ، ان يختم عملهم

بإلحاح ، فعلى مستودعاً الجمهورية ، المولودة الآن ، عناية الله
ولم يكذب تشاؤم الناس بالعدد ثلاثة عشر كما كُذِّب في تأسيس



واشنطن

الولايات المتحدة ، اذ كانت أسعد حالا من كل جمهورية في التاريخ ،
مع ان عددها كان ١٣ . وقد بلغت اليوم ٤٨ ولاية سكانها ١٢٠
مليوناً . وفي كندا ١٠ ملايين . وفي مكسيكو والجمهوريات الصغيرة
إلى جنوبيها ٢٠ مليوناً . ومجموع سكان القارة ١٥٠ مليوناً

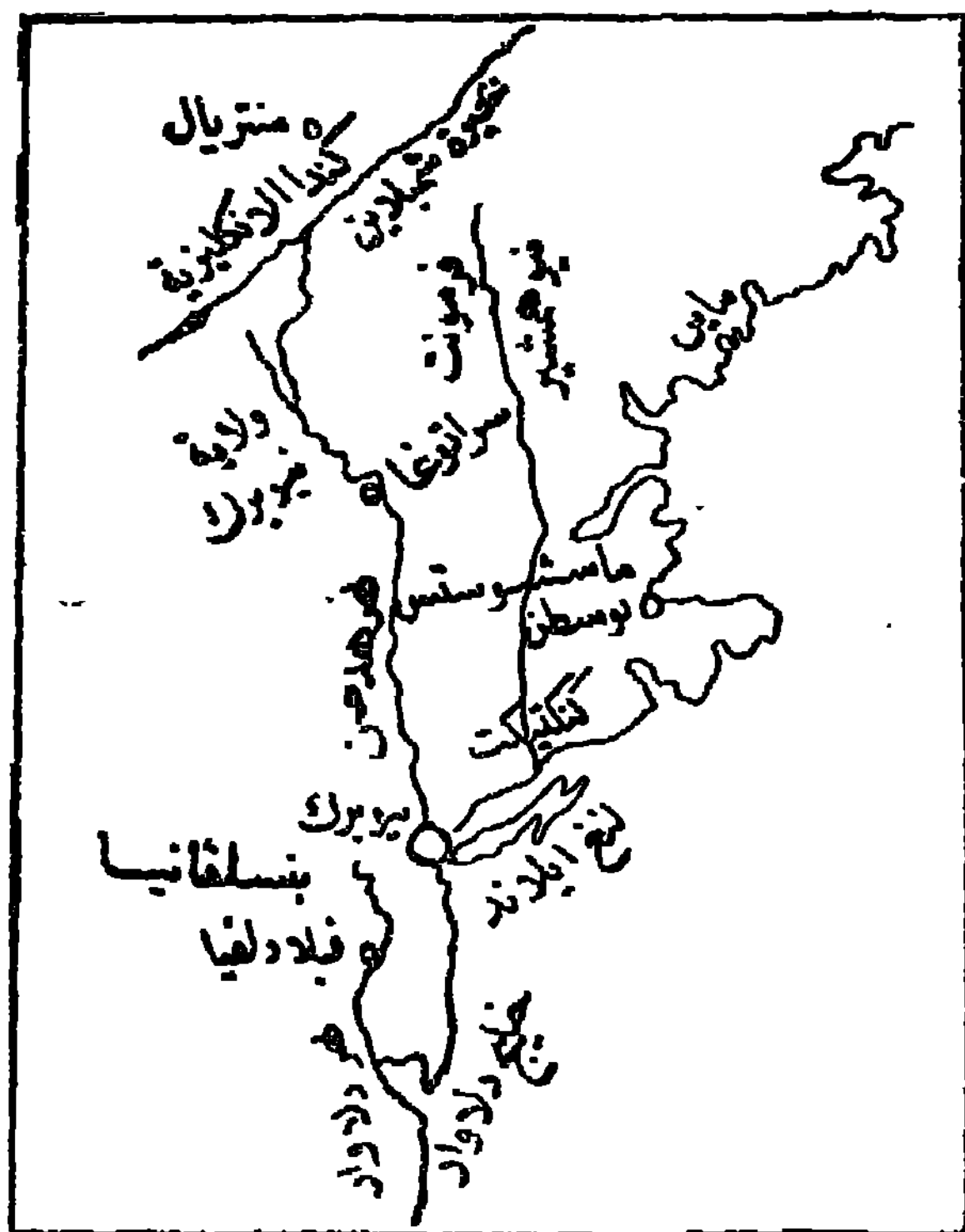
الجيش الانجليزي

كان لانجلترا ، يومئذ ، في كندا جيش قوي ، فأعدته للزحف على العصاة ، لردهم الى طاعة الام ، انجلترا . وأمدته بسبعة آلاف تجهزين بالاسلحة والذخائر . وعقدت لواءه على الجنرال بورجون البطل الشهير ، الذي شهد له الاعداء ، قبل الاصحاب ، باصالة الرأي وحسن الادارة ، وتدير المعارك

جمع بورجون جيوشه على ضفاف بحيرة أوتاريو ، ونهر سنت لورانس . وأعدهم لخوض المعارك في أودية هدسن ودلاوار وأوهيو وقرر أن يسير جنوباً بطريق البحيرات ، ووادي هدسن ، فيلاقيه الجنرال كلتن ، الصاعد من نيويورك بالذخائر والامداد ، فيصل الخط العسكري بين نيويورك وكندا . ويفصل الثوار ، ثم يسحق جيش نيوانجلاند - ماساشوسيتس واخواتها - وبذلك تنتهي الحرب ، وينتقم العلم الانجليزي ثانية تحت سماء العلم سام . فقامت الحملتان الانجليزيتان ، من كندا ونيويورك ، في وقت واحد وكان مركز الجيش الاميري الرئيسي ، وقائده جورج واشنطن ، في بنسلفانيا ، مسقط رأس الجمهورية . وكان يرقب ماجريات الحرب ، ويدبر حركاتها

وكان الانجليز واثقين بالفوز ، لتفوقهم مالاً ورجالاً وتهذيباً . وكان مجموع رجال الحملة ١١٤٤٣ ، وتحت قيادة بورجون قائدان آخران ، هما الجنرال فيلبس ، والجنرال فريزر . وكان معه عدد من الهنود الحمر ، سكان أميركا الاصليين . فاجتمع الجيش الانجليزي على ضفاف نهر بوكويه . قرب بحيرة شيبلاين ، شمالي ولاية نيويورك ، في ٣١ يونيو سنة ١٧٧٧ . ثم جاءت كرون بوينت وهو

حصن اميركي بين بحيرتي جورج وشمبلان . وحلت الحصن بدون معارضة ، لان الاميركان أخلوه . وكان الانجليز يحسبون حساباً



خريطة ميدان الحرب الاميركية

لمقاومة الاميركان في حصن «تكونديراجا» على ١٢ ميلا الى الجنوب وهو مفتاح الطريق الى نيويورك . ولكن القائد الاميركي ، سنت كلير ، أخلاه بسبب ضعف جيشه ، وعدده ثلاثة آلاف . فكان فرح الانجليز عظيماً بذلك . وحسبوه فوزاً لهم ، وأملوا قرب انتهاء الحرب . وأفاضت صحفهم في اطراء بورجوين ، ووصف انتصاره «العظيم»

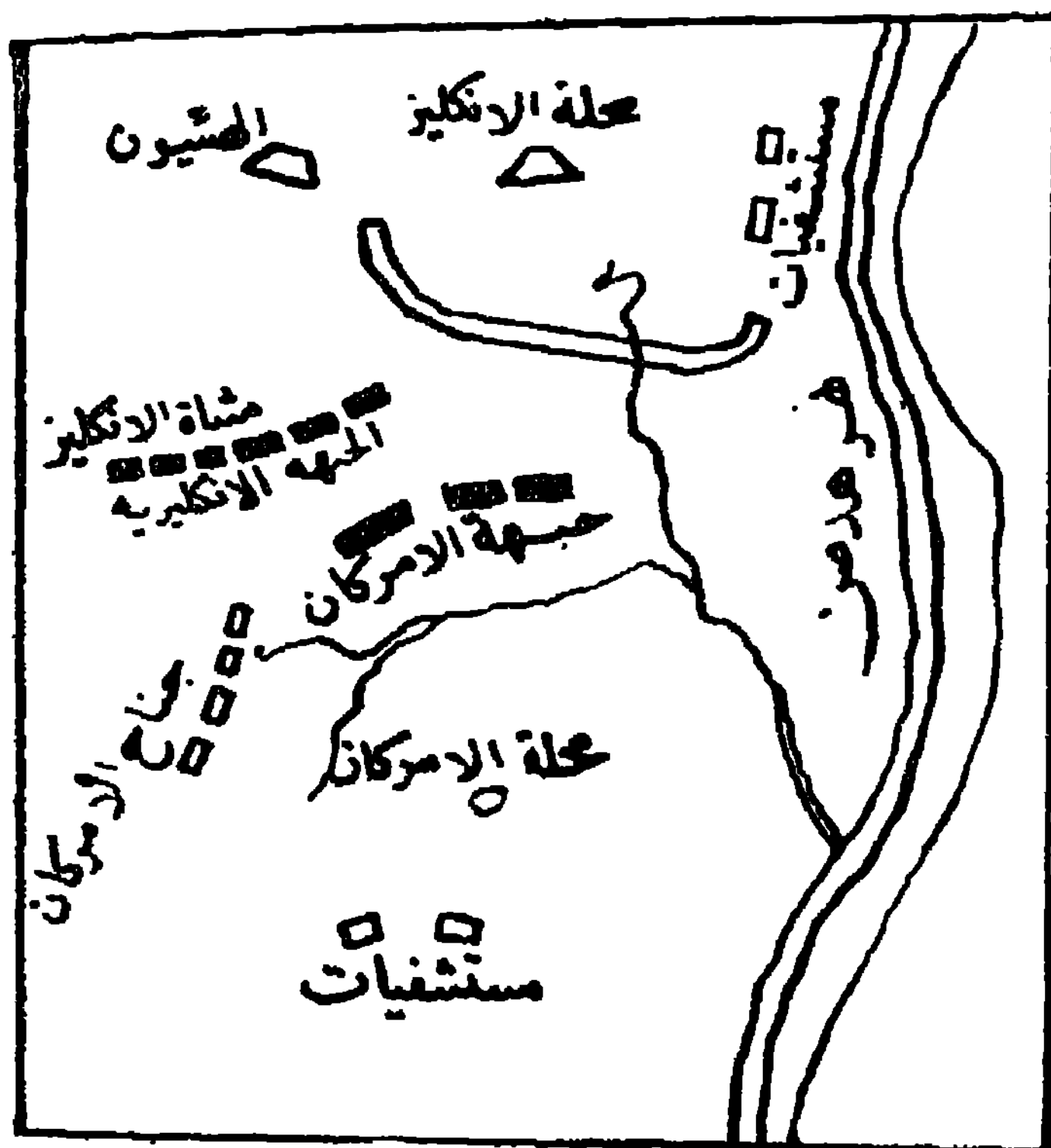
تدبير الاميركان

ولم يكن كدر الاميركان أقل من فرح الانجليز . ولكن حكومة نيو انجلاند قررت مواصلة القتال . فعزلت سنت كلير ، وولت الجزال جايتس ، وجعلت وازعه الحربي « سراتوغا » . وأثار حماسة الاميركان لمواصلة القتال ما ذاع بينهم عن فظائع الهنود الحمر ، الذين رافقوا الحملة الانجليزية ، واعتدائهم على النساء والاولاد . وحدثت حادثتان أضرتا بمركز الحملة عسكرياً ، الاولى انكسار حملة الجزال سنتلارجر ، في حصن ستانويكي . والثانية : انكسار الجزال باوم في بنتجتن ، فهرب جنوده وتركوه جريحاً . ثم ضرب الاميركان النجدة المرسلة له ، وعددها ٥٠٠ جندي . وبأثرهم من هاتين الحادثتين ظل بورجون مصمماً على استئناف السير بالحملة . وأصبح ذلك ضربة لازب لما انقطعت مواصلاته بكندا . فاذا لم يتمكن من الاتصال بنجدة كلنتن هلكت حملته على بكرة أيها فانسحب الاميركان من سراتوغا الى موقع منيع ، قرب « ستل ووتر » في منتصف الطريق بين سراتوغا واليني . وكانت الاراضي بينهم وبين الانجليز وعرة ، كثيرة المنحدرات والجداول . ولكن الانجليز بذلوا جهدهم في مد الجسور ، وتمهيد الصعاب ، وواصلوا تقدمهم الى ستل ووتر . فوصلوها في ١٩ سبتمبر . وحلوا على أربعة أميال من سراتوغا

المعركة الابتدائية

فشبت معركة بين جناح بورجون الايمن بقيادته ، وبين الاميركان بقيادة جايتس وارنولد . وظل القتال ناشباً الى غروب

الشمس . وكانت الخسارة متساوية في الجانبين ، ولم يتم عمل فاصل .
 وظل الجيشان على مرجي رصاص . أحدهما من الآخر
 وكان القائد بورجون يتلهب شوقاً لوصول كلتن بالجهاز
 والامداد . وكان يجب أن يكون الآن في البني . ولكن رسولا



ميدان سراتوغا

جاء من قبله يخبر انه لقي في طريقه من الصعاب ما لم يكن في الحسبان
 وان أمامه حصنين اميركيين ، يحاول فتحهما ، ثم يستألف سيره .
 فأرسل بورجون يحثه على الاسراع في فتح الحصنين والقدوم اليه .

وقد بدأ الهنود ينسحبون من الحملة . وهبط عدد رجالها الى نحو ستة آلاف

ترتيب المعركة الفاصلة

وضع بورتجوين جناحه الايمن غربي نهر هدسن ، على زاوية قائمة مع النهر . وحصنه بخنادق ، وشبكة من الحفر الى الجانبين . . وكان الاميركان يزدادون بما يصلهم من المدد كل يوم . فأتم من نيو انجلاند ٢٠٠٠ في ٢٩ سبتمبر . وأتم الجنرال البولاندي كمسيوكو تحصيناتهم . وكان يقود جناحهم الايمن الجنرال لنكلن . واذا كان هذا الجناح أمنع من أن يؤخذ ، وجه القائد بورتجوين همه لمهاجمة الجناح الايسر ، بألف وخمسمائة محارب وستة مدافع مختلفة العيار . وصحبه في هذا الهجوم الجنرالان فيلبس وفريزر ، وذلك في ٧ أكتوبر

وكان كتابه قد وصل الجنرال كلنتن في ٥ أكتوبر ، وفاز باخذ الحصنين في ٦ منه . وكسر البوارج الاميركية في النهر ، وأعد سفن . نقل لامداد بورتجوين ، حسب التعليمات الواردة اليه من القائد العام . وهو الآن على بعد ١٥٠ ميلا منه . وساق أمامه طليعة مؤلفة من ١٧٠٠ جندي . وهم الآن على ٤٠ ميلا من البني . ولكن كل هذه الاخبار بجهولة عند بورتجوين . ولو فاز في سراتوغا لاتصل بالطليعة وعرف كل شيء ، والتقى بعدها بالجنرال كلنتن ، وفاز نهائياً . ولكن قدر فكان

فدنا بورتجوين ، بالالف وخمسمائة نفر ، من صفوف الجنرال جايتس الاميركي . وصار منها على ثلاثة أرباع الميل . ونظم هجومه .

وسلم النظاميين منهم للميجر أوكلاند ، والمدفعيين للميجر وليمس .
وكان معه في القلب جنود المان من « هس » بقيادة الجنرال فريزر
فلما علم الجنرال جايتس ان القائد الانجليزي قادم اليه أبت مروءته
الا أن يكون هو البادىء بالهجوم . فنظم صفاً بقيادة الجنرال پور ،
والجنرال ليونارد . وساقه على ميسرة الانجليز . وأرسل الجنرال
مورغان بألف وخمسمائة للاحاطة بميسرتهم

وفي الحال امتد القتال على طول الخط ، وضغط الجنرال مورغان
على اللورد بلكارس والجنرال فريزر ضغطاً شديداً . وتقدمت
وحدات عديدة الى الامام ، للاحاطة بجناح الانجليز الايمن . فتراجع
الانجليز ، ورتبوا أنفسهم في خط مائل يتصل بالنهر ، لحماية ميسرتهم
وصد هجومهم بقيادة مورغان ، ولولا ذلك لفصلوا عن اخوانهم
وحمي وطيس القتال جداً . واستبسل الجنود في الجانبين .
وانزع الاميركان من الانجليز مدفعاً وجهوه اليهم . وأسروا الميجر
أوكلاند والميجر وليمس فتعزز موقفهم بهذا الفوز . ولكن قلب الخط
الانجليزي ما زال ثابتاً

وكان الجنرال ارنولد قد تنازع مع الجنرال جايتس ، بسبب
معركة ١٩ سبتمبر ، فجرده جايتس من القيادة في بدء المعركة .
ولكنه الآن ، وقد بلغ القتال أشده ، قام بعمل خارق . فامتطى
صهوة جواده ، وأرخى له العنان الى الجبهة . وجعل يثير حماسة
الجنود . فآتم بذلك عملاً حريياً ، قد تعجز فصيلة كاملة عن اتعاقبه
وأبدى الانجليز من البراعة ورابطة الجأش والبسالة ما لا مزيد
عليه . ولا سيما الجنرال فريزر ، فانه أعاد تنظيم جنوده ، وبث فيهم

روح الحماسة والثقة . وكان يتقدمهم مشجعاً ، بملابسه الرسمية .
وبذلك كان معرّضاً لرصاص الاعداء ، لأنهم عرفوه بملابسه . وعبثاً
أُلح عليه القائد بورجوين ان ينسحب من مواقف الخطر ، لان
سلامته ضرورية لنجاح الحملة ، واذا سقط فشلت فشلاً تاماً .
فأجاب انه يعتبر الواجب العسكري أقدم من سلامته . ولم ينسحب
ولا غير ملابسه . فسدد رماة الاميركان المرمى اليه فاصابوه ، ووقع
جريحاً ، فحملوه الى خيمة الجراح . واضطرت الجنود الانجليزية أن
تراجع . وانتثر عقد النظام في ميسرتها وقلبها ، ولكن مشاتها
صدوا هجوم الاميركان . وبذلك تمكنت من الانسحاب دون كارثة
إلا أنها تركت في الميدان ستة مدافع ، وعدداً من الجرحى وظلت
مدافع الانجليز تطلق نيرانها على الاميركان حتى فني رجالها . وبعد
ذلك غنمها الاميركان

انكسر الصف الذي قاده بورجوين ، ولكن المعركة لم تنتهِ .
لان الاميركان واصلوا تقدمهم ، وهجموا على الانجليز في محاتهم .
ولا سيما الجنرال أرنولد . فانه قاد هجوماً قوياً على موقع بلكارس
الحصين ، فثبت له الانجليز ، وخيم الظلام . فافتحم أرنولد موقع
بلكارس تصحبه جماعة من الفدائيين . فجرح في رجله جرحاً أوجب
سحبه من الميدان

وخضع آسفاً شديداً لاسف هذا الحكم الاضطرابي على انجنوده
ظلوا يقاتلون . وظل الانجليز يدافعون ، وأخيراً ارتد الاميركان
عن مواقع الانجليز ، دون أن يفوزوا منهم بطائل . على أن هجوم
الاميركان في غير هذا الموقع كان أكثر نجاحاً . فاخترقوا شبكة من

الحواجز والختادق الالمانية . فجاد الالمان بأرواحهم في الدفاع وقتل قائدهم برمين . وغنم الاميركان منهم كثيراً من الذخائر ، كانوا غاية في الاحتياج اليها . ولما حلوا تلك النقطة أرغموا جناح الانجليز على الانسحاب . وتعقبوهم ، يضربون ساقهم . ولكي يتخلص القائد بورجون من كارثة كبيرة ، غيّر موقعه ليلاً ، فنقل جنوده بحذق خارق ، الى هضبة تشرف على نهر هدسن . ولكن القائد جايتس كان أمقل من أن يجود بأرواح جنوده عبثاً . فلم يهجم على الانجليز بل طوّفهم حتى يرغمهم الجوع على التسليم

وأرسل بورجون كتاباً في ١٣ أكتوبر يسأل القائد جايتس المخبرة لانتهاء القتال . فرد عليه هذا بوجوب التسليم بدون قيد ولا شرط . فاجابه ان ذلك غير ممكن بالنظر الى حالة الجنود النفسية . وطال الاخذ والرد بينهما . وأخيراً اتفقا على أن يعبر الانجليز نهر هدسن الى الضفة الشرقية . وهناك يطرحون سلاحهم بأمر قائدهم ، بورجون ، ثم يصير نقلهم الى انجلترا ، متعهدين بعدم الرجوع الى هذا الميدان ، حتى تنتهي الحرب بين الاميركان وبين انجلترا

فعبروا النهر ، وسلموا ، وأسرهم الاميركان ، ولكنهم لاسباب لا داعي لشرحها هنا ، لم يرسلوهم الى انجلترا كما وعدوهم . وفاز الاميركان في هذه المعركة أعظم فوز

حكاية اوكلاند وزوجته

كان الميجر اوكلاند ضابطاً مستكمل الاوصاف ، وهو من الجنود النظامية ، وقد صحبته زوجته الى كندا سنة ١٧٧٦ . وكانت شديدة

الكلف به . فلازمته في كل المعارك التي خاضها . وكانت الى جانب
سريته كلما جرح أو مرض . فرَّضته في شمبلي على نهر سورال ، في
كوخ حقير ، وكذلك لما جرح في معركة هبردن ، في فرمونت .
فأسرعت من منتريال اليه في هنسبورو . ومن ثم قررت أن تصحبه ،
بلا انفصال حتى الموت ، وكاد الزوجان يفقدان حياتهما بكارثة
حدثت قبيل عبورهما نهر هدسن . اذ شبت النار في خيمتهما ، وكادت
تقضي عليهما

وفي خلال معارك ٧ الجاري شغل زوجها بالقتال كل النهار .
واضطرت هي ، وبعض النساء ، أن يبقين بين جثث القتلى
والجرحى ، في ليلة مرعبة ، لما اضطر بورجوين الى الانسحاب ليلاً ،
على ما سبق يانه . ونزعت كل الخيام ، وكاد لا يبقى لهن ما يظللهن .
وجرح اوكلاند ، وسقط أسيراً بيد الاميركان ، وقد اجتازت حياته
مأزقاً شديداً الخطر . وكاد يقتل يد فتى أميركي لولا مرور الجنرال
ولكنسن مساعد القائد الاميركي العام ، فاستغاث به اوكلاند ، وهو
تحت سنكة ذلك الفتى . فانغاثة ولكنسن وانقذ حياته . وحملوه الى
محلة الاميركان ، حيث ضمدوا جراحه ، واعتنوا به

ولما بلغ زوجته انه جريح أسير ذعرت ، وهبت للالتحاق به
لتخدمه وتسند قلبه . وقد ايدتها في رغبته هذه صديقتها البارونة ،
زوجة الجنرال رايدسيل . قائد الهسين المار ذكره . فارسلت اليها
للجنرال بورجوين في ٩ أكتوبر ، تسأله الاذن في أن تتبع زوجها
لتخدمه . قال الجنرال بورجوين « ومع اني موقن ان الصبر والثبات
يوجدان في أعلى درجاتهما ، كغيرهما من الفضائل ، في أشد الاحوال

معاكسة ، فقد أدهشني طلب مسز اوكلاند ، أن تتبع زوجها . وهي
في حال تستدعي الراحة ، بعد متاعب وسهر ومخاوف ، وجوع ،
معرضة لكل أنواع المخاطر فلاحت لي همة كهذه خارقة الطور
البشري . ولم يكن عندي ، حتى ولا كأس خمر اسند به قلبها . وكل
ما أمكنني أن أعمله لها ، هو انني أعطيتها قارباً مكشوقاً ، وكتبت لها
على ورقة وسخة مبللة الكلمات الآتية للجنرال جايتس «

» سيدي

« ان السيدة هريت اوكلاند ، شريفة الآل والخصال ، وهي
تحت تأثير أشد عوامل الحنان والامانة الزوجية ، جزعة على زوجها
الجريح الاسير عندكم . وقد ألحت عليّ أن أسمع لها بالتوجه اليه .
فتعذر عليّ رفض طلبها . فسأودعها عنايتكم . ومهما يكن من أمر
موقفي أمامكم ، فلا أقدر الا أن أحترم رماية السيدات . ولا سيما
هذه السيدة الراقية ، وحالها الداعية للشعور ، ولا حاجة الى الشهادة
فان التفاتكم اليها يجعلني غاية في الممونية خادكم المطيع

ج . بورجون

فركبت القارب ، وعبرت هدصن ، الفاصل بين الجيشين ،
يصحبها القس برودنل ، وساره بولارد ، وخادمتها ، وخادم
زوجها ، وهو مجروح ، اذ كان يفتش على سيده ليلاً في الميدان .
وأصابتهم عاصفة في وسط النهر ، كادت تهلكهم . وصبت عليهم
الامطار الغزيرة سيولها . ففرقت سيرهم ، وبالتهم . فلم يصلوا الضفة
الثانية الا وقد خيم الظلام الحالك

فسمع الحارث الأميركي حركة المجاذيف في النهر . وصاح بهم
الصيحة المعروفة . فراعته أن سمع صوت سيدة لطيف في جنح الظلام
في منطقة حرب . ولم يجرؤ على الدنو منهم ، حذار المكيدة . فسأل
رفيقه أن يصحبه للوقوف على واقعة الحال . ولما عرف من هم ، لم
يأذن لهم في الصعود الى الشط ، حتى استأذن الميجر ديربورن . فطيب
هذا خاطر مسز اوكلاند . مؤكداً لها ان زوجها العزيز سليم مصون
ولقيت في صباح اليوم التالي من القائد العام ، حناناً ابويّاً .
وأرسلها حالاً الى خيمة زوجها . فأقامت تخدمه حتى نقل الى البني .
وهي نموذج السيدات الانجليزيات في الشجاعة والامانة الزوجية

الحوادث التالية

سنة ١٧٨١ : تسليم القائد كورنوالس والحيش الانجليزي
لجورج واشنطن
سنة ١٧٨٢ : فشل الفرنسيين والاسبانيين في حصار جبل طارق
» ١٧٨٣ : نهاية حرب الاستقلال الاميركي . واعتراف
انجلترا باستقلال الاميركان
سنة ١٧٨٨ : طلائع الثورة الفرنسية
» ١٧٨٩ : انفجار الثورة في باريس . ودك سجن الباستيل .
وابتداء الحوادث الحارقة في فرنسا
سنة ١٧٩٣ : إعدام لويس السادس عشر . اعلان أسبانيا
وانجلترا الحرب على فرنسا . قسمة بولاندا نهائياً بين روسيا وبروسيا
والنمسا

سنة ١٧٩٥ : فوز الجيش الفرنسي على هولاندا بقيادة يشاجرو
» ١٧٩٦ : تعيين نابليون بونابارت قائداً للجيش الفرنسي

في إيطاليا

سنة ١٧٩٧ : انتصارات الفرنسيين في هولاندا وأوستريا
» ١٧٩٨ : غزو مصر . انكسار الاسطول الفرنسي في أبي قير .

ثورة ارلندا

» ١٧٩٩ : استئناف الحرب بين فرنسا وأوستريا . مساعدة
روسيا لاوستريا . تتابع انكسار الفرنسيين في إيطاليا

سنة ١٨٠٠ : عبور نابليون جبال الالب ، وكسره النمساويين

في مارنجو

سنة ١٨٠١ : معركة كوبنهاغن

» ١٨٠٢ : صلح اميان

» ١٨٠٤ : تصيب نابليون امبراطوراً على فرنسا

» ١٨٠٥ : استعداد نابليون العظيم لغزو انجلترا . واستئناف

الحرب بين فرنسا وبين النمسا وبروسيا

معركة طرف الفار

سنة ١٨٠٥

لقد هز نابليون أوربا ، وزعزع اطمئنانها ، وهدد دول الارض بالانقلاب . وكان الّد أعدائه الانجليز ، لانهم الصخرة التي بها يصطدم كل قوي في أوربا . فكان همه الوحيد تمزيق امبراطوريتهم كما كان ذلك هم غليوم الثاني ، وقيصرة الروس . فغزا مصر سنة ١٧٩٨ قصد قطع مواصلاتها بالهند . وكان يحلم بتقليد الاسكندر المكدوني في غزو الهند . ولذلك عمل صورة مثله راكباً فيلاً وداخلا هندستان ظافراً

فأرسلت انجلترا في اثره الاميرال نلسن ، فحطم أساطيله في أبي قير قرب الاسكندرية ، ثم تعقبه الى سورية ، وردّه عن عكا ، وأرغمه على الخروج من مصر . فتقم على انجلترا أعظم نقمة . ولذلك باع ولاية لويزيانا الجميلة ، على نهر مسيسيبي ، للولايات المتحدة ، بمبلغ ١٥٠٠٠٠٠٠ دولار اميركي ، وجعل ينفق ثمنها على معدات حملة على انجلترا ، وينشئ سفناً نهريّة لينقل بها الجنود الفرنسية الى لندن وكان رئيس وزارة انجلترا حينئذ ولیم بت الصغير ، فعقد ضد نابليون عدة مخالقات ، وأثار عليه حروباً أوربية شغلته حتى أسر

في وترلو . فكان لابد من معركة بحرية تتحطم بها بوارجه ، فيصبح عاجزاً عن غزو إنجلترا ، والامبراطورية الانجليزية . وقد شبت تلك المعركة في طرف الغار

القوى المتحاربة

« طرف الغار » اسم لسان من الارض ، داخل في الاوقيانوس الاطلانتيكي في جنوب غربي أوربا ، خارج بوغاز جبل طارق دعيت تلك المعركة باسمه لانها شبت في مياهه

كان مع الاميرال « جوثبرت كولنغ وود » الانجليزي ٣ بوارج حرية ، رقب أساطيل فرنسا وأسبانيا في مرفأ قادس . وانضم اليه في ٢٢ أغسطس سنة ١٨٠٥ الير اميرال بيكرن ومعه ٤ بوارج . ووافاه الفيس اميرال السر روبرت كالدر في ٣٠ أغسطس ومعه ١٩ بارجة . وأتاه اثنتان اخريان ، ثم أتاه نلسن ومعه سب بوارج فعصار المجموع ٣٤ بارجة

وكان في أساطيل الحليفتين ، يومئذ ، فرنسا وأسبانيا ، ٢٩ بارجة فرنسية بقيادة الاميرال فيلانوف ، وخمس بوارج اسبانية بقيادة الاميرال الفا الاسباني فالمجموع ٣٤ بارجة فيها اكثر من ٤٠٠٠ بحار . وكانت إبادة . هذه البوارج أو فوزها موضوع العراك بين سياستي إنجلترا ونابليون . وأرسل نابليون أوامره الى فيلانوف في ١٤ سبتمبر ان يخرج بأسطوله الى عرض البحر في أول فرصة مناسبة . فتتضم اليه سبع بوارج أخرى راسية في قرطجنة ويذهب بمجموع هذه الاساطيل الى مدينة نابلي الإيطالية لتقوية حاميتها .

وأمرها ان تصلي المعركة كل أسطول انجليزي تصادفه في طريقها ،
إذا كانت أقوى منه .

ورأى نابليون أن فيلانوف غير كفء لمنصبه الخطير ، فقرّر سحب
يده ، وتسليم القيادة للاميرال روزلي . فساء ذلك فيلانوف ، ورغب
في الاسراع بالخروج من قانس قبل وصوله

الاميرال نلسن

انجيت انجلترا كثيرين من كبار القواد ، والابطال ، ولكن
لا أحد منهم كان محبوباً من الامة اكثر من الاميرال نلسن وقد رأيت
له في ميدان « ترافلغار » في لندن ، أعلى الانصاب وأنخمها ، فكانهم
يريدون أن يضعوا تمثاله في القمر ، وذلك مظهر قدرهم رجاءهم ،
ومظهر أهمية العمل الذي قام به في معركة طرف الغار ، حيث حل
قبضة نابليون الحديدية ، القابضة على سوط يهدد به انجلترا .

ولد الاميرال هوراسيو نلسن في ٢٩ سبتمبر سنة ١٧٥٨ في
ليفربول وكان خاله « موريس سككنغ » بحاراً ، فخدم هوراسيو تحت
يده منذ صباه . وعنه أخذ فن البحرية ، وظل بحاراً كل حياته .
ورافق الاميرال هيد بارك الى بحر البلطيك . وفاز على أسطول
اسوج في كوبنهاغن . والاسطول الفرنسي في الاسكندرية . واخيراً
عين أميرالاً على أساطيل انجلترا في البحر المتوسط ، واتيظ به كسر
أو سحق الاسطولين الفرنسيين والاسباني

فاجتمع بالورد جتنام ، رئيس وزارة انجلترا يومئذ ، وقررا
نظام الاسطول وموظفيه ، ثم برح لندن الى بورتسموث . وفي ١٥
سبتمبر برح بورتسموث الى قانس ، فوصلها في ٢٨ منه ، وكان معه

٦ بوارج نجدة للاسطول ، وأمر الاميرال كوانغ وود ألا يضرب
له مدافع سلام حين وصوله ، ليظل أمر وصوله مكتوماً عن الاعداء
وأرسل أوامره الى جبل طارق بمنع الصحف عن نشر خبر قدومه



الاميرال نلسن

ولكن ضباط الاسطول فرحوا بقدومه فرحاً خارقاً . وكانوا وجميع
الانجليز في كل الدنيا ، يقدرون المهمة الموكلة لعنايته ، ويعلمون به
أمل الفوز . وكان هو يقول ويكتب ما يفيد توقعه الفوز والموت معاً
وعقد قبلا نوف مؤتمراً بحرياً ، بحث في أمر الاسطولين ، فقرر

ألا يهاجم الاسطول الانجليزي الا اذا كانت نسبته اليه ٤ : ٣ لان
البوارج الانجليزية أقوى وأكبر من البوارج الفرنسية والاسبانية
ودعي الاميرال كالدرا الى انجلترا للمحاكمة ، أمام مجلس حربي
لتقصيره في مصادمة أساطيل الحلفاء في ٢٢ يوليو . فذهب على بارجة
وذهب الاميرال لويس الى جبل طارق بست بوارج ، لجلب المؤن
والماء ، ولم يرجع الا بعد نهاية المعركة . فيكون نلسن قد خاض
المعركة بسبع وعشرين بارجة ضد ٣٤ .

طلائع المعركة

اجتمع الاميرال نلسن ليلة ٩ اكتوبر ، بالاميرال كوتنغ وود ،
وأخبره بالخطّة التي رسمها للمعركة ، قال : ربما حال الظلام والضباب
دون ظهور الاوامر البحرية . فليكن معلوماً عندك وعند ربانة
البوارج جميعاً ، ان ظهور أساطيل الاعداء هو دليل الشروع في
الحرب . وخطتنا أن نقطع ٣ أو ٤ بوارج من مؤخرة أساطيل
العدو ، ثم نخترق قلب الاسطول كله . والامر متروك لحرية كل ربان
في كيفية العمل وقت الاشتباك ، ولكن حيث يمكن مهاجمة بوارج
العدو من جانبها فهو المطلوب . وأقام نلسن رقباء ينبثونه بحركات
أساطيل الاعداء لاسيما في خروجها من مرفأ قادس

وفي ١٩ اكتوبر وردت اشارة للاميرال نلسن من البارجة
« مارس » وهي أقرب بوارج انجلترا الى أساطيل الاعداء ، تفيد
أن العدو بهم بالخروج . فرد عليهم نلسن قائلاً : « راقبوه »
وأمر الاساطيل الانجليزية أن تمتد في جهة الجنوب الشرقي .
وظهرت بوارج الاعداء الساعة ٢ ب . ظ ، في عرض البحر . فراقبها

الاسطول الانكليزي كل الليل ، والمسافة بينهما ١٢ ميلاً . وفي صباح ٢٠ أكتوبر ، أشرفوا على مدخل البوغاز . فعطف نلسن شمالاً للاقائها . ووردت اليه اشارة ، قيل الغروب ان العدو توجه غرباً ، ففهم أنهم يودون العودة الى قادس ، لأنهم رأوا الاسطول الانجليزي ، لذلك أمر بوارجه أن تتجنب الظهور

وفي صباح ٢١ أكتوبر رأى الرقيب عن سارية فكتوري أساطيل الاعداء في عرض البحر ومعهم ٣٣ بارجة ، منها ٧ ضخام . من ذوات الابراج . ولما أشرقت الشمس أمر نلسن بالهجوم حسب الخطة المقررة

. ودخل نلسن قرته ، وكتب وصيته الاخيرة لأنه كان يتوقع الموت ، وهي طويلة لا محل لها هنا ، وكتب صلاة سلم بها نفسه وأسطوله لعناية الله . وكانت البوارج الانجليزية تسير بنظام وأبهة شائقين ، حتى ان فيلانوف أميرال الاسطول الفرنسي لما رآها قال لمن حوله « ان بوارج تسير هذا السير لا يفوتها الظفر » . واذ علم ان بحارته غيرا كفاء لمصادمة الانجليز ، أمرهم بالعودة الى قادس ، على انه قال لهم : اذا اشتبكنا بمعركة مع الاسطول الانجليزي فكل ريان حر في عمل ما تدعو اليه الضرورة

المعركة

بدأت معركة طرف الغار الساعة ١١ : ٥٠ وذلك باطلاق ٨ أو ٩ بوارج فرنسية النار على « فكتوري » - بارجة الاميرال نلسن - وكان قصد الفرنسيين بذلك أن يروا مراحي مدافعهم منها . فأمر الاميرال نلسن الريان بلاك وود أن ينخر جميع بحارة الاسطول ان

الاميرال يعتمد على جهودهم . ونشر عبارته الشهيرة وهي : « ان
انجلترا تتوقع من كل رجل ان يؤدي واجبه »

وكانت بوارج الاعداء سائرة أزواجاً ، وفي بعض المواضع
مثلث . وقد شهد الاميرال نلسن لبراعة الاميرال فيلانوف وحسن
إدارته ، وأنه عمل أفضل ما يمكنه في موقفه

وأُسرع الاميرال نلسن ومساعداه الاميرال وود ، لادراك
بوارج العدو التي كانت تبني الافلات منهم لتعود الى قادس : فتركوا
البوارج البطيئة وراءهم ، وهجما بالسرعة . وكانت أول بارجة
انجليزية اطلقت النار على الاعداء ، هي البارجة « رويال سقرتغ »
المعقود لواؤها الاميرال كولنغ وود . فجاءتها « سنتا حنة »
المعقود لواؤها للاميرال الفا الاسباني . وكان هذا في الصف وراء
فيلانوف ، وذلك يوافق خطة نلسن ، أن يقطع ساقه بوارج
العدو أولاً . فبدأ بضرب الفا السائر في الساقه

وكان نلسن يرقب القتال عن ظهر بارجته - فكتوري - فقال
لن حوله : أترون كيف يحسن كولنغ وود العمل ؟ وكان الاميرال
وود مسروراً لأنه أول من تعمد بالنار ، فقال لن حوله : كم تظنون
يدفع الاميرال نلسن لتقايضه الموقف ؟ . ووالى الفرنسيون اطلاق
النار على « فكتوري » . ولما اخترقت القبلة شراعها ، صوبوا
عليها نيران عدة بوارج ، قاصدين تقطيع حبالها ، فامر الاميرال
نلسن بمهاجمة « سنتي سبا ترينيداد »

وكان أول من سقط الى جانب الاميرال نلسن كاتبه « سكوت »
ثم ثمانية بحارة . فامر نلسن أن يتفرق البحارة لئلا يهلكوا بالجملة .

ثم سقط الرصاص بين نلسن وهاردي ريان فكتوري ، واخترق
سيور هذا ، ولمس رجله ، ولكنه لم يجرح . والى الان لم تطلق
فكتوري ولا طلقاً واحداً . وقد أصيب ٦٠ من بحارتها ، وتمزق
شراعها . وفي الساعة ٤ : ١٢ فتحت مدافعها فوهاتها ، وصبت نيرانها
الى الجانبين ، على سنتي سياتريزديداد ، وعلى روديتابل . (بارجة
الاميرال الفرنسي ، فيلانوف) ولما سكتت مدافع هذه ، أمر
بالكف عن ضربها . ولكنه منها نال منيته ، اذ أصابته شظية
قنبلة من مدافعها على قرص الساري ، حيث ينصب الفرنسيون عادة
بعض المدافع فاصابت تفاحة البنود على كتفه ، وقصمت عموده
الفقاري ، فسقط على الارض ، حيث كان كاتبه قد سقط منذ برهة
والتفت هاردي فرأى ثلاثة بحارة يحملونه . فقال له الاميرال « لقد
أردوني يا هاردي » . فاجابه ذلك « لا سمح الله » . قال نلسن
« بلى فلقد قصم ظهري ولن أعيش » وكان ذلك الساعة ١ و ١٥ .
فحملوه الى القمرة . وفحص الجراح جرحه . وللحال عرف انه
ميت ، ولكنه كتم ذلك الا عن هاردي والقسيس وبعض اطباء
وشعر نلسن ان لا قوة بشرية تفيده . فقال للجراح اذهب وعالج
الذين فيهم رجاء ، واتركني . وغاية ما عملوه للاميرال ، التهوية فوق
وجهه ، وسقيه شراب الليمون ، لتخفيف عطشه . وكان ، وهو
أمام الموت ، يبدي شديد الرغبة في معرفة نتيجة المعركة . وكما سمع
البحارة يصيحون « هوراه » ، حين يأسرون احدى البوارج ،
كان وجهه يطفح بشراً ، وطلب ان يرى هاردي - قبطان بارجته -
بالحاح شديد . ولما تأخر عن المجيء ، لانه كان مشغولاً بالقتال ، ظن

انه مقتول فحزن حزناً شديداً . ولم يسكن روعه حتى حضر هاردي ، وأقاده ان المعركة « في مصلحتنا » وقد عطلنا او اسرنا الى الآن احدى عشرة بارجة . ونحن على وشك أن نتبعها باربع او خمس آخر . فقال نلسن « حسن جداً ، ولكنني أتوقع أن زدي بعشرين بارجة »

ثم قال أنا مائت يا هاردي ، فتعال وقبلني . فركم هاردي وقبل خذ الاميرال . ثم وقف دقيقة ، وعاد فركم وقبل جيئنه . فقال الاميرال الحمد لله لقد أتمت واجبي لوطني . وظل يكرر هذه العبارة حتى فارق الحياة الساعة ٣٠ : ٤

وظلت البوارج الاسبانية تقاتل حتى قتل من بحارتها ٤٠٠ من كل « ارجونوتا » و « سنتي سيبا » ، و ٣٥٠ من « سان خوان » . وقتل الاميرال الفا الاسباني . وأسر فيلانوف أميرال الاسطول الفرنسي ، وأخذوه الى لندن

وعطف الاسبانيون كثيراً على جرحى الانجليز ، وقدموا لهم أسرتههم . وكان مجموع خسارة الانجليز ١٥٠٠ . ولم يعلم كم كانت خسارة الاعداء ، ولكنها كبيرة جداً . فقد خسروا ٢٠ بارجة غرقاً وأسراً ، وتعطل ١٠ بوارج . فلم يسلم منها سوى ٤ بوارج من ٣٤ . وغربت شمس ذلك النهار ، وغربت معها شمس حياة نلسن الاميرال العظيم ، وغربت شمس آمال نابليون في غزو انجلترا . وانفردت انجلترا بسيادة البحار فكانت قادرة أن تتعقب نابليون أي ذهب

وطارت اخبار الفوز العظيم الى انجلترا ، وان الاميرال نلسن
أحرزه بدمه . فكان فرح الامة بالفوز كخزنها على أميرالها المحبوب
وللحال رقي أخوه الى رتبة اربل براتب ٦٠٠٠ جنيه . ودفعت
الحكومة لكل من شقيقتيه ١٠٠٠٠ جنيه . ولما وصل التابوت
الذي يضم رقاته الى لندن حطمه الشعب ، ووزعوا قطعه عليهم كأنه
ذخيرة من ذخائر القديسين . ودقوه في أشرف مداقهم ، « دير
وستمنستر » باحتفال عظيم . ويحسب المؤرخون معركة طرف الغار
فريدة في أهميتها ، فائقة في نتائجها ، ولذلك كانت من أهم فواصل
المعارك البحرية في كل العصور . وهي تخلص اتحاد الاميرال نلسن
والبحرية الانجليزية ، وكانت من جملة العوامل لتقليم أظافر نابليون ،
ومقدمة لسقوطه ، لان من خسر البحرية فقد خسر كل شيء .

الحوادث التالية

سنة ١٨٠٦ : حرب روسيا وفرنسا . انكسار البروسيين أمام
نابليون في جينا

سنة ١٨٠٧ : معارك شرقي بروسيا بين الفرنسيين والبروسيين
» ١٨٠٨ : قيام الاسبانيين على نابليون لانه ملك أخاه عليهم
» ١٨٠٩ : استئناف الحرب بين فرنسا والنمسا . معركة وجرام
» ١٨١٠ : زواج نابليون بالارشيدوقة ماريا لويزا . ضم
هولاندا الى فرنسا

سنة ١٨١٢ : محاربة انجلترا اميركا . حملة نابليون على موسكو .
تأخر نابليون

سنة ١٨١٣ : قيام بروسيا والنمسا ضد فرنسا . طرد الفرنسيين
من جرمانيا بعد معارك حامية

سنة ١٨١٤ : غزو الحلفاء فرنسا . تسليم باريس للحلفاء
وارسال الحلفاء نابليون الى جزيرة البا . مؤتمر فينا

سنة ١٨١٥ : افلات نابليون من جزيرة البا ، وعودته الى
فرنسا ، والتفاف الناس حوله فهرب لويس الثامن عشر

معركة وترلو

سنة ١٨١٥

نابليون بونابرت أشهر من أن يعرف . وقد حارب دول أوروبا عشرين سنة . وقد أمسكوه في سنة ١٨١٤ ، ونقوه الى الباء . واجتمع نواب الدول في مؤتمر فينا الشهير ، لاعادة تنظيم أوروبا . وفي ختام أعمال الجمع نهض تيران ، نائب فرنسا ، وأخبر الحضور ان نابليون هرب من الباء ، وعاد الى فرنسا ، وانضم اليه الجنود والقواد ، وهو الآن امبراطور فرنسا ثانية . فبهت الحضور هنيهة ، لما طرق سمعهم ذلك الخبر غير المنتظر ، ثم اندفعوا جميعهم في الضحك بصورة هستيرية . ثم قرروا محاربته ، وفي الحال عقدت تحالفة بين انجلترا وبروسيا والنمسا . وانضم اليها غيرهم بعدئذ ، وعزموا أن يحاربوا نابليون حتى يقصوه عن فرنسا

وكان نائب انجلترا في المؤتمر دوك ولنجتن القائد الانجليزي الشهير . فسألوه رأيه في كيفية الحرب فقال ما خلاصته : يؤلف الحلفاء ثلاثة جيوش يدعونها جيش الرين الادنى ، وجيش الرين الاوسط ، وجيش الرين الاعلى . ففي الاول جيوش الدول الغربية ولاسيا وبروسيا وانجلترا . وهذه يجب أن تبدأ الحرب حالا .

وجيوش أواسط الرين هي جيوش بافاريا والنمسا ، وهذه ستحشد بعد الاولى . وأما جيوش أعالي الرين فهي عبارة عن جيوش روسيا ، التي يتأخر وصولها لبعد الشقة وصعوبة المواصلات . ثم تفرق أعضاء المؤتمر ، وباشرت الدول حشد الجيوش ، وباشر نابليون حشد جيوشه كذلك . وكان ذلك في ٥ مارس سنة ١٨١٥ . وفي ١٣ مارس وقعت الدول السبع : النمسا ، واسبانيا ، وانجلترا ، وبورتوغال ، وبروسيا ، وأسوج ، قراراً بتجريم نابليون

مقدمات المعركة : الجيوش

وصل بلجيكا في شهر مايو ثلاثة جيوش ، هي الانجليزي والبروسي والفرنسي

وكان قائد الاول دوك ولنجتن ، والثاني المارشال بلوخر ، والثالث نابليون

وصل الاول بروكسل ، والثاني ضفاف السوم والسبر ، والثالث حول مدينة ليل الفرنسية . وكان نابليون يرمي الى فصل الجيشين المتحالفين . ثم اتخذ خطة الدفاع امام احدهما ومهاجمة الآخر حتى يفنيه ، ثم الاجهاز على الثاني . ولم تكن جيوش روسيا والنمسا ، المنتظرة تشغل قلبه كثيراً . وكان يؤمل أن تنضم بلجيكا اليه ، فتساعده على طرد العدو من بلادها . هذه كانت احلام نابليون

وكان مع نابليون خمسة فيالق

الاول : بقيادة الكونت دارلون . وموقعه حول ليل
الثاني : بقيادة الكونت رايبل وموقعه في فلانسين الى
يمين الاول

الثالث : بقيادة الكونت فاندام في مزير
 الرابع : بقيادة الكونت جيرارد في نواحي ماز
 الخامس : بقيادة الكونت لوبون لاون . يضاف الى ذلك
 فرق الخيالة بقيادة كروشي، والحرس الامبراطوري القديم والجديد
 وجاء نابليون بلجيكا في ١٤ يونيو ، واجتمع بالمارشال ناي ،
 وسلمه قيادة جناحه الايسر العامة ، وجاء الجيش الانجليزي ،
 واحتفظ لنفسه بقيادة قلبه وجناحه الايمن ، ضد البروسيين . وكان
 مع بلوخر من الجنود ٨٣ ٤١٧ ، ومع ولنتجن ٦٠ ٠٠٠ ، ومع
 نابليون اكثر من ١٠٦ ٠٠٠

معركة كواتربراس



خريطة معركة وتراو

بدأت الحرب بمهاجمة الجيش الفرنسي الجيش الانجليزي في

كواتربراس . فتقدم المارشال ناي بسبعة عشر ألفاً و ٢٠٠٠ خيال
وتبعه كلرمن - دوك فالتي - بخمسة آلاف خيال ، فصار مجموع
الجيوش الفرنسي ٢٣٠٠٠ . ونصب ناي مدفعيته على قمة جاميانكور
المتحكمة في الميدان . وقابله السرثوماس بكتن ، وديوك برنسويك .
وهذا الثاني قتل في المعركة . ولما بدأ القتال انسحب الهولنديون
من الصفوف الانجليزية . واستمر القتال كل النهار . وكان الفوز
حليف الفرنسيين ، ولكنه في المساء تحول الى جانب الانجليز .
وانسحب الفرنسيون امامهم الى فرازن . فهاجم ولنجتن ليلاً
هضبة جاميانكور ، وانزعها من ايدي الفرنسيين ، على امل اتخاذ
خطة الهجوم غداً

معركة ليني

كان مع بلوخر ٨٣ ٤١٧ جندياً و ٢٢٤ مدفعاً ، عدا فيلق
المارشال بولو ، القادم على الطريق وفيه ٢٥٠٠٠ . فشبت الحرب
بين بلوخر وبين نابوليون . ولست أريد ان أطيل في شرحها ، لأنها
ثأوية وتمهيدية للمعركة الفاصلة . والذي أقوله هنا ان البروسيين
انسحبوا بنظام ، والتقوا بفيلق المارشال بولو ، فزادت قوتهم كثيراً
عما خسروا في معركة ليني . وحسبهم نابوليون مكسورين ومنهزمين
بدون نظام فتحول منهم لمهاجمة ولنجتن ، كما كان قد رسم . وهنا
تحول مجرى الحرب ، وبدلاً من ان يكون ولنجتن نجدة لبلوخر صار
هذا نجدة لذاك

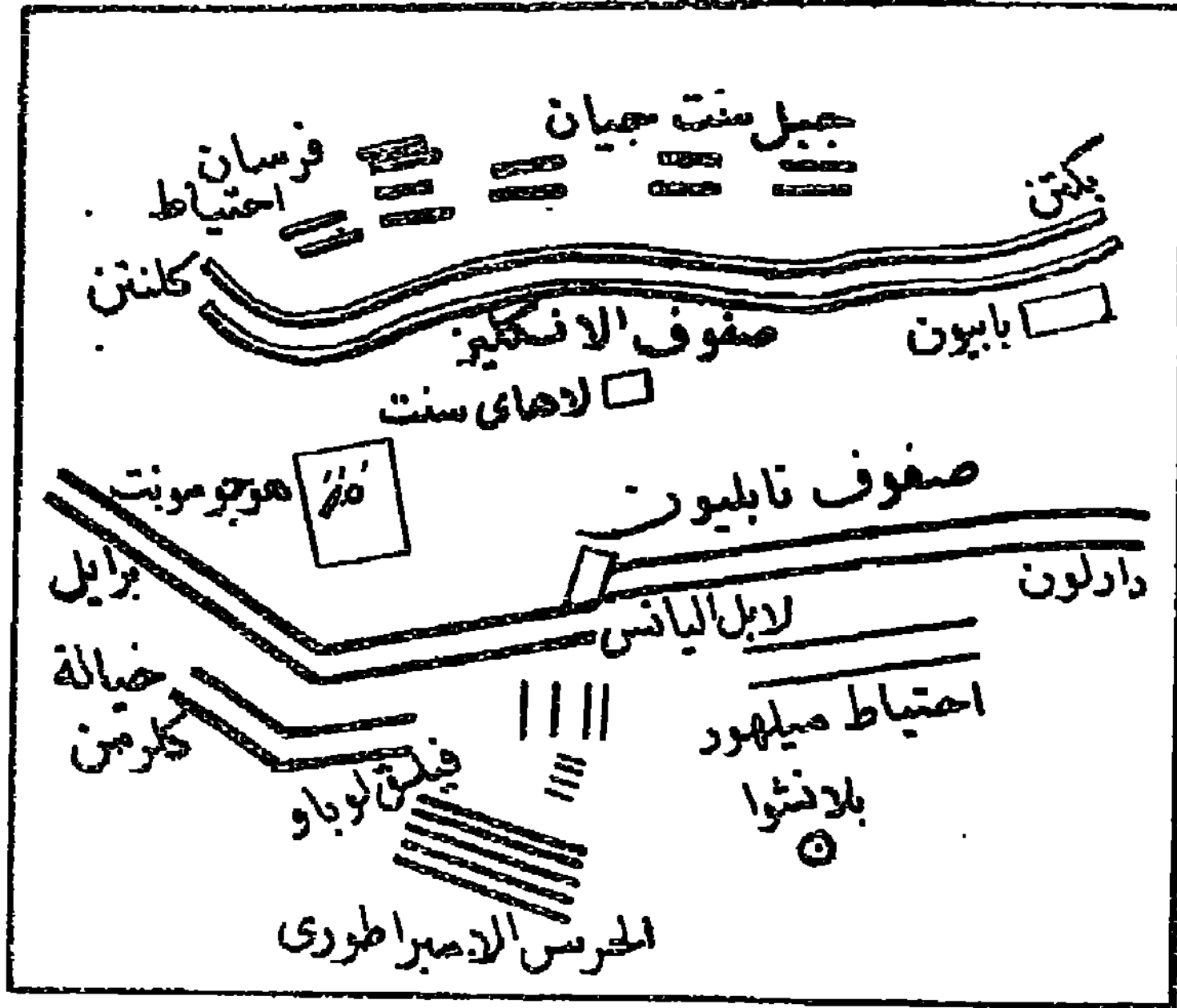
وكان بلوخر قد حل « قوار » فلما عرف ولنجتن ان بلوخر
تأخر الى قوار ، انسحب هو من ميدان كواتربراس الى سان

جوان قرب « وترلو » . وأرسل بلوخر يخبر أنه يحتاج الى ٢٥ ٠٠٠ فقط فيحارب نابوليون غير هياب . وبناءً على اعتقاد نابليون ان جيش بلوخر ضعف أرسل عليه كروشي ومعه ٣٢ ٠٠٠ ، وساق بقية جيشه على ولنجتن لسحقه . ولكن بلوخر ترك فيلقاً معزلاً بقيادة ثلمن ، أمام كروشي ، وجاء بقية الجيش لتجدة ولنجتن في وترلو . وتوقفت نتيجة الحرب على ادراك بلوخر ولنجتن قبل انكساره أمام نابوليون . وكان المأمول ان يصل الساعة ٣ . ب.ظ . ولكن بسبب رداءة الطرق الناشئة عن أمطار البارحة تأخر وصوله الى الساعة ١ ٥

فكان مصير أوربا معلقاً على ثبات ولنجتن أمام هجمات نابوليون هاتين الساعتين والنصف . واولا همة بلوخر العالية ونظرة الثاقب ، لما وصل ذلك اليوم ، ولكن الحلفاء خسروا المعركة
أوصاف ميدان وترلو

موقع الميدان جنوبي بروكسل عاصمة بلجيكا . وهو عبارة عن واحة بين سلسلي هضاب طوله نحو ثلاثة أميال ، وعرضه مختلف بين ضيق وعريض ، باختلاف المواقع . فخل الانجيز سلسلة الهضاب الشمالية ، والفرنسيون السلسلة الجنوبية ، والوادي يفصل بينهما ومركز المدفعية على قم الجانبين متحركة في الوادي تحتها . وكان في جانب الانجيز قريتان هما « سنت جان » و « لايل » تمر بهما الطريق من شارلروي الى بروكسل . والى يمينهم واد وقرية « مارك براين » والى يسارهم قريتا « بيلوت وسنت هياي » ووراءهم غابة « سوانيه » وأمامهم في المنحدرات والسفوح ، موقعان جديران

بالذكر . الاول أمام جناحهم الايمن وهو مزرعة « هوجومونت »
 فيها بعض الابنية وغابة اشجار . والثاني أمام قلبهم ، وهو مزرعة



ميدان معركة ووترلو

« لاهاي سنت » وقد عزز ولنجتن هذين الموقعين بالمدافع والرجال .
 واذا فرضنا ان الفرنسيين احتلوهما كانوا تحت رحمة مدافع الانجليز
 الموضوعة فوقهما على التلال : أما الفرنسيون فكان في مؤخرتهم قرية
 بلانشوا

فضع كل ذلك في فكرك لفهم حركات المعركة
 قوات الجانبين

كان مع دوك ولنجتن ٤٩ ٩٠٨ من المشاة و ١٢ ٤٠٢ من

الفرسان ، و ٦٤٥ ٥ من رجال المدفعية ، والمجموع ٦٧ ٦٥٥ ، معهم ١٥٦ مدفعاً . من هذا المجموع ٢٤ ٠٠٠ فقط من الانجليز . وكان مع نابليون ٤٨ ٩٥٠ من المشاة ، و ١٥ ٧٦٥ من الفرسان و ٧٢٣٢ من رجال المدفعية ، فالمجموع ٧١ ٩٤٧ معهم ٢٢٤ مدفعاً . وكلهم فرنسيون . عدا هؤلاء كان مع كروشي ٣٢ ٠٠٠ ، ضد البروسيين بقيادة « ثامن » في فوار

ورتب دوك ولنجتن جيوشه في صفين ، صف وراء صف . يمتد الصف الاول على قم سلسلة الهضاب ، الممتدة من الشرق الى الغرب ، والثاني وراءه . ووراء الصفين كتائب فرسان احتياطية . وكان جناحه الايمن بقيادة الجنرال كلنتن ، والقلب بقيادة السركوك ، وفيه الحرس الملكي . والجناح الايسر بقيادة السركوك بكتن . ومع الفرسان جيش برنسويك الاحتياطي . وكان في معية ولنجتن البارون موفلنغ البروسي ، واللورد اركز برج قائد الفرسان العام ، واللورد هل ، وبرنس أورانج ، والجنرال شاسيه .

ورتب الامبراطور نابليون جنوده ، في صفين - ففي الصف الامامي فيلقا دارلون وبراييل ، الاول في الجناح الايمن تجاه توماس بكتن ، والثاني في الجناح الايسر تجاه كلنتن . ووراء الجناح الايمن ميلهود ، ووراء الثاني كلرمن . وبينهما الفيلق السادس بقيادة الجنرال لوباو . ووراء الحطين الجنود الاحتياطية ، وفيها الحرس الامبراطوري ، وهو أقسام يطول بي شرحها . وكان في معية الامبراطور الجنرال سومير ، والمارشال ناي ، بصفة ملازمين

وكان الجيشان متأهين للقتال منذ الصباح ، ينتظرون الاشارة .

ولكنها تأخرت بسبب الوحول الناشئة عن امطار البارحة ، كما سبقت الاشارة . وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين بدأت المعركة التي عليها يتوقف مصير أوروبا

بدأ نابليون القتال بارسال صف قوي للهجوم على « هوجومونت » بقيادة اخيه جيروم . وكان الفرنسيون يوالون الهجوم صفاً بعد صف ، وفي كل مرة كان الانجليز يردونهم بالفشل . ظل القتال على هذه المزرعة كل النهار دون نتيجة . ومدافع الجانبين تطلق عليها بالتناوب ، فحين يهجم الفرنسيون تمطرهم المدفعية الانجليزية نيرانها ، وحين يطاردهم الانجليز تمطرهم المدفعية الفرنسية النار تمهيداً لهجوم ثان . فتصور خسارة الهاجمين كل النهار

ولما بدأ القتال عمّ إطلاق المدافع خط القتال على طوله . وفي الساعة الواحدة بعد الظهر أرسل الامبراطور قوة كبيرة بقيادة المارشال ناي ، معها ٧٤ مدفعاً ، لمهاجمة قلب الجيش الانجليزي وميسرته . وكان في هذه القوة أربعة صفوف فيها ١٨٠٠٠ من المشاة ، عدا الخيالة . وكان غرض نابليون قطع صلات ولنجتين يلوخر ، والخيولة دون انسحاب الانجليز الى بروكسل . وانتق نابليون لهذا الهجوم زهرة جيوشه . فأنحدروا عن هضابهم بنظام وأبهة ، واثقين بالفوز ، تحميمهم المدافع المنصوبة على القمم وراءهم . وحالما أنحدروا عن القمم فتحت المدافع الاربعة والسبعون أفواهاها ، وصبت نيرانها على الارض أمامهم ، لتمنع تعرض الانجليز لهم . فذهب الصف الواحد الى ميسرة الانجليز ، والثلاثة الاخرى الى القلب ، وما يلاحقه من الميسرة . وحينما دنت الصفوف

الفرنسية انسحبت الجنود الهولندية والبابجية أمامها . فسد
مسدّها ، حالاً ، فيلق بكتن الإنجليزي ، فلم ينشأ عن ذلك أمر
ذو شأن . ولكي يتمكن الجنرال بكتن من صد هجوم المارشال
ناي رتب جنوده في صفين ضيقين وطويلين جداً ، وساقهم في
كرة على الهاجين ، فصاح الإنجليز « هوراه » وانقضوا على
الفرنسيين كالنور ، والجنرال بكتن في مقدمتهم ، فاصابه طلق
أرداه قتيلاً . وساعدت فرسان الجنرال بونسوني مشاة الجنرال
بكتن ، فردوا الفرنسيين مشوشين ، واسروا منهم الفين ، وغنموا
علمين . وظلت فرسان بونسوني تطاردهم ، حتى وصلت المدفعية ،
فقطلوها وقتلوا رجالها . وأصاب الصف الذي هاجم ميسرة الإنجليز
ما أصاب الصفوف الثلاثة التي هاجمت القلب . وهذا أول فشل
أصاب نابليون في هذه المعركة . فضعف جناحه الأيمن وحبطت
خطته . وفي نفس الوقت ما زالت « هوجومونت » ترد هجمات
الفرنسيين المتوالية . فرأى نابليون ، بأسف شديد ، نخبة رجاله
تساقط أمامه ، سقوط أوراق الخريف . وقد رآه ان ظهرت في
الافق الشرقي طلائع بلوخر ، ولكنه اراد ان يشجع رجاله ، فقال
لهم انها طلائع كروشي قادمة لتجدهم ، ولم يكن يجهل انها جنود
بلوخر . اما كروشي فكان مشتبكا في القتال امام ثامن ، على بعد
١٢ ميلا من نابليون ، وقد تمادى في مد صفه الى الشرق ، حتى
صار يتعذر عليه انجاده ، وقد فصلت بينهما جيوش بلوخر الجريئة
وهددت ميمنة نابليون

واذا كان نابليون قد عجز عن مقاومة ولتجتن وحده فهاذا يكون

حاله الآن وقد انضم اليه بلوخر باكثر من خمسين الفا ؟
قادرك نابليون ان الوقت اثنى من ان يضاع ، اذ كانت جنود
بلوخر قد ابتدأت تضغط على ميمنته . ولا يجهل القارىء ان
نابليون بو تابت اعظم من انجبت فرنسا من القوادى في كل العصور
فابرز وسيلتين للفوز على خصمه العنيد

الوسيلة الاولى : انه وجه فيلق لوبار ، المشاة ، لملاقاة بلوخر ،
وصحبهم بكوكبات من الخيالة . فتجسجوا في صد طلائع البروسيين ،
ولكنهم لما وصلت جيوشهم الدافقة نكسوا امامها . واتخذ الحلفاء
خطة حازمة ، ليس لمنع نابليون من الوصول الى بروكسل ، بل ايضاً
لقطع خط الرجعة عليه ، الى فرنسا ، وقرض جيشه كلياً ونهائياً .
ولهذا السبب بذل نابليون اقصى جهده في الدفاع عن بلانشوا في
مؤخرة جيوشه

الوسيلة الثانية : انه زاد اطلاق المدافع على جبهة ولنجتن ،
فاحل بها خسارة كبيرة ، ولكنه لم يسحقها ، ولا زحزحها عن
مواقفها قيد شبر . فجمع خياله وارسلها على قلب ولنجتن مرة ثانية
وارسل من ميسرته جنوداً جديدة على هوجومونت ولاهاي سنت

وحمي وطيس القتال

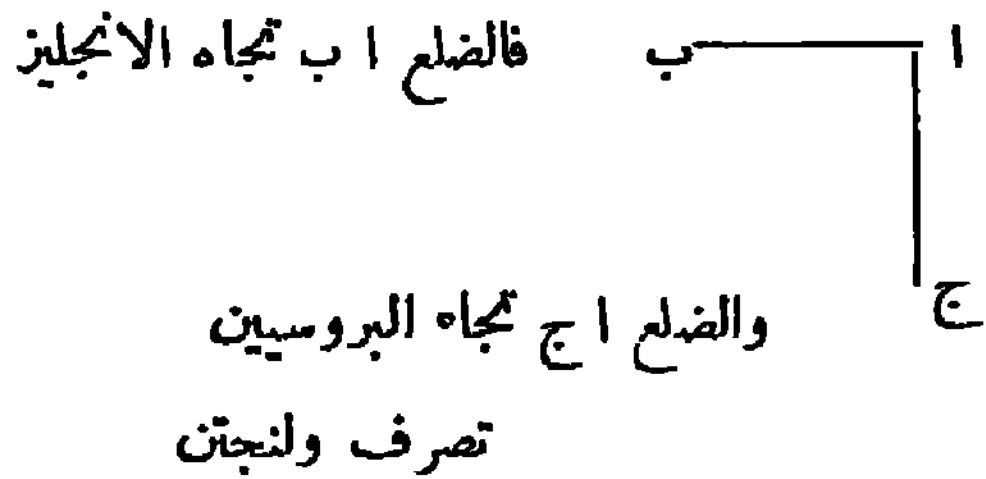
ووالى كئائب نابليون هجماتها

ورأى نابليون فرسانه تحصد حصداً بيران الانجليز

وكلت سواعد الفرنسيين أمام ميسرة الانجليز ، وعجزت عن
فصلهم عن بلوخر ، وفي ذلك مصرع نابليون . وأخيراً ، وقد دنا
بلوخر ، استبسل الفرنسيون في هجومهم على ميسرة الانجليز ، عند

طريق شارلروي . وكان في تلك النقطة الفصائل الانجليزية ٣٠ و ٣٣ و ٦٩ و ٧٣ . فأحلوا بها خسارة عظيمة ، ولكن لم ينتج عن ذلك عمل فاصل

وشدد نابليون هجماته على ميمنة ولنجتن فوق «هوجومونت» وزحزح الانجليز عن مواقعهم . فهتف الفرنسيون هتاف الظفر . ولكن ولنجتن بادر حالا ، ونظم مشاته في شكل مربعات ، فتعذر على خيالة الفرنسيين اختراقها . ثم أعادوا الكرة ، فصعدوا أيضاً . وكما نكصوا مرة تلقفتهم مدافع الانجليز . فأفت هذه الهجمات الحائبة فرسان نابليون . ولكن جناحه الايمن أحرز بعض الفوز ، أمام ميسرة ولنجتن ، فانزعوا «لاهانت سنت» من الانجليز . ولكن جيش بلوخر وصل بأجمعه ، وأدرك حقيقة الموقف ، وفي الحال نظم جبهة ممتدة من الشمال الى الجنوب ، شرقي ميمنة نابليون . فصار جيش الامبراطور في شكل زاوية قائمة هكذا :



لما اشتد الضغط على ولنجتن ، قيل وصول بلوخر ، أخذ يشدد سواعد رجاله . وكان يتقل من مكان الى مكان ، ويلقي على مسامع الرجال عبارات حماسية . ولا يجهل القارىء ما مثل هذه العبارات من فم القائد العام من التأثير في نفوس الجنود ، في مثل هذا الموقف

فكان يقول لهم : « يا رجالي اليوم يومكم . ماذا يقولون عنا في
« انجلترا » ؟ وكان حين ترنحي أيديهم يتقدم بنفسه للعمل . مثلاً :



ولنجتن

طلب قائد أحد الفيالق منه مدداً ،
أو يأذن له بالانسحاب . فرد عليه
أن ليس هنالك مدد ، وأنه يجب
أن يحفظ موقفه حتى يفنى آخر
رجل في فيلقه . وسأله أركان
حربه ما هي خطته ، حتى اذا
أصابه سوء جروا عليها ، فأجابهم :
« الحطة هي الثبات الى أن تفوز ،
أو يهلك آخر رجل في جيشنا »

يمثل هذه العزيمة قهر ولنجتن نابليون ، وفاز الانجليز في تاريخهم

تصرف نابليون

اذا قلنا ان نابليون من أعظم القواد في الدنيا ، في كل
العصور ، أظهر السامعون استخفافاً بهذا القول . لا لأنه غير صحيح
بل لأنه تحصيل حاصل . اذ ليس من بجهل قدر نابليون ، حتى
ولا الجهلاء . فيهمنا أن ندرس حركاته في مواقف يأسه . وأرجو
القارئ ان ينتبه الى ما في هذه الاسطر من مجالي نفسية الامبراطور
نابليون . كان مركزه على قمة « لايل اليانس » وراء قلب صفوفه .
وكان أمامه خوان (طاولة) عليه الخرائط والرسوم الحربية

ويده مرقب (تلسكوب) يرقب به حركات الجنود ، وسير القتال .
والى يساره الجنرال « سولت » يتلقى أوامره فيرسلها سراعاً الى



نابليون

عمل الايجاب ، بأيدي كبار
الضباط ، الواقفين وراءه على
الاقدام ، استعداداً للعمل .
ووراء الامبراطور أركان
حربه على خيولهم ، في أتم
استعداد للموت أو للحياة .
أقام الامبراطور على ذلك كل
النهار ، لا طعام ولا شراب .
رابط الجأش ، تام السكينة
والهدوء ، منخفض الصوت ،

مترصناً ، شأن كبار القواد . كالطود الراسخ لا يزغزه عصف الرياح
ولما فشل هجوم ناي ، الاخير ، واتصلت ميسرة ولنجتن بيمينته ،
وحمي وطيس القتال ، فهم قائد الدنيا ، انه وارد مورد الهلاك .
قنض عن كرسيه ، وامتنى صهوة جواده ، ورام الانسحاب ،
فتعذر عليه ، لأن العدو على الاعتاب . فلم تبق لديه وسيلة الا المناداة
بحرسه الخاص

فرتب اولئك الفدائيين الاعزاء في صفين ، وسلم قيادتهم
للمارشال ناي الخير ، ورافقهم الامبراطور ، على حصانه ، مسافة
وهو صامت . ولما وصل النقطة التي يفارقهم عندها الفراق الابدي ،
رفع يده ، ومد سياجته نحو الانجائز ، دون كلام ما . ففهم حرسه انه

معي : هذا هو طريق نجاتكم الوحيد : وهو طريق النجاة من العار
بتضحية الحياة . فصاح الحرس بصوت واحد « ثيف لامبراير »
ليحي الامبراطور . وانحدروا الى وادي ظل الموت . ووجهتهم
يمين قلب الحية الانجليزية . وفي نفس الوقت جهز القائد « دانزلوت »
الذي كان قد حل لاهاي سنت ، هجوماً آخر على ميسرة قلب
الانجليز . فكان قلب الانجليز مهاجماً من الجانبين ، بالحرس
وبدانزلوت . فغتم الفرنسيون مدافع الانجليزية ، وجهوها الى الانجليز
فضاقت الجنود الانجليزية ذرعاً . وعجز برنس اورانج عن انجادهما .
وارتدت بعض فصائل كان ولنجتن قد أرسلها نجدة . فاضطر الدوك
أن يتقدم بنفسه لقيادتها

هنا بلغت المعركة اوج عظمتها واشتدادها
نابليون أمام عدد يفوقه عدداً مرتين
والى الآن لم يلتو ضلعه

نقطة التحول

ولما تمكن ولنجتن من صد هجمات دانزلوت الهملقارية ، أسرع
لانقاذ ميمته من الحرس الامبراطوري الشديد البأس ، وهو في
منتهى درجات الاستبسال . هنا بلغت همة ولنجتن أشد جهودها ،
وأهم أدوارها . فاصيب تحته حصانان ، فترجل ، وسار في مقدمة
الحرس ، شاهراً سيفه . ووصل الربوة التي عليها جنود « ميتلاند » .
فجرى لهم ما يأتي :

وصل المارشال ناي الى قمة الربوة ، فلم ير أحداً من الجنود
الانجليزية . فتحير لحظة . ثم رأى بعض الحرس الانجليزي عن بعد .

فتقدم نحوهم . على انه لم يتقدم ثلاثين ياردة . حتى انحنى رجل الى الارض وصاح صيحة رددت اصداءها الحجاره الصماء : هيا بنا يا رجال الحرس هيا : فتحول كل حجر في الارض جنوداً وقامت الوف الجنود على الاقدام في وجه الحرس الامبراطوري فمن كان ذلك الرجل ؟ وما السر في الامر ؟

ذلك الرجل هو دوق ولنجتن نفسه . وقد مدد جنود ميتلاند على الارض . لاتقاء نيران المدافع الفرنسية . التي صبت نيرانها أمام الحرس الهاجم . فلما وصل الحرس الى القمة التي عليها جنود ميتلاند وكفت المدافع الفرنسية عن اطلاق النار . وحين وقت الاشتباك . صاح ولنجتن بالحرس الانجليزي . قهضوا عن الارض نهضة الرجل الواحد ولا تسلم عما جرى بين الحرسين . ذلك آخر سهم في كنانة نابليون ، وكان يرقبهم عن كثب . فرآهم ناكسين تحت نيران الانجليز . وكان لا يزال عنده بعض الفصائل ، فأضافها اليهم ، وأمرهم باعادة الكرة على الانجليز

هنا برز دوق ولنجتن بمظهره الحقيقي ، ذلك المظهر الذي أهله لمنزلة أعظم قائد في تاريخ انجلترا . فلم ينتظر وصول الفرنسيين بل لاقاهم برجاله ، وسار للقاء الاسود القشاعم بالاسود القشاعم . وكان الرصاص يدمدم فوق رأسه عن الجانبين . فلم يعبأ بنفسه . فتوسل إليه أركان حربه أن يربأ بنفسه ان ترد موارد الهلكة . فصاح بهم : « لا ضرورة لحياتي بعد ، فقد ربحت المعركة »

فحل الاضطراب في الفرنسيين . وكان بلوخر قد شدد الضغط

على جناحهم الايمن ، ولم يبق عندهم خيالة تقف في وجهه فتزحزح
الحرس الامبراطوري عن بلانشوا . وصار نابليون مهدداً بقطع
خط الرجوع

ختم الاهوال

لقد فهم نابليون ، وفهم ولنجتن ، حقائق هي دون مدارك الاكثية
التي تحت قيادتها . حقائق كبرى ، عسكرية وسياسية . وبدأت نقطة
الانحدار ، في حياة نابليون . نخطا آخر الخطى في حياة بسالته ،
ومزاياه الحربية ، ومثل نابليون من يحسنها . والمثل قليل على كل
حال . فجمع بقية حرسه ونظمهم مربعات ، وسار بهم وهو في وسط
أحد تلك المربعات ، يحيط به المارشال سولت والجزالات برتران ،
ودرو ، وكورينيو ، ودي فلاهون ، وجورغود . وصاح نابليون بهم :
لقد طاب الموت : فتقدم اليه المارشال سولت ، وقبض على زمام
حصانه قائلاً : مولاي الامبراطور ، هل حظ الاعداء ناقص فتريد
ان تكمله ؟ : وبعد جهد جهيد تمكن الجزالات من رد نابليون عن
عزمه . فعندئذ ألوى عنان جواده ، وبرح الميدان ، لآخر مرة في
الحياة ، وهو يقول : خسرنا كل شيء الا الشرف

وظل ولنجتن يطارد الفرنسيين ، في ضوء القمر حتى رأى
البروسيين أيضاً يطاردونهم . فعلم عندئذ أن فوزه كان تاماً . فقفل
راجعاً . والتقى بيلوخر عند « لابل اليانس » ، مركز نابليون ،
فتصافح القائدان ، وتبادلا التهاني لفوزهما بأعظم قواد الدنيا ، في
أعظم فواصل المعارك - الى ذلك الحين - وقررا مواصلة الطراد ،

وان يقوم البروسيون بذلك لأن الانجليز أعياءهم التعب في ذلك النهار، وقد أتعوا قسطنطين ، فجرى البروسيون في أثر الفرنسيين كل الليل . وقد مر بك أنهم جاءوا ذلك النهار من قوار الى وترلو والطرق موحلة ثقيلة ، وحاربوا منذ وصولهم ، واستأثفوا السرى وراء الفرنسيين . وكانوا قد انسحبوا في اليوم السابق من ليني الى قوار . فلم يكن الثمن الذي دفعه البروسيون عن ذلك الفوز بخساً . وكانت الطريق ملاءى بالغنائم . والشاردين . وافلتت قبضة نابليون بعد جهود ربع قرن . قال لامارتين : ان معركة وترلو لم تترك شيئاً غير مفصول

كان مشهد الميدان في وترلو ، بعد المعركة ، وقد امتلأ بجثث القتلى ، وتصاعد منه أنين الجرحى ، مما يفتت الاكباد ، وكتب ولنجنين يقول : قلبي حزين ومكسور على رفاق الضبا ، والجنود المساكين ، ولا يفوقني حزناً الا الذين خسروا المعركة » وعاد نابليون الى باريس في ٢٢ اكتوبر . وتنازل عن العرش . ورأى الوجوه كالحة سوداء ، مما أحل بفرنسا من الخسران . فانسحب من باريس في ٢٩ اكتوبر ، ناوياً السفر الى اميركا . ولكن الحلفاء كانوا يراقبون موانئ البلاد أشد مراقبة . فلم يجد نابليون بداً من تسليم نفسه للحلفاء . فلم نفسه للانجليز الذين كان أهم أغراضه سحقهم . وبلغ جيوش الحلفاء باريس ، وكان بلوخر البروسي يرمي الى مهاجمتها ، فلم يوافق ولنجنين في ذلك ، فدخلها الحلفاء ثانية ، ولكن دخولا سلمياً بدون هجوم . وارسل الانجليز نابليون الى سنت هيلانة . وارخي الستار على مسرح نابليون

موايد تالية

سنة ١٨١٥ : إرجاع لويس الثامن عشر الى عرشه
سنة ١٨١٧ : اعتراف الباب العالي باستقلال السرب الاداري
سنة ١٨٢١ : بدء الثورة اليونانية
سنة ١٨٢٢ : ذبح الترك ٣٠.٠٠٠ من أهالي جزيرة خيوس
(صاقس)

سنة ١٨٢٣ : انكسار عمر البربوني أمام ميسلونجي في المورا
سنة ١٨٢٤ : مات لويس الثامن عشر ، وخلفه شارل العاشر
سنة ١٨٢٤ : ابراهيم باشا المصري في كريت واليونان سنة ١٨٢٥

السادسة عشرة والحادية عشرة

سحق البحرية العثمانية

تدفقت عشائر الطورانيين ، من أواسط آسيا ، على الغرب ، في خمس حملات :

الاولى : الهونية بقيادة اتلا . وقد مر ذكرها في الكلام عن معركة شالون

الثانية : المجرية سكان هنجاريا ، وهم أرقى العائلات الطورانية
الثالثة : الاتراك السلجوقيون ، وهم السبب في الحملات الصليبية ،
بما أحلوه بحجاج بيت المقدس من ضروب الإهانة والتعدي

الرابعة : المنغولية ، بقيادة جنكيزخان ، وهلاكو وتيمورانك
الخامسة : العثمانية ، وهي أرسخ العائلات الطورانية قدماً ،
وأوسعها حكماً ، وأكثرها علاقات بأوربا . وفيها الكلام في هذه
المقالة

عاش عثمان ، جد العائلة العثمانية ، في الأناضول سنة ١٢٨٨ -
١٣٢٦ وهو زعيم عشيرة ، هي جرثومة امارة ، فمملكة ،
قامبراطورية عظيمة . وقد حازت من الاجداد ما لم تحزه امبراطورية
اسلامية ، بالباسها ملوكها حلة الخلافة النبوية . فصارت زعيمة
تألاسلام في الدنيا . وامتدت اليها اعناق مئات الملايين في مشارق

الارض ومغاربها . وارتفع الدعاء للخليفة - العثماني - من كل
المساجد ، في كل الارض ، وقت صلاة الجمعة . وأحاط بالعرش العثماني
من الابهة والجلال والمجد ما غدا مثلاً . دخلت الدولة العثمانية اوربا ،
ورفعت أعلامها فوق ممالك البلقان ، قبل أن تطوى راية الاسلام في
الاندلس . فكانها أحيت مجاده ، واعلت مناره . وسقطت
قسطنطينية ، عاصمة اليونان ، بيدها . ودخلها محمد الثاني الفاتح
ظافراً سنة ١٤٥٣ . ونحسب تلك الحادثة بدء التاريخ الحديث .
ويقال ان سكان القسطنطينية كانوا يوم فتحها مائة ألف نفس ، ذبح
منها الاثراك ٤٠ ألفاً ، وباعوا ٥٠ ألفاً عبيداً . فراع ذلك العمل
ممالك اوربا ، وزاد ارتياحها لما نمت الاساطيل العثمانية ، وهددت
قنيسيا وجنوا وسيبيليا . واحتلت قبرص ، وطردت الهيكليين منها

الاتحاد المقدس

كان القرن السادس عشر قرن الغرائب في أوربا ، وفي تاريخ
المسيحية والتحدن . ومن غرائب انتشار فن الطباعة ، وكشف العالم
الجديد ، والاصلاح الديني ، ومذبحة ماربرتلماوس ، وكسر الاسطول
الاسباني ، والصدام الهائل بين الكاثوليكية واعدائها . فقد برز لها
في الغرب عدو شديد الساعد ، صعب المراس « هولوتر » ومذهب
البروتستانت ، الذي انشأه . فتنزع من كنيسة البابا أفضل ممالكها
في أوربا ، وأرقى مستعمراتها ، في اميركا . وهي أسوج ونروج
ودانمارك وهولاندا وانجلترا وبروسيا وسكسونيا وبوهيميا والولايات
المتحدة الاميركية . وهددها بانتزاع البقية الباقية . فكانت آلام
البابوية وجهودها ، في ميدان الاصلاح مما لا يقوت متصفح التاريخ .

وهاهو ذا عدو آخر في الشرق ، هو أيضاً صعب المراس ، وهو
الامبراطورية العثمانية ، التي هددت ملكوت البابا بالانقراض
فهب البابا وأعوانه لتدارك هذا الخطب ، بكل الوسائل الروحية
والمادية . فأمر قداسه بقرع الاجراس والنواقيس ، كل يوم ظهراً ،
واجتماع الاتقياء في الكنائس ، والتضرع اليه تعالى أن ينقذ أوروبا
من الاتراك . وانبث دعاة في ممالك أوروبا وأماراتها ، يثيرون
النهضة والحماسة ، في قلوب الناس ضد العدو الخيف

وكانت نتيجة هذه المساعي عقد محالفة ثلاثية ، بين فينيسيا
وأسبانيا والبابا سنة ١٥٧١

وكانت فينيسيا يومئذ دولة عظيمة ، ذات حول وطول . وكان
الأتراك يدعونها « البندقية » وقد احتكوا بها ، بفتحهم دلماسيا
واليونان . وكان لفينيسيا قبرص وكورفو وكريت . فراع فينيسيا
موقف الأتراك البحري . كما راع أسبانيا التي كانت تملك جنوبي
إيطاليا . فرغبت شعوب البلدان الكاثوليكية في تلك المحالفة ، وتطوع
الاشراف والامراء من كل أصقاع أوروبا ، لاقضاء الطورانيين ، وانقاذ
الملكوت

قال أحد المؤرخين : انه لم تكن أسيرة من اشراف أوروبا ونبلاتها
لم يكن لها من يمثلها في تلك الحملة

الاساطيل

أرسل فيليب الثاني ، ملك أسبانيا ، اسطولاً فيه ٢٢ بارجة
و ٨٠٠٠ جندي وبحار ، بقيادة الاميرال جان اوستريا . وأرسلت
جنوا أسطولاً بقيادة الاميرال جياتندريا دوريا ، وسيسليا ونابلي

أسطولاً أميراله المركز سنت كروز ، والبابا أسطولاً أميراله أنطونيو
كولونا ، وفينيسيا أكبر أسطول أميراله بروفيدنور بربريجو . وجموع
بوارج هذه الأساطيل ٢٠٠ وعينوا الدون جان أوستريا أميرالاً عاماً
لها . وخرت مائة بمضيق إيثاكا وسينالونيا ، ورأس ماراثيا . والتقت
بالأسطول العثماني في مياه لينتو ، وعدد بوارجه ٢٣٤ ، بقيادة
الأميرال علي باشا

ترتيب الأساطيل

لينتو بلدة موقعها في الشط الشمالي من بر اليونان المحاذي خليج
كورثوس . قاصطفت البوارج العثمانية صفاً واحداً طويلاً ، من
الشمال إلى الجنوب ، تلامس ميمتها مرفأً لينتو ، وميسرتها في عرض
البحر . وقد قسمها الأميرال علي باشا إلى جناحين وقلب . فكان هو
في القلب ، وسيروكو في الجناح الأيمن ، وعلوش باشا في الجناح
الأيسر . واصطفت بوارج الحلفاء تجاهها ، وهذا هو ترتيبها : جناحها
الأيمن تجاه علوش باشا ، بقيادة الأميرال جياتدرا دوريا . والأيسر
بقيادة بربريجو . والقلب بقيادة الأميرال العام ، جان أوستريا .
وترك أسطولاً احتياطياً بقيادة الأميرال سنت كروز

لقد كانت البوارج العثمانية أوفر عدداً ، لكنها أضعف قوة ،
وأقل مدافع . فلما شبت المعركة أحاطت بوارج سيروكو العثماني
بالجناح الأيسر ، بقيادة بربريجو . ولكن لم ينشأ عن ذلك أمر ذو
شأن . ولم يفد الأتراك تغلغلهم بين بوارج الحلفاء . وانجبت المعركة
عن تحطيم قسم عظيم من الأسطول العثماني . وكانت خسارة الأتراك
٢٠٠٠ جندي ، وخسارة الحلفاء ٨٠٠٠

لم تكن هذه المعركة بالقاضية على البحرية العثمانية ، ولكنها جرحتها جرحاً عميقاً ، بلغ منها المظم وخدشه . وقد ذكرتها توطئة للمعركة القاضية وهي معركة « نافارينو » سنة ١٨٢٧

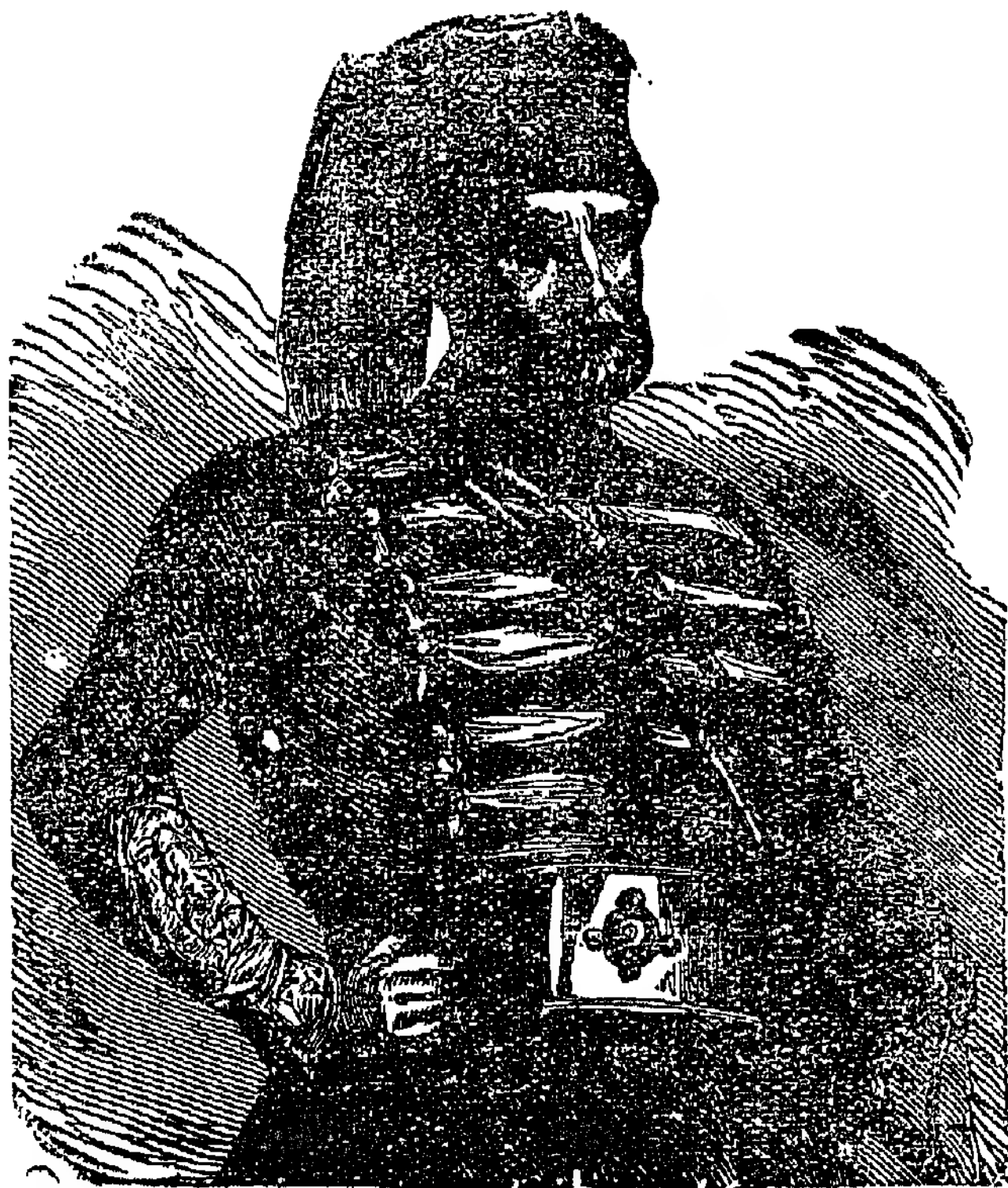
الثورة اليونانية

بلغت الدولة العثمانية أبعد امتدادها ، في القرن السابع عشر . وقرعت جيوشها أبواب فينا سنة ١٦٨٣ . وكادت تفتتحها ، لولا انجاد ملك بولاندا اياها . وخفقت أعلام الخليفة العثماني على شمالي افريقية ، من العريش الى بوغاز جبل طارق . وفوق غربي آسيا ، من خليج العجم الى جبال قوقاسيا . وفوق جنوب شرقي اوربا ، من دلماسيا الى بحر قزوين . ولكن هذه الامبراطورية العظيمة دب في جسمها فساد ، نخر عظمها . ومع انها ظلت صورة ماتت روحاً . فتار الانكشارية في بدء القرن التاسع عشر ، وذبخوا ضباطهم ، وخلعوا السلطان سليما ، ثم خنقوه ، وكانوا قد نصبوا مكانه ، ابن أخيه ، مصطفى الرابع . فجاء مصطفى باشا اليرقदार وخلع هذا وولى مكانه السلطان محموداً ، والد السلطان عبد المجيد . وفي بيت عبد المجيد انحلت الامبراطورية ، وانتهت الخلافة ، وانقرضت السلالة العثمانية ، بعد ما تعاقب على العرش أربعة اخوة هم : مراد وعبد الحميد ورشاد ، ووحيد الدين ، وهذا آخر السلاطين من بني عثمان

فلما ظهرت أعراض الانحلال ، في جسم الامبراطورية العثمانية ، رفعت الممالك الهاجعة رءوسها ، وهبت للبعث من لحودها . وأولها مملكة السرب ، تارت سنة ١٨١٢ بزعامة ميلوش دابرنوفتش . قتلها اليونان سنة ١٨٢١ بزعامة ايسلانتى . وكان القيصر الروسي ،

اسكندر الاول ، ضد اليونان ، جرياً على سياسة مترنيخ الشهير ، واحتفاظاً بقسطنطينية لتكون حصّة الروس من التركة العثمانية . ولكن مذابح صاقس ، وفضائح الاتراك ، ومقتل البطريك غريغوريوس اليوناني ، في قسطنطينية ، صباح عيد الفصح ، أثارت اوروبا على الاتراك . فاعترفت انجلترا سنة ١٨٢٣ باستقلال اليونان ، فلم يسع روسيا الا أن تحذو حذوها ، حفظاً لتفوذها في البلقان ، وانضمت اليها فرنسا . فعقدت هذه الدول الثلاث مؤتمراً ، في لندن . سنة ١٨٢٦ قررت فيه استقلال اليونان الاداري ، وأرسلت مذكرة بذلك للباب العالي ، بيد انجلترا . فرفضها السلطان محمد باشميراز ، وانكر على دول اوروبا التعرض للسلطنة العثمانية . فارسلت هذه الدول أساطيلها الى الشرق لانقاذ قرارها ، وانتقاذ اليونان من المذابح والفضائح ، التي هزت اوروبا بأسرها . فوردت أوامر نظارة البحرية الانجليزية ، لاميرال اسطولها في البحر المتوسط ، كاردنجتن وكان يومئذ في مياه أزمير ، أن يتوجه توأ الى نابوليا في اليونان ، ويتلقى الاوامر من سفير انجلترا في القسطنطينية ، وهو يومئذ اللورد سترافورد دي ركليف . فاقلع الاميرال كاردنجتن من أزمير ، ورافقه الاميرال الفرنسي « ريني » بأسطوله . ولما علم الاميرال كاردنجتن ان الاسطول المصري جاء من الاسكندرية ، وانضم الى الاسطول العثماني ، في نافارينو ، في جنوب غربي المورا ، جاء هو أيضاً الى مياه نافارينو ، وصحبه اليها الاسطولان الروسي والفرنسي

وكتب الاميرال الى ابراهيم باشا المصري ، أن يتوقف عن
خرب اليونان ، ريثما تنتهي المفاوضات بين السفراء والباب العالي ،
فوعدهم ابراهيم باشا ، وعداً شفافياً ، بأنه لن يحرك ساكناً على



ابراهيم باشا

اليونان ، حتى ترد اليه أوامر جديدة من الباب العالي . ولكنهم
رأوا أعمدة الدخان ، تصعد الى السماء من مزارع المورا وحقولها
ورأوا أن الهلاك يتهددها . فكتب الاميرال كاردنجتن ، لابراهيم باشا ،
باسم الحلفاء ، أن يوقف أفعال التدمير في المورا . فورد له جواب

من أركان حرب إبراهيم باشا : ان الباشا غاب منذ يومين ولا يعرفون
له مقراً : فالحال دخلت أساطيل الحلفاء مياه نافارينو وحلت بين
البوارج التركية والمصرية . ورأى ربان البارجة دورتسموث
الانجليزية حراقة عثمانية راسية في مهب ريحه ، فأرسل كتاباً ، بيد
الضابط ج . و . هـ . فنزوي ، يطلب من ربان الحراقة الانسحاب
من هناك . فأطلقت الحراقة قذائفها ، على القارب الانجليزي ،
فقتلت حامل الكتاب وبعض البحارة الذين معه فأطلقت دورتسموث
مدافعها على الحراقة ، والحال بدأ القتال . وكان عدد البوارج
التركية والعثمانية ٨٠ بارجة . وعدد بوارج الحلفاء أقل ، ولكنها
أقوى . فلم تشرق شمس ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٢٧ إلا والاساطيل
العثمانية في خبر كان . وكان ذلك ختام البحرية العثمانية . قال صاحب
الانسكلوبديا البريطانية « ونحسب معركة نافارينو من معارك الدنيا
الفاصلة ، بالنظر الى علاقاتها التاريخية » فقضت نفي البحرية العثمانية
القضاء المبرم ، وأتمت العمل الذي بدأت المحالفة المقدسة سنة ١٥٧١
والنتيجة معلومة عند أبناء هذا الزمان . لان من خسر البحر خسر الحياة

حوادث مالية

سنة ١٨٢٧ : دخلت الجنود الفرنسية بر اليونان وأقضت قرار
لندن . فارغم الباب العالي على الاعتراف باستقلال اليونان
سنة ١٨٢٨ : حرب الروس والترك . واستقلال رومانيا
سنة ١٨٣٠ : ثورة فرنسا ، وخلع شارل العاشر ، وتصيب

لويس فيليب

سنة ١٨٣١ : الحملة المصرية على سورية بقيادة ابراهيم باشا المصري
» ١٨٣٤ : امتلاك فرنسا الجزائر ، ثم نفي الامير عبد القادر

باشا الى الشام

سنة ١٨٤٠ : اخراج انجلترا وروسيا ابراهيم باشا عنوة من بر
الشام ومن كل تركيا

سنة ١٨٤٢ : حرب الافيون ، وفتح خمس موانئ في الصين
للتجارة الاجنبية . امتلاك انجلترا هونغ كونغ في الصين

سنة ١٨٤٨ : ثورة فرنسا الثالثة ، وسقوط لويس فيليب وتأسيس
الجمهورية الفرنسية الثانية

١٨٥٣ : تحويل نابليون الثالث الجمهورية الى امبراطورية كما
فعل عمه قبلا

١٨٥٤ : معاهدة بوكوهاما ، وفتح اليابان موانئها للتجارة
الاجنبية . حرب القرم بين روسيا وتركيا . والى جانب هذه انجلترا
وفرنسا وإيطاليا

سنة ١٨٥٦ : عهدة فينا ، وبها غلت يد روسيا عن الفتك بتركيا
سنة ١٨٥٧ : الثورة الهندية ، واتحاد انجلترا اياها بالسيف

سنة ١٨٦٠ : مذابح سورية ، واستقلال لبنان الاداري
سنة ١٨٦٤ : محاربة بروسيا دانمارك وانتزاعها شلسويج
وهولشتين

سنة ١٨٦٦ : محاربة بروسيا اوستريا ، والفوز عليها ، وزعامتها
في الاتحاد الالمانى

سنة ١٨٧٠ : الحرب بين بروسيا وفرنسا

معركة سيدانه

سنة ١٨٧٠

شبت الحرب ، بين بروسيا وفرنسا ، في ١٩ يونيو سنة ١٨٧٠
وفي الحال ظهر الفرق بين الجيشين . وطُوق جيش بازين في منز ،
بعد ما خسر معركة جرافيلوت . وانكسر المارشال مكماهون في
٦ أغسطس . وتراجع الى شالون أمام الجيش البروسي الثالث ،
واستعدت باريس للحصار . فاضطرت فرنسا الى تشكيل جيش
جديد ، سمته الجيش الثاني عشر . وهو مؤلف من الفيلق الاول
بقيادة الجنرال دو كرو ، والفيلق الخامس بقيادة دي فيلي ، والسابع
بقيادة دواي . وحل هذا الجيش في الزاس . وكان فردريك أمير
بروسيا (هو والد الامبراطور غليوم الثاني ، وقد توفي سنة ١٨٨٨)
يطارد مكماهون . وزحف الامبراطور غليوم الاول ، وقائده
العام مولتك ، على باريس بمائتي الف و ٧٠٠٠ مدفع بعد أن طوق
البروسيون بازين في منز بمائتي الف أيضاً

وجاء الامبراطور نابليون الى شالون ، في ٦ أغسطس ، وعقد
مؤمراً حريياً ، عين فيه المارشال مكماهون قائداً عاماً لجيش شالون ،
والجنرال تروكو حاكماً عسكرياً لمدينة باريس . وعليه أن يستعد

لاصلاء الالمان معركة حامية ، متى وصلوا باريس . فتوجه الجنرال
تروكو الى باريس يحمل هذه القرارات ، وعرضها على الوزارة ،



نابليون الثالث

فرفضتها لاسباب سياسية. وأمروا
مكماهون أن يذهب الى سيدان ،
لشد أزر بازين المحصور في منز .
وأمرت بليكوا أن يفت طلائع
البروسيين في فردون ، مستنداً
الى عضد مكماهون

فتوجه مكماهون شمالاً قاصداً
سيدان ، ومعه ١٣٠ ألفاً ، فيها
أربعة فيالق ، هي الفيالق المذكورة
آنفاً ، والفيالق الثاني عشر ، بقيادة
الجنرال ليرين . يصحبها فرقتان

من الحيلة بقيادة بوشمن ومورجوريت . وكان الفيالقان ١ و ٥ قد
خسرا خسارة كبيرة في معركة جرافيلوت . وخسرت الفيالق
الثلاثة أيضاً ، في انسحابها من الزاس ، بسبب الجوع والبرد والتعب
ولم ينتبه مكماهون الى وجوب تسير الحيلة الى يمين الجيش ، لتكون
ترساً له تجاه الالمان ، فسيرها الى يساره ، وبذلك ترك جيشه بدون
سياج ، من الجهة الشرقية . وهي أول غلطة ارتكبها مكماهون

ولما هم بقطع نهر الموز ، وجد ان الالمان منتشرون على ضفافه ،
فتحول الى حدود بلجيكا ، وعبر النهر في ٣٠ أغسطس . وقرر أن

فوجد الجسر سليماً ، لم يهدمه الفرنسيون بعد عبورهم النهر ، كما
تقضي بذلك قواعد الحرب ، فعبره بجيشه ، ولاحق الفرنسيين وهذه
غلطة ثالثة لمكماهون

واجتمع مكماهون بالامبراطور نابليون في سيدان ، وعرض
عليه خطته ، وهي انه يريح جنوده يوماً واحداً في سيدان ، ثم
ينسحب الى بازييه في ٢ سبتمبر . ولكن في مساء ذلك اليوم الساعة
التاسعة ليلاً ، وردت أوامر مولتك ، قائد بروسيا العام ، الى ولي
عهد بروسيا ، أن يعبر النهر ليلاً ، لئلا يشعر الفرنسيون بحركته
فينسحبوا . ولما أملى مولتك الامر على كاتبه قال له : الآن صار
الفار في المصيدة : يعني انه طوق - تقريباً - الجيش الفرنسي في
سيدان . فعبر ولي العهد النهر ليلاً ، وبذلك صار الالمان حول
سيدان من الجنوب والشرق والشمال ، وهم يهيمون بأتمام الحلقة
لتطويق الفرنسيين تطويقاً تاماً

المعركة

بدأت المعركة صباح أول سبتمبر ، بهجوم البافاريين على قرية
بازيه ، حيث كان الفيلق الفرنسي الثاني عشر بقيادة الجنرال ليرون
ثم وردت الاخبار ، ان جموعاً غفيرة من الالمان تعبر النهر عند
دونشيري ، الى الغرب . وكان على الجنرال مكماهون ان يسرع
بالانسحاب الى الغرب ، ولكنه عقد مؤتمراً حريياً قرر الاحتفاظ
بمواقع الجيش ، وذلك ضد جهود دوكر . وهي غلطة مكماهون
الرابعة

وقف امبراطور المانيا على هضبة قرب دونشيري ، تطل على
مواقع الجيوش . وكان معه الرجال الثلاثة الذين أوجدوا



بسمارك

الامبراطورية ، وهم مولتك
وبسمارك ورون ، وعدد من
مكاتبي الصحف ، والضباط
الاجانب . ورأوا فوق بازيه
أعمدة دخان ، فعلموا انها تحت
الضرب . وكانت جيوش ولي العهد
تتدفق على دونشيري ، فتقطع
النهر ، وتتضم الى المقاتلين .
وكان البرنس شارل الباقياري
قادماً بجيوش الموز ، للاحتكاك
بجبهة مكماهون الشرقية ، والى

يمينه ولي عهد سكسونيا بفرسانه ، ثم الحرس البروسي ، وفيلق
تورنجيا

والتحم البافاريون بالفرنسيين في بازيه ، فصدوهم ، ولكنهم
أعادوا الكرة ، المرة بعد المرة ، ففازوا بالموقع ، ولكن بخسارة
كبيرة . وأعاقهم جنود ليرون عن التبسط شرقاً . وكانت بطاريات
مدوكر تمضدها . فتجح الفرنسيون هنالك نجاحاً كبيراً . ولكن
إطلاق مدافع الالمان اشتد عليهم كثيراً . فصعد مكماهون الى قمم
بازيه ، ليرقب الحالة ، فأصابته شظية ، فوقع جريحاً . فارسل خبراً

الى الجزال دوكر يوليه القيادة بدله . وكان دوكر معارضاً لمكاهون في خطته ، فلما تولى أمر بالانسحاب غرباً ، آملاً أن يسير تحت قن أردنيز شمالاً . وكان على الجزال ليبرون أن يحمي ساقيه ، ضد الباقارين . وكان دوكر يؤمل ان يتمكن بهذه الوسيلة من انقاذ ستين الفاً من التطويق ، فيسير بها الى باريس ، فتتضم الى جيش الدفاع عن العاصمة . وكان عليهم أن يسرعوا بالانسحاب قبلما تسد الثغرة أمامهم . لكن حدث ان وافاه كتاب من الجزال ونكفن ، يعلن انه تعين قائداً عاماً بأمر نظارة الحرية ، ويأمره أن ينجد جناح ليبرون ، فطار صوابه ، أولاً لأن ونكفن أخذ القيادة العامة منه ، وثانياً لانه قاد الجيش في سبيل الخطأ . وعيناً حاول اقناعه بالعدول عن تلك الخطة ، فأبى الاقتناع زاعماً ان الالمان انما كانوا يقصدون انتزاع قرية بازيه من الفرنسيين . ودوكر يرى انهم يرمون الى تطويق الفرنسيين وأمرهم . فاضطر المصيب ، بحكم القانون ، أن يطيع الخطىء لانه رئيسه

فخمى وطيس القتال حول بازيه ، واستبسل الفرنسيون في استرجاع المواقع التي خسروها . وبلغوا آخر حدود الشجاعة . ولكن مدافع الالمان كانت مرتبة فوقهم صفاً وراء صف ، تمطرهم نارا حامية . فاضطروا أن ينسحبوا من بازيه وشاتو . وامتلك ولي عهد بروسيا التلال فوق فلورين ، ونصب عليها ٥٠٠ مدفع ، وصب نيرانها على الفرنسيين . فلما رأى الفرنسيون ان الالمان قد كسبوا مؤخرتهم دهشوا برهة . ثم عادوا الى رشدهم ، وثبتوا ، وصدوا هجمات الالمان بكل قوة . فتخرجت الحال ، واتسع نطاق البلاء ،

ولم تبق أمام الفرنسيين ثغرة للانسحاب الا بقعة شمالي ايلي .
عندئذ تحققت أقوال دوكر ، الذي كان يرى وجوب الانسحاب .
ولكن سبق السيف العذل ، وصار الجيش الآن يخاطر بحياته فداء
انسحاب القليلين من رجاله . وأخيراً سدت الثغرة بإطباق الالمان
عليهم ، بقيادة ولي العهد . فحاول الفرنسيون اختراق الخط ، فدفعوا
الموسار بقوة ، ولكن مدافع الالمان كانت تحصدهم حصداً

ويمكن الالمان من اسكات صفين من مدافع الفرنسيين قرب
فلورنغ ، فتقهقر مشاتهم ، اذ لم تبق مدافع تحميهم . ولكن
الفرنسيين تمكنوا ، بعد الظهر ، من وضع صف مدافع في طرف
الغابة ، وصبت نيرانها على الفيلق الالمانى الثالث ، فتقهقر عن الالمة
الى الخفيض ، حيث أنجبد . ومع ذلك لم يحتمل البقاء تحت نيران
المدفعية الفرنسية . تلا ذلك هجوم الجنود الدارعين على البروسيين ،
فحزحوهم . وكان البروسيون يطلقون بنادقهم وهم متقهقرون . ثم
ارتدوا فكسروا الفرنسيين . وتكدست اشلاء القتلى من الجانبين .
وكان الرصاص ينهال كالامطار ، والكرات تتفجر في كل أقسام
الميدان . وخاض الجنود بحار المنايا غير مبالين . اذ كانوا في منتهى
الهباج . ودامت الحال على ذلك مدة طويلة . والمعركة تتقلب تارة
مع هؤلاء . وطوراً مع اولئك . وكان المتقهقر منهما لا يفتأ يطلق
النار على خصمه ، حتى ينجبد فيستأنف الهجوم ، الى أن يتقهقر
ثانية . وأخيراً تمكن الالمان من نصب مدفعين على ربوة عالية فدمرت
نيرانها صفوف الفرنسيين تدميراً

ورأى الامبراطور أهوال القتال ، وان حلقة النار تحيط بهم ،
فجمع قواده ، وقال لهم : يجب وقف النيران عن الجيش ، وانهاء
تلك المجزرة . وأمر برفع العلم الابيض . فرفعوه ، ولكن لم يتمكن
أحد من رؤيته بسبب كثافة الدخان ، فأرسل العلم بيد الجنرال بيرون
الى حيث يراه الالمان . ولكن لما وصل الى الجنرال وتكفن ، في
الجهة ، مزقه قائلا : « لا نسلم » : فسأله الجنرال بيرون كتابة
للامبراطور ، فقال انه قد ارسل له كتابة . وسأل وتكفن بيرون
مساعدته في الهجوم على بالان ، فطاوعه هذا . وطلب فدائين
فقدم الفان انفسهم . على انهم لم يتقدموا كثيراً حتى سقطوا جميعاً ،
وظل القائدان وحدهما . عند ذلك لانت شكية وتكفن ، ورأى انه
قد حم القضاء ولا مناص . وفيما هما عائدان رأيا الاعلام البيضاء
مرفوعة من الجانبين

وجاء الكولونيل بوشارت الالمانى ، يطلب التسليم ، فقادوه
الى الامبراطور فلما علم ان الامبراطور في سيدان دهش وأية
دهشة . وعاد يحمل كتاباً من الامبراطور الى ملك بروسيا وهذا
نصه : « بما اني لم أتمكن من الموت مع جنودي ، أضع سيفي على
أعتاب جلالتك » (نابليون)

وأسروا مع الامبراطور ٨٢٠٠٠ جندي و ٥٥٨ مدفعاً . وقتل
من الفرنسيين في المعركة ١٧٠٠٠ ، ودخل البلجيكي منهم ٧٠٠٠ ،
والباقون انسحبوا قبل انقطاع الطريق الى الغرب . وانهت معركة
سيدان ، كما انتهت معركة وترلو . وخابت آمال نابليون الثالث هنا ،
كما خابت آمال نابليون الاول هناك . وسقطت الامبراطورية ،

وتشكلت الجمهورية الثالثة التي لا تزال الى الآن . وكانت الحرب
بعد معركة سيدان لمقاصد أخرى لم يحلم بها نابليون .
وكانت الجيوش الألمانية التي تطوق سيدان ١٥٠ ٠٠٠
و ٢٠٠٠٠ فارس . وبعد ذلك دخل الالمانيون باريس وتوجوا
غليوم الاول ملك بروسيا امبراطوراً على المانيا في قصر فرساي
في ١٨ يناير سنة ١٨٧١

موايد تالية

سنة ١٨٧٧ : مذابح البلغارين ، ومحاربة روسيا الاتراك وبلوغها
الاستانة

سنة ١٨٧٨ : مؤتمر برلين الشهير ، وغل أيدي الروس عن
تركيا باجماع أوروبا

سنة ١٨٨١ : احتلال فرنسا تونس . مقتل القيصر اسكندر الثاني

سنة ١٨٨٢ : احتلال الانجليز القطر المصري

سنة ١٨٨٤ : مؤتمر الكونغو لتقسيم قارة افريقية

سنة ١٨٩٤ و ١٨٩٥ : مذابح الارمن في ارمينيا وآناضوليا

وقسطنطينية ومحاربة الصين واليابان وفوز هذه على تلك

سنة ١٨٩٦ حرب الترك واليونان ، وفوز الاتراك عليهم . ومع
ذلك ، قضت أوروبا باستقلال جزيرة كريت ، وولت عليها الامير جورج

سنة ١٨٩٨ : حرب الولايات المتحدة واسبانيا ، بسبب كوبا ،

واحتلال الولايات المتحدة جزر فيلبين . احتلال روسيا بورث ارثر

سنة ١٩٠٠ : ثورة البكسر في الصين ، والحملة الدولية
على باكين

سنة ١٩٠٢ : المعاهدة الانجليزية اليابانية بخصوص الشرق
الاقصى

سنة ١٩٠٣ : معاهدة روسيا والصين بسبب منشوريا

سنة ١٩٠٤ : نشوب الحرب بين روسيا واليابان

انكسار روسيا في الشرق الأقصى

برأ ومجراً

أولاً : معركة مكدن

لا أذكر حرباً غير الحرب العظمى ، كانت لها الأهمية التي كانت لحرب الروس واليابان . فأنها صدام بين جنسين ، ولها صفة فلسفية كبرى ، وهي آخر امتداد الجنس الأبيض ، وبدء تقدم الجنس الأصفر . وفي معركة مكدن تحول سيل الاستعمار ، وأخذ الجنس الأصفر يتملص من حبال أوربا

دولة القياصرة

رأيناها في عهد بطرس الكبير ، وقبله ، لا تكاد تستحق الذكر بين الدول العظمى . على أنها منذ ذلك الحين أخذت تمتد ، وتتسامى حتى بلغت مصاف الدول العظمى في عهد كاترين وبانت أوج مجدها في القرن التاسع عشر ، ولا سيما بعد حرب القرم . فبلغت حدودها أرمينيا وسجاليين ، وملكيت سييريا وتركستان وقوقاسيا ، عدا الأقسام الأوربية المعروفة . ومدت أغرب حط حديدي في الدنيا يمتد من بطرس برج الى فلاديفوستك على الباسيفيك ، ويعتمد منه فرع

الى بورت ارثر ، في جنوبي منشوريا ، ماراً بمكدن حاضرة منشوريا .
فوصلت بحر اليابان ، والبحر الاصفر ، بعروش القياصرة ، وكادت
تستولي على الجنس الاصفر ، وتصبح سيدة ممالك الارض
حكاية بورت ارثر

حاربت اليابان الصين سنة ١٨٩٤ و ١٨٩٥ ، فقهرتها براً وبحراً
وعقدت معها عهدة شيمونوزاكي ، وبمقتضاها حلت اليابان بورت ارثر
وشبه جزيرة لياوتنغ ، في جنوبي منشوريا . ولكن روسيا ، بالاتفاق
مع المانيا وفرنسا ، قدمت لليابان مذكرة ، تطلب بها جلاءها عن
لياوتنغ ، لان ذلك يخل بالموازنة في الشرق الاقصى ، ويجهف
بمصالح الصين . فخرجت اليابان ، وفي قلبها تتأجج نيران الحقد على
روسيا وشريكيتها . ولكنها لم تكن متأهبة لخوض ميدان الحرب مع
دولة أوربية كروسيا . ولكن الروس ، الذين طلبوا خروج اليابان من
لياوتنغ ، هم أنفسهم حلوا محلهم ، وأرسلوا أساطيلهم الى بورت ارثر
وسيطروا على منشوريا ، ولامسوا حدود كوريا ، وصاروا على
أبواب اليابان ، وزادوا على كل ذلك ان عقدوا مع الصين معاهدة
بخصوص منشوريا ، صيروها كستعمرة لهم . وهو أغرب تصرف
سياسي في التاريخ

استعدادات اليابان

فقضت اليابان عشر سنين في الاستعداد للحرب . وعقدت
محالفة مع إنجلترا توجب مساعدة احدها الاخرى . في الشرق
الاقصى . اذا حاربتها اكثر من دولة واحدة . واذا حاربتها دولة
واحدة فقط لزمّت حليفها الحياد . ومعنى ذلك ان اليابان اطمأن

خاطرها الى انها اذا حاربت روسيا لا تعضدها فرنسا والمانيا . وإلا كانت انجلترا مضطرة ان تعضد اليابان . فتظل راجحة على خصيمتها روسيا . ولما آتت اليابان استعدادها الحربي . برأ وبجراً . طلبت من روسيا . ما كانت روسيا قد طلبته منها قبلاً - الخروج من لياوتغ - فجعلت روسيا تماطل وتحاول قاصمة أعناق عدتها . لتصير قادرة على قهر اليابان . فأمرعت هذه ، وقطعت علاقاتها السياسية مع روسيا ، وضربتها دون اعلان الحرب رسمياً

خلاصة وقائع الحرب

بغت الاسطول الياباني الاسطول الروسي في بورت ارثر . في ليل ٨ - ٩ فبراير . فعطل بوارجه . فاختلت الموازنة البحرية في الشرق الاقصى . ورجحت كفة اليابان على كفة روسيا . ثم ضربته في شمولبو . وفي غيرها من موانئ الشرق الاقصى . فخطمته تحطيمها وصارت مطلقة اليد في البحار . آمنة في نقل جيوشها الى البر الاسيوي . فأرسلت جيوشها تباعاً وانزلتها على شواطئ كوريا ومنشوريا وجعلت تقاتل الروس ، وتدفعهم الى الوراء ، وتحل محلهم وتضرب الاسطول الروسي من وقت الى وقت وتفرق بوارجه ، وتحطمها حتى صار عديم النفع لا تخشى بواده

وعبرت جيوش اليابان نهر يالو ، الفاصل بين كوريا ومنشوريا ، وتقدمت فقطعت الخط الحديدي عند كنشو ، وحصرت بورت ارثر برأ وبجراً مدة تسعة اشهر ثم احتلته ، وأسرت فيه من الروس ٤٠٠٠٠ مع قائدهم ستوسل وذلك في ١ يناير سنة ١٩٠٥ . وقهرت الروس في

لياوتنغ ، فانسحبوا الى مكدن ، حيث كانت المعركة الفاصلة البرية
بين الجيشين

الجيش الروسية واليابانية

كان عدد كل من جيشي الروس واليابان نحو ٣١٠ آلاف . وهو
اكبر عدد اشترك في معركة واحدة ، الى ذلك الحين . وكان قائد
الروس العام الجنرال كوروباتكين . وقائد اليابان العام المارشال اوياما ،
ورئيس اركان حربه الجنرال كوداما . وقد قسم الجيش الياباني الى
خمسة جيوش



المارشال اوياما

الجيش الاول : بقيادة الجنرال
كوروكي ، وموقعه جنوبي مكدن
تماماً

الجيش الثاني بقيادة الجنرال
أوكو ، وهو غربي الاول
الجيش الثالث : بقيادة الجنرال
نوجي ، وهو الذي كان يحصر
بورت ارثر . وموقع هذا غربي
الثاني

الجيش الرابع : قائده الجنرال نوزو ، وهو بين كوروكي وأوكو
الجيش الخامس : قائده كوامورا ، وهو شرقي مكدن تحت
جبال تالين

أما جيوش الروس فهي ثلاثة :

الجيش الاول : قائده لينيفتش ، وهو الجناح الايسر ، في الشرق

الجيش الثاني : قائده بيلدرنغ ، وهو في القلب ، في مكدن .

الجيش الثالث : قائده كولبار وهو في الجناح الايمن ،

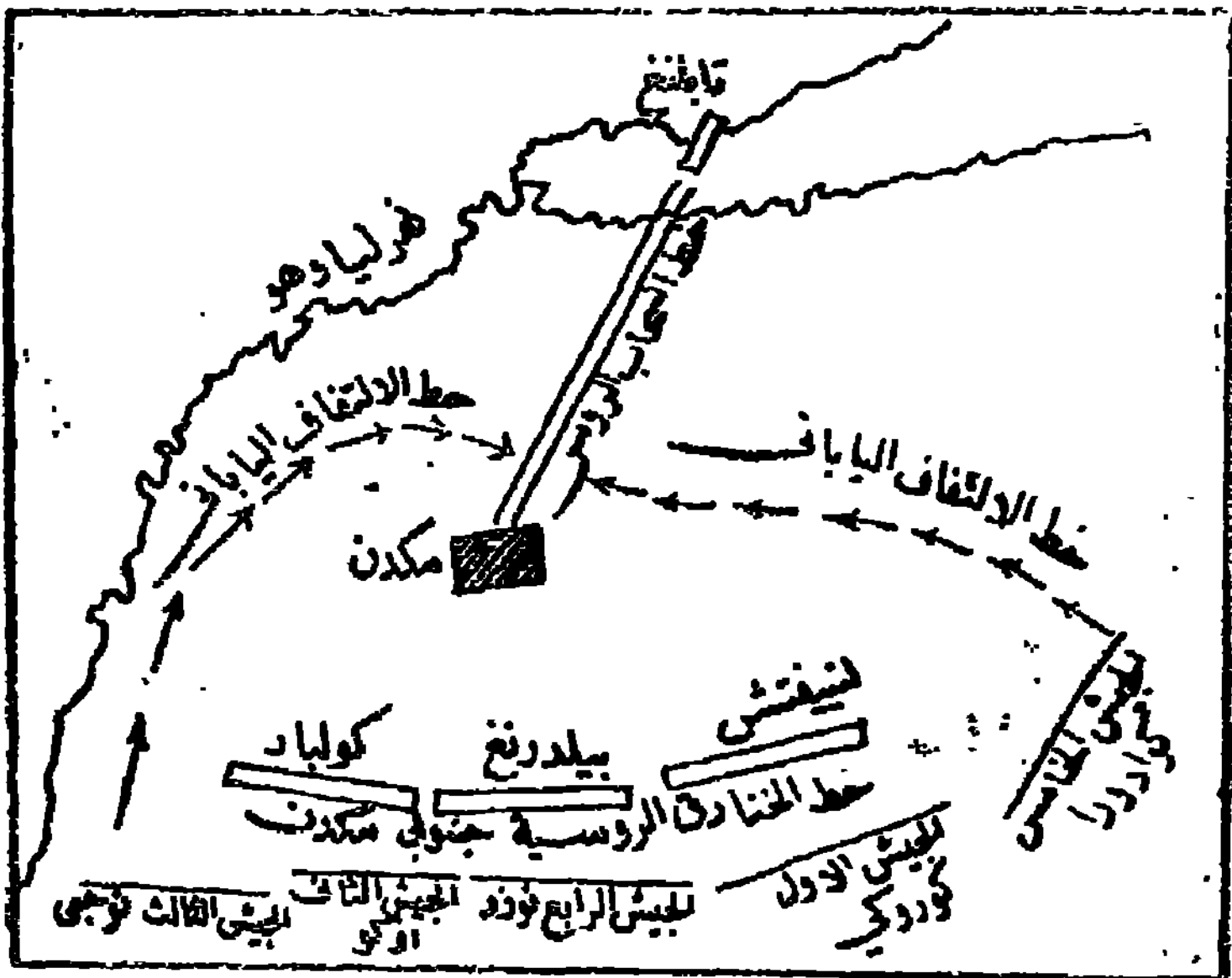
غربي مكدن

وكان في خط الحنادق جنوبي مكدن مائة الف من جنود الروس

المركة

بدأت المركة في ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٥ ، وظلت نحو ١٥ يوماً

بديالها ، وعيون الف وثمانمائة مليون ، ترقبها في كل أقطار المسكونة ،



ميدان مكدن

ليروا ، أترزح اليابان روسيا من الشرق الاقصى ؟ . فبدأ القتال
جيشا كوروكي وكوامورا ، وكان الروس يصدونهما . فأمر القائد

الياباني العام - اوياما - أن يتقدم نوجي بالحيش الثالث شمالاً ، قصد الالتفاف على جناح الروس الايمن ، وحل اوكو محله . وبعد ما سار جيش نوجي شمالاً ٨٠ ميلاً ، عطف شرقاً لقطع خط الرجعة على الروس ، واذ خشي كوروباتكين أن يفصل هذا الجناح عن القلب ، أمره بالرجوع الى مكدن ، وكان قلبه لا يزال ثابتاً أمام كوروكي وكوامورا . ولما اشتد الضغط على جيش نوجي أنجده اوياما بقسم من جيش نوزو ، وذلك في ٦ مارس

وثبت الروس ، واشتد القتال ، وتقدم احتياط الروس ، وصدّ جيش نوجي ، وكان قائده في هذه الحركة الجزال كولبار ، فصدّه نوجي بخسارة عظيمة . وفي ٧ مارس تراجع الروس نحو مكدن ، بعد حرب عشرة أيام ، لم تبرد نيرانها . فجد اليابانيون في أثرهم ، ولكن ببطء . ووردت مجندات لنوجي ، فوالى تقدمه شمالاً ثم شرقاً ، لاتمام حركة التطويق . فارتد القائدان لينيفتش وبيدرلغ نحو مكدن ، وبذلك ضاقت الحية ، فتوفر عند اليابانيين جيوش كثيرة ، فدّ نوجي خطه شمالاً ، ثم عطف شرقاً ، ولما شعر اوياما ان الروس عازمون على الانسحاب شدد في قتالهم ، فثبتوا له وقاتلوه قتال الاسود ولا سيما معارك ٨ مارس بين جيشي كولبار ونوجي . ووردت الاوامر لنوجي أن يقطع على الروس خط الرجوع . ولكن الروس شرعوا ينسحبون قبل ذلك ، وكان اليابانيون يضربون ساقاتهم ، ويأسرون من يقطعونه منها

وفي ١٠ مارس التقت ميسرة نوجي بميسنة كوامورا ، وبذلك تمت حلقة التطويق ، ولكن لم يكن أحد من الجيوش الروسية

ضمنها ، لانهم كانوا قد انسحبوا . وكان خط عرباتهم يمتد ٢٠ كيلومتراً . وخسر الروس ٢٦٥٠٠ قتيل و ٢٠٠٠٠ جريح ، و ٥٠٠٠٠ أسير ، وبلغ مجموع الخسارة ٩٦٥٠٠ وهي من فواصل المعارك في التاريخ ، لان الجنس الاصفر ، لأول مرة فهد دولة اوربية ، ومن ذلك الحين لم تطمع دولة اوربية في ام الشرق الاقصى

ثانياً : معركة صوشيا البحرية

حالما شبت الحرب ، وذلك في ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ ، شرعت الصحف تنشر المقالات الضافية في قوة روسية البحرية . وقالوا ان مجموع أساطيلها يضمن لها الفوز على اليابان بحراً . ولذلك ظلت عازمة على ارسال الاسطول الى الشرق الاقصى حتى بعد معركة منكدن الفاصلة . وكانت الدولة الروسية قد همت بارساله منذ شبت الحرب بينها وبين اليابان سنة ١٩٠٤ (في ٩ فبراير) . ولكن كانت تعوزه اصلاحات ومحسينات جمة . وفي اكتوبر سنة ١٩٠٤ ارسل القسم الاول ، والاهم ، منه بقيادة الاميرال رودجفنسكي . ولما ودعه القيصر قال له :

« قلبي معك ومع الاسطول العزيز »

وظل على الطريق من روسيا الى اليابان ثمانية أشهر . ووصلها في ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ . وكان قد تبعه قسم ثان بقيادة الاميرال نيبوجانوف . فالتقى بالاسطول الياباني بقيادة الاميرال طوغو في مياه صوشيا ، وهي جزيرة يابانية ، تقع بين جزر اليابان وبر كوريا الاسيوي

المركة

بدأ طوغو المركة ، باطلاق نيران مدافعه على البارجة « اوسليبا » الروسية الساعة الثانية . وبعد أربعين دقيقة تطلت اوسليبا تعطيل تاماً ، وهي أفضل البوارج في ذلك الاسطول . قامت الاسطول الروسي في عرض البحر من الغرب الى الشرق خطا طويلا ، فدارت به بوارج الاسطول الياباني وطراداته . وصبت نيرانها عليه . وفي الساعة الثالثة خرجت البارجة سوفاروف من الخط . وجرح الاميرال رودجفنسكي . فتحولت الزعامة لنيبوجانوف . فدار باسطوله شمالا . وربما كان يقصد الانسحاب بما يمكن سلامته من بوارجه ، الى مرقاً فلاديفوستك . ولكن الطرادات اليابانية كانت أسرع منه . فدارت به شمالا ، وواصلت صب نيرانها وقذائفها عليه

وبلغت خسارة الروس الساعة ٤ ، ٤ ، دقيقة حداث لا يحتمل وفي الساعة الخامسة اضطربت حركات الروس أعظم اضطراب ، وتحولت غرباً قصد الخروج من حلقة الهلاك التي طوقها طوغو بها . ولكن طوغو جدت في أثر الروس انى توجهوا ، فحطم واغرق قسما من بوارجهم ، وأسر البقية الباقية ، والتي لم تؤسر ولم تغرق جنحت . والتي نجت من هذا وذاك وبلغت مياه الصين ، نزع سلاحها عملا بقوانين الحيااد الدولي . وانتهت المركة بعد ثلاث ساعات بدمار الاسطول الروسي نهائياً . وكانت روسيا قد قضت ثمانية أشهر في إصلاحه واعداده . وقضى ثمانية أشهر في طريقه الى اليابان . وفي ختام الستة عشر شهراً لقي حتفه في مياه صوشيا . وكان انكسار الروس

بحراً أعظم من انكسارهم برآ ، وكانت معركة صوشيا فاصلة ليس بين روسيا واليابان فقط . بل أرى أكثر من ذلك كثيراً . أرى أنها كانت فاصلة بين القوقاسيين وبين المنغوليين . وعندها ارتد أو تحول سيل الاستعمار . ورفعت الأمم الصفراء رأسها . لأنها رأت أنها تستطيع أن تغلب أم أوروبا البيضاء . وانقضت أطماع الروس في الشرق الأقصى وغرقت في بحر صوشيا أحلام أوروبا في استعمار الصين واليابان . ومن ذلك الحين أخذ الفيض الأوربي في التراجع ولا يزال يتراجع أمام الصفير المستيقظين .

واتفق الروس واليابانيون في عهدة بورتسموث باميركا بواسطة روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأميركية . على الشروط الآتية :

- ١ : تخلي روسيا عن لياوتونغ . وحلول اليابان محلها .
- ٢ : انسحاب روسيا واليابان من منشوريا وردها للصين
- ٣ : تخلي روسيا عن نصف جزيرة سخالين الجنوبي لليابان
- ٤ : إطلاق يد اليابان في كوريا .

الحوادث التالية

سنة ١٩٠٥ : الثورة الروسية . وتأليف المجلس النيابي . في

بطرسبرج

سنة ١٩٠٦ : مؤتمر الجزيرة الخضراء . بخصوص مراکش .

واتفاق كل أوروبا فيه على ألمانيا والنمسا

سنة ١٩٠٧ : اتفاق روسيا وإنجلترا على تقسيم بلاد العجم الى

ثلاث مناطق

سنة ١٩٠٨ : اعلان الدستور العثماني وتشكيل مجلس المبعوثان
سنة ١٩٠٩ : خلع عبد الحميد السلطان العثماني بعد جلوسه على
العرش مدة ٣٣ سنة وسجنه في سلا نيك . ضم النمسا بوسنه وهرسك
الى امبراطوريتها

سنة ١٩١١ : احتلال إيطاليا طرابلس الغرب وبنغازي وعجز
الترك عن إخراجها منها بعد حرب دامت سنة
سنة ١٩١٢ : اتحاد دول البلقان على تركيا . وإخراجها من
أملاكها الاوربية . إلا ولاية أدرنة

سنة ١٩١٣ : سقوط بلغاريا أمام أخواتها وحليفاتها
سنة ١٩١٤ : قتل برنسيب الشاب السربي ولي عهد النمسا في
سراجيفو عاصمة هرسكوفينا ، وعلى أثر ذلك انفجرت مراجل
الحرب العالمية في أوربا

فوز الحلفاء

سنة ١٩١٨

سُبت سنة ١٩١٤ أعظم حرب تحت سماء الكرة الأرضية .
وكان ابتداء ضرامها بين سرّيا وأوستريا في ٢٣ يوليّه سنة ١٩١٤ .
وفي وقت قصير اشتبكت بها دول أوروبا . وتجلّت صفتها الفاسفية
هكذا :

- ١ أنها تنازع ألمانيا وإنجلترا على السيادة العالمية
- ٢ تنازع ألمانيا وفرنسا على ألزاس ولورين
- ٣ تنازع الألمان والسلاف على وراثة الدولة العثمانية التي دخلت
في طور الاحتضار

فمحور الحرب اذاً الامبراطورية الألمانية

وشعابها الثلاث هي :

١ ألمانيا وإنجلترا

٢ ألمانيا وفرنسا

٣ ألمانيا وروسيا

ألمانيا وروسيا

بدأت الحرب بين قسمين . ففي القسم الواحد ألمانيا والنمسا

وفي القسم الثاني انجلترا وروسيا وفرنسا وبلجيكا وسربيا . ثم انضمت تركيا وبلغاريا للجانب الواحد ، ورومانيا وايطاليا للجانب الآخر . وظلت بقية دول أوروبا على الحياد . وشهرت اليابان الحرب على ألمانيا ، ولكنها لم ترسل جيوشاً ولا أساطيل الى أوروبا . بل اقتصرت على انتزاع سنغ طاو منها ، في ولاية شنطونغ الصينية ، وانتزاع بعض اراضيها في الاوقيانوس الباسفيكي

ولما طال أمد الحرب ، انضم الى جانب الحلفاء دول عديدة خارج أوروبا ، أهمها الولايات المتحدة الأمريكية ، بزعامه رئيسها « وودرو ويلسن » وذلك في سنة ١٩١٧

جيوشها

يصعب احصاء الجيوش التي عباؤها الدول المحاربة تماماً فأورد الجدول الآتي ، على سبيل التقريب :

ألمانيا	: ٨ ٥٠٠ ٠٠٠
أستراليا	: ٥ ٦٠٠ ٠٠٠
تركيا	: ١ ٠٠٠ ٠٠٠
بلغاريا	: ٦٠٠ ٠٠٠
ف يكون	١٥ ٧٠٠ ٠٠٠
انجلترا	: ٧ ٥٠٠ ٠٠٠
روسيا	: ٦ ٠٠٠ ٠٠٠
أميركا	: ٦ ٠٠٠ ٠٠٠

وهذه خرجت من الحرب قبل نهايتها
ولكن لم يأتِ أوروبا منها إلا مليونان

فرنسا	: ٤٠٠٠٠٠٠
إيطاليا	: ٣٠٠٠٠٠٠
سربيا وبلجيكا تقريباً	: ١٩٠٠٠٠٠ فيكون ٢٧٥٠٠٠٠٠

والفرق بين الجانبين هو أن دول الوسط كانت كتلة واحدة ،
 أما الحلفاء فكانوا متفرقين متباعدين ولا سيما روسيا وأميركا
 وخرجت روسيا من جانب الحلفاء سنة ١٩١٧ ، وصالحت المانيا
 صلحاً منفرداً سنة ١٩١٨ . ولكن دخول أميركا الحرب الى جانب
 الحلفاء سد مسدها فلم تتغير النسبة
 تقسم ميادين هذه الحرب الى ثلاثة كبرى وثمانية صغرى :
 وهي :

ميادين الحرب

- ١ الميدان الغربي ، بين المانيا وبين فرنسا وانجلترا ثم أميركا وهو
 يمتد من البحر الشمالي الى حدود سويسرا
- ٢ الميدان الشرقي بين روسيا وبين النمسا والمانيا ، ثم دخلته
 رومانيا الى جانب الحلفاء . وهو يمتد من بحر البلطيق الى
 البحر الاسود
- ٣ الميدان الجنوبي بين إيطاليا والنمسا في الالب
- ٤ بين سربيا والنمسا . وانضم الى هذه بلغاريا والمانيا
- ٥ بين تركيا وبين فرنسا وانجلترا في غاليبولي
- ٦ ميدان مكدونيا : بين بلغاريا وتركيا ، وبين فرنسا وانجلترا
- ٧ ميدان مصر وسورية ، بين تركيا وانجلترا

- ٨ ميدان العراق ، بين تركيا وانجلترا
 - ٩ ميدان ارمينيا ، بين روسيا وتركيا بمساعدة المانيا
 - ١٠ جنوب غربي افريقية ، بين المانيا والامبراطورية الانجليزية
 - ١١ شرقي افريقية ، بين انجلترا والمانيا
- عدا ميادين سنغ طاء ، والارخبيلات
وكانت الحرب برأ وبحراً وهواء . وقد فاز الحلفاء فوزاً نهائياً
تماماً في كل هذه الميادين ، في خلال اربع سنين
هجمات لودندورف الاخيرة

كان قائد المانيا العام في بدء الحرب فون مولتك ، ثم خلفه
هندنبرغ ، ثم لودندورف ، وهذا كان قائد المانيا العام سنة ١٩١٨
في المعارك الحتامية . وقد بدأ بهجومه الاخير العظيم في مارس
سنة ١٩١٨ ، على الجبهة الانجليزية في سان ككتان ، وساق في هذا
الهجوم من الجيوش الالمانية السابع عشر والثامن عشر ، قاصداً
الاحاطة بالجيوش الانجليزين الثاني والسابع عشر . فثبت له الانجليز
وصدوه فعدل عن الهجوم هنالك ، وهجم هجوماً جديداً في
٣٠ مارس في جبهة اميان فرجح عليهم وردهم اربعين ميلاً
وأفقدتم في هذا الهجوم ٢٥٠ ألفاً

وهجم على هضاب اراس في ٢٨ مارس . فصد هجومه هذا
القائد بنغ الانجليزي قائد الجيش الاول وهجم في ٢٧ مايو على
جبهة الفرنسيين في ميدان الاين . فهبط بأربعين فرقة على سبع
فرق في جبهة طولها ثلاثون ميلاً . فرجح عليهم طبعاً وساقها أمامه
الى ما وراء نهر المازن

وآخر هجمات لودندورف في ١٥ يوليو شرقي ريمس . فصد
الحلفاء هجومه

قيادة الحلفاء واستعدادهم الاخير

كان لكل جيوش الحلفاء قائد عام على حدة
فكان قائد الجيش الاميركي العام الجنرال جون برشنغ
وقائد الجيش الانجليزي العام الفييلد مارشال هايج
وقائد الجيش الفرنسي العام المارشال بيتان
وقائد الجيش الايطالي العام الجنرال دياز
ففي أثناء هجمات لودندورف الاخيرة المار ذكرها ، أتم الحلفاء
ما نقصهم في سني الحرب الاربع ، أعني أنهم وحدوا القيادة . وتعين
المارشال فوش الفرنسي قائداً عاماً لكل جيوش الحلفاء . وكان يعمل
طبعاً بمشورة قواد الحلفاء المذكورين

يوم ٨ أغسطس سنة ١٩١٨

اجتمع القواد الاربعة المذكورون برئاسة القائد فوش ، وقرروا
القيام بهجمات محلية متنوعة متوالية ، لمشاغلة الالمان وتشتيت
فكرتهم ريثما تكامل معدات القائد العام فوش للهجوم العام الاخير
الفاصل . وكان يظن انه سيكون في سنة ١٩١٩

ولكن الجنرال لنسن الانجليزي قائد الجيش الانجليزي الثالث ،
في جبهة اميان ، عرض على القائد الانجليزي العام خطة للهجوم
على الالمان في اتجاه « ليس » فقدمها القائد هايج للقائد العام فوش ،
فصادق هذا عليها ، ووضع الجيش الفرنسي الاول بقيادة الجنرال
دبني تحت ارادة القائد الانجليزي العام لمساعدته على انقاذ خطة

لنصن . وقام الجنرال لنسن بهذا الهجوم في ليل ٨ أغسطس . وقد تقدمه في هجومه اربعمائة وخمسون سيارة مدرّعة - تانكس قال لودندورف : « ان يوم ٨ اغسطس كان يوماً أسود على الجيش الالماني ، في تاريخ هذه الحرب ، لانه نقطة الفصل التي لا ريب فيها » . هذا كلام اعظم قواد المانيا . وعلى اثر ذلك عرض القائد الالماني العام المذكور ، على الامبراطور غليوم وعلى المراجع الالمانية العليا ، فكرته كقائد عام بأنه : تلزم المبادرة بمخبرات الصلح حالا لاتنا قد خسرنا الحرب

فاذا كان لرأي لودندورف قيمة واعتبار فهذا هو رأيه على ان المارشال فوش غنم الفرصة في ١٠ أغسطس ، واتصن في أوج فوزه في ذلك الهجوم الذي بدأه في ٨ اغسطس ساق على الالمان هجوماً آخر في جهة يرون وبابوم ، وقام به أيضاً الجيش الثالث نفسه ، وفي ١٧ اغسطس ساق عليهم هجوماً آخر في جنوبي ذلك الميدان - يرون وبابوم - وقام بهذا الهجوم الجيش الفرنسي العاشر . وفي ٢١ أغسطس كرر الجيش الانجليزي الثالث هجومه . وفي ٢٦ منه هجم الجيش الانجليزي الاول

حينئذ أصدر لودندورف أوامره للجيش الالمانية جمعاء ، بالانسحاب الى خط هندنبرغ ، الذي كانوا قد تجاوزوه في هجماتهم الناجحة منذ شهر مارس

وكان الجيش الاميركي قد تولى الهجوم في اقليم سنت مهييل ، وحده ، ففاز بتطهير تلك المعقل والحيال من الالمان ، وأسر منهم عشرات الالوف . فوضح للقائد العام فوش انه يمكنه أن يقوم الآن

بالحجوم النهائي العظيم الآن . فغير فكره وشرع بالهجوم هكذا :

١ - ساق الجيش الاميركي غربي نهر موز ، والجيش الفرنسي

غربي اراجون في ٢٦ سبتمبر . واتجاههما مزيير

٢ - ساق الجيش الانجليزي على خط هندنبرج ، في سان ككتان وكبرالي في ٢٧ منه واتجاهه موييج

٣ - ساق الجيش الانجليزي والجيش البلجيكي في غنت في ٢٨ منه واتجاههما بروسل

فرد الاميركيون الالمان في اللورين

وهدد الانجليز الالمان بقطع خط الرجوع عليهم في موييج

واخترق المارشال هايج خط هندنبرج الحصين في سان ككتان في ٥ اكتوبر ، وبلغ السهول وراءه

هناك صار عدد الهاجين اقل من عدد المدافعين . فوقف الحلفاء ، ريثما يجمعون معداتهم . وفي أثناء ذلك انسحب الالمان ، فنجوا من حركة التطويق . وبذلك برهنت القيادة الالمانية على أهلية كبيرة . ولكنها لم تجهل انها خسرت الحرب ، وان النتيجة وبال عليهم ، واتضح للالمانيين عموماً انهم كانوا مخدوعين ، وراوا ما خسروا ، وما تانوا ، وما هو أمامهم ، هناك ، لأول مرة تزعزعت ثقة الشعب بحكومته ، فثار عليها ، وعلى حزب الحرب . فاستقال لودندورف من قيادة الجيوش ، وتنازل الامبراطور غليوم . وهادن الالمان الحلفاء ، بل سلموا بمطالبهم تسليماً تاماً . وذلك في ١١ نوفمبر

سنة ١٩١٨

وهرب الامبراطور غليوم الى هولاندا . وسلم الالمان اسطولهم

الضخم للإنجليز ، وسلموا الوفاً من المدافع والطائرات والغواصات ،
مع كميات وافرة من الذخائر . و انتهت الحرب الكبرى . واجتمع
نواب الدول في فرساي لعقد الصلح

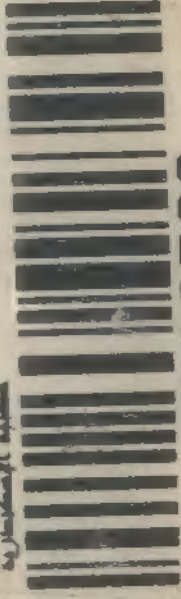
وكانت فواصل هذه الحرب الكبرى :

- ١ - في فردون : قام بها الفرنسيون وحدهم
 - ٢ - في خط هندنبرج : قام بها الفرنسيون والإنجليز
 - ٣ - في سنت ميهيل : قام بها الأميركيون وحدهم
- وخابت أحلام ألمانيا والامبراطور غليوم كل الحيلة
وفازت إنجلترا على ألمانيا ، وارخي الستار
ولشأ عن هذه الحرب سقوط أربع أسر في أوروبا :

- ١ - أسرة رومانوف في روسيا
 - ٢ - أسرة هوهنزولرن في ألمانيا
 - ٣ - أسرة هابسبورج في أوستريا هنغاريا
 - ٤ - الأسرة العثمانية في تركيا
- وخطا العالم خطوة كبيرة نحو الديمقراطية

Bibliotheca Alexandrina

مكتبة الإسكندرية
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



0230560